السبط
مجلة علمية فصلية محكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

السبط

مجلة علمية فصلية محكمة

تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي لمدينة كربلاء المقدسة

تصدر عن

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

في الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

العدد: الرابع / السنة الثانية، ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ - كانون الثاني ٢٠١٧ م

الهيأة الاستشارية

أ.د. علي راستبين
(الأكاديمية الجيوسياسية-فرنسا)

أ.د. محمد فريد عبد الله
(الجامعة الإسلامية لبنان)

أ.د. ماهر يعقوب موسى
(الجامعة المستنصرية - العراق)

أ.د. نبيلة عبد المنعم
(جامعة بغداد كلية الآداب - العراق)

أ.د. نذير الهنداوي
(جامعة بغداد -العراق)

أ. د. طالب منعم الشمري
(جامعة واسط -العراق)

أ. د. علاء عبد الحسين الرهيمي
(جامعة الكوفة -العراق)

أ. د. محمد يوسف الهيتي
(جامعة ديالى -العراق)

أ. د. زينب مرجان
(جامعة بابل -العراق)

أ.د. صباح الجابري
(جامعة كربلاء -العراق)

أ.د.أكرم محسن الياسري
(جامعة كربلاء - العراق)

أ.د. فضل ناصر مكوع
(جامعة عدن - اليمن)

أ. د. حامد الظالمي
(جامعة البصرة - العراق)

أ. م.د. باقر محمد رضا الزجاجي
(جامعة أهل البيت - العراق)

السبط

١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

العدد الرابع / السنة الثانية

مجلة علمية فصلية محكّمة

تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي لمدينة كربلاء المقدّسة

جمهورية العراق - محافظة كربلاء المقدسة

العتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٠٧٩) لسنة ٢٠١٥م

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:

مجلة السبط - مركز كربلاء للدراسات والبحوث

E-mail:

alsibt@hotmail.com

alsibt@yahoo.com

alssebt.k.center1@gmail.com

مجلة السبط :facebook

ص.ب (٤٢٨) كربلاء

أرقام الهواتف:

٠٠٩٦٤٧٧١٩٤٩١٢١٠

٠٠٩٦٤٧٩٠٣٤٠٩٥٥٦

٠٠٩٦٤٧٨١٤١٨٧٦٢٥

www.c-karbala.com

التصميم والاخراج الفني

عماد محمد

حيدر محمد

الإشراف العام:
سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير:
الأستاذ عبد الأمير عزيز القريشي
مدير المركز

مدير التحرير:
أ. د. رياض كاظم سلمان الجميلي
رئيس الهيأة الإستشارية

سكرتير التحرير:
م. سمير خليل شمطُو

هيأة التحرير:
١. أ. د. عدنان كريم نجم الدين
٢. أ. د. مكي عبد المجيد الربيعي
٣. أ. م. د. حسن حبيب الكريطي
٤. أ. م. د. حيدر محمد عبد الله
٥. أ. م. د. ضياء عبد الله الأسدي
٦. د. جعفر علي عاشور
٧. د. مهدي وهاب نصر الله
٨. د. ثامر مكي علي الشمري

المراجعة اللغوية:

اللغة العربية
العلاّمة الشيخ محمد علي داعي الحق

اللغة الانكليزية
د. مؤيد ناجي أحمد
الكلية التربوية المفتوحة - بغداد

سياسة النشر في مجلة السبط:

مجلة السبط مجلة فصلية محكّمة، تصدر عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة، الحائز على الأعتماد الدولي من منظمة الثقافة والعلوم (اليونسكو- برنامج الذاكرة العالمية) وتستقبل البحوث والدراسات في مختلف الاختصاصات الإنسانية (اللغة العربية وآدابها، التاريخ، الجغرافيا، الاجتماع، الاقتصاد، السياحة، علم النفس وبقية العلوم الاجتماعية) التي تبحث في الإرث الحضاري والثقافي لمدينة كربلاء المقدّسة لتكون مرجعاً علمياً لحفظ تراث المدينة وهويتها الدينية. تدعوالمجلة جميع الباحثين في مختلف الاختصاصات الإنسانية للكتابة والتحقيق في إرث هذه المدينة العريقة وحضارتها، ببحوث ذات قيمة علمية ضمن إطار موضوعي بعيداً عن التحيّز والميول لتحقيق الفائدة العامة لمجتمعنا.

ملاحظات عامة:

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.
- إشعار الباحث بقبول بحثه خلال مدة أقصاها شهرمن تأريخ تسليم البحث.
- لايجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلاالأسباب تقتنع بها هيأة التحرير ويتم ذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة.

تعليمات النشر في المجلة:

تُرحّب مجلة السبط بنتاجات السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الاختصاصات الإنسانية المختلفة وفقاً للقواعد الآتية:

١. إن البحوث كلّها تخضع للتقويم العلمي من قبل هيأة التحرير، وجمع كبير من الأساتذة في مختلف الأختصاصات العلمية.

٢. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط المنهج العلمي المعتمدة.

٣. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أومستلّاً، أومقتبساً من كتاب، أوأطروحة، أورسالة جامعية، أومنقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على أن يقدّم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث.

٤. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة الدقّة في الأسلوب بشكل صحيح.

٥. يلتزم الباحث بالشروط العلمية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب وتنظيم البحث بمصادره وهوامشه في نهاية البحث، كما يجب مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسلّم البحث إلى هيأة التحرير مطبوعاً على نظام (word) ورق (A4) مع قرص مدمج (CD) يتضمن مادة البحث ونمط الخط (Times new roman) وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و(١٢) للغة الانكليزية على أن لاتزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة وما زاد على ذلك يتحمّل الباحث دفع مستحقّاته المالية، ولا تقلّ عن (١٠) صفحات.

٧. يجب وضع الهوامش والمصادر في نهاية البحث على أن يُتّبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية، اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقّق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية.

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

الرقم: ب ث ع/ ٤٧٩٤
التاريخ: ١٠/ ٢/ ٢٠١٥

No:
Date:

" بجيشنا والحشد الشعبي العراق اقوى وامضى"

العتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م / مجلة السبط

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة، وبناءً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "**مجلة السبط** "الصادرة عن مركزكم الموقر تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية

تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
١٢/٢/٢٠١٥

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

العنوان : بغداد - شارع النضال - المجمع التربوي - بناية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - طابق ٦
www.rddiraq.com
Email: gd_offfice@rddiraq.com

شهادة الاعتماد الدولي

لمركز كربلاء للدراسات والبحوث

التي حصل عليهامن منظمة

اليونسكو (برنامج الذاكرة العالمية)

بتأريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٤م

المحتويات

أفتتاحية العدد ١١

النزعة الإنسية أو الإنسنة في حيثيات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حتى محطّ الرَحال في كربلاء ١٣

أ. د. (المتمرس) عبد الحسين مهدي الرحيم/ مركز كربلاء للدراسات والبحوث

المسار التأريخي لزيارة الأربعين النشأة والتطورَ ٧٥

م. م. انتصار عبد عون محسن السعدي / كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

مقدّمة تحليلية لمنهجية دراسة نهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ١٠٧

د. حيدر قاسم مَطَر التميمي/ قسم الدراسات التاريخية – بيت الحكمة – بغداد

واقعة كربلاء عام ١٨٤٢ (دراسة تاريخية) ١٤٣

أ. د. كريم مطر حمزة الزبيدي / كلية التربية – جامعة بابل

م. م. فاطمة حسين فاضل المفرجي / كلية التربية – جامعة بابل

تجارة لواء كربلاء خلال عامي ١٩١٠ ـ ١٩١١م ١٦٣

أ. د. خالد بن حمود السعدون/ كلية الآداب – جامعة الشارقة

الحراك المدني في المجتمع الكربلائي (دراسة تاريخية) ١٨١

د. ماهر حميد مجيد/ المعهد التقني – كربلاء

أثر العوامل الحياتية في زراعة وإنتاج محاصيل البستنة في أراضي الحسينَية ٢٠١

أ. د. رياض محمد علي عودة المسعودي/ كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء

م. م. أشواق عبد الكاظم ارحيم الكناني / كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء

إستراتيجية الاستثمار السياحي للمسيرة المليونية في مدينة كربلاء المقدّسة (دراسة في انثروبولوجيا السياحة) ٢٣١

أ.م. د. عدنان مطر ناصر / كلية الآداب –جامعة المثنى

م. جنان شهاب أحمد / كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة القادسية

أفتتاحية العدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفضل التحية وأتمّ التسليم على النبي الأكرم محمد وعلى آله الطاهرين...

مَثّل العراق بموقعه الجغرافي المَّيز والذي منحه العديد من الخصائص الطبيعية والبشرية وحتى الحضرية بوصفه موطناً مبكراً للإنسان وحضارته منذ أقدم العصور التاريخية وكان لتنوّع مظاهره الجغرافية وتعدّد مصادر ثرواته الطبيعية فضلاً عن تنوعّه الديمغرافي الذي أسبغ عليه سبقاً تاريخياً مميزاً بفنون العمارة والآثار والتراث، لقد مثَّل العراق في سجل الحضارة العالمي رقماً مهماً في المكان والزمان فيما يشتمله من معالم وصروح آثاريه شكّلت أقدم حضارات الشرق على الأطلاق ومن هذه الصروح مدينة كربلاء المقدّسة هذه المدينة التي عُرفت قبل الإسلام بزمن بعيد بقدسيتها وتأريخها الحافل بالأمور العظام والأحداث الجسام إذ كانت موطناً للكثير من الديانات والعقائد متخذة مكاناً مقدّساً لديها فالزرادشتية كانوا يُطلقون عليها (كرب - إلّا) ومعناها إله النار وأطلق عليها الآراميون (كرب - ايلا) وتعني معبد الإله وعند الأشوريين (كرب - بالا) بمعنى قربان الإله مما يُدلّل على مكانتها السّامية ومنزلتها الرفيعة.

وبناءً على ما تقدّم ليس من الغريب أن تحوي كربلاء على مقابر ونواويس ومدافن للأمم الغابرة فعلى أرضها أقدم كنيسه أُسطورية يعود تأريخها إلى القرن السادس الميلادي وربما تكون ثالث أقدم كنيسة في الشرق القديم، كما تزخر كربلاء بالكثير من المواقع الآثارية التي يعود تاريخها إلى حقبة ما قبل الإسلام مثل قصر الأخيضر وقصر شمعون وتل العقر وكهوف الطار فضلاً عن مواقع أخرى تعود إلى عصر صدر الإسلام مثل قصر بني مقاتل وتلول أثرية أخرى وخانات وغيرها مما يُعززّ دورها التاريخي.

ومنذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على أرضها الطاهرة أرتبط اسمها بالمعاني السّامية ومنذ ذلك الحين نشأت المدينة نشأة دينية لتكتسب مكانتها العلمية إذ أصبحت داراً للهجرة لكثير من الأجناس المسلمة وغيرها ومأوى لمن يحدوه الشّوق لمجاورة المراقد المباركة وأخذت قوافل الزوّار تترى في كلّ يوم ومن شتى ديار المعمورة فأضحت كربلاء تُشكّل رقماً مليونياً متصاعداً في مناسباتها على مدار العام لذا اتسمت المدينة بمزايا وخصوصيات دعتها أن تكون منطقة حياة وحضارة بشرية أنتجت صوراً عمرانية بديعة تمثّلت بالمراقد المقدّسة ودور العبادة الزاهية بعناصرها الزخرفية وفنونها وطرزها المعمارية المختلفة، كلّ هذا جعلها تُمثّل كنزاً

من الأبداع والثراء المعرفي الذي يحوي على فنون عمرانية مختلفة مثّلَت أدواراً لحضارات وثقافات متعددة منها عباسية وسلجوقيه وايلخانية وجلائرية وغيرها من حضارات وفي الوقت ذاته تعرّضت هذه العمارات والمواقع الأثرية إلى حملات من التخريب والتدمير والنهب والضياع نتيجة الهجمات التي كانت تشنها الفئات الضالة على مرّ التاريخ ومنها حادثة عام (١٢١٦هـ ١٨٠١م) المعروفة بحادثة الوهابية إذ تعرّضت العتبتان المقدستان الحسينية والعباسية إلى أعمال التخريب والدمار على يد هذه الزمرة التي لا تُقيم وزناً للآثار والحضارة، إذ قامت بعد التخريب بسرقة الكثير من النفائس والمقتنيات الثمينة وكذلك حادثة نجيب باشا (١٢٥٨هـ)، وفي التاريخ المعاصر في سنة (١٩٩١م) تعرّضت أبنية العتبات المقدّسة إلى التخريب نتيجة الأعمال العسكرية التي قام بها النظام المقبور ضد المدينة إذ تمّ تدمير جزء من القباب الشّريفة للمرقدين فضلاً عن تصدُّع وتدمير جزء كبير من الأبنية وسُرقت عشرات المخطوطات التي لا تُقدَّر بثمن فضلاً عن تدمير الكثير من المساجد والأبنية التراثية بواسطة مفرقعات **T.N.T** وبذلك تكون المدينة قد خسرت من تراثها الشيء الكثير .

كلّ هذا يدعونا إلى الاهتمام بدراسة الواقع التاريخي والآثاري لمدينة كربلاء المقدّسة لما يُمثله من خطوة عملية مهمة في إمكانية فهم طبيعة هذه الأماكن الحضارية وواقعها، ومجلّة السّبط أخذت على عاتقها أن تُقدّم لقرائها الكرام في كلّ عدد من أعدادها بحوثاً عدّة تُبيّن التأريخ المشرق والحاضر لهذه المدينة المقدّسة إذ حوى هذا العدد على ثمانية بحوث اثنين منها اختصت في النهضة الحسينية المباركة وثلاثة منها في الوقائع التاريخية لمدينة كربلاء من حيث الأحداث والتجارة والحِراك المدني وكذلك العوامل الحياتية من الجانب الزراعي وآخر في استراتيجيات الاستثمار السياحي للزيارات المليونية وبأقلام أساتذة أكفاء .

أملين أن تنال رضاكم وأعجابكم .

رئيس التحرير

النزعة الإنسيّة أو الإنسنة

في حيثيات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حتى محطّ الرحال في كربلاء

الأستاذ الدكتور المتمرس

عبد الحسين مهدي الرحيم

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

AL Imam Hussein decided not to make a convention with Muawiya but at the same time respected his brother's decision. Muawiya managed to kill Imam Al Hassan by poison with the help of Imam Hassan's wife. Muawiya started then to make a consiparcy in order to nominate his son Yazid a ruler and he consulted his assistants such as Marwan ibn Al- Hakam who advised him to wait for the best time.

when Hijr bin Adi and the followers of Imam Ali were killed by Muawed iya, Imam Al-Hussein was called by the people of Kofa. This made Marwan afraid and asked Muawyia what to do. Muawyia told him not to tell Imam Hussein anything. Muwayia wrote a letter to Imam Al Hussein that he was not willing to fight him. After Muwayia made his son Yazid a ruler he broke the convention with Imam Al-Hassan, Marwan tried to take approval of the people of Al Madina but he was opposed with disagreement by Imam AL- Hussein, Abdulrahman bin Baker, Abdul bin Azabeir and Abdul bin Omer When Muawiya visited Al-Madina, he promised to punish all of them, but he was opposed by Aisha and he, therefore, make peace with them.

When Muawiya died, Yazid asked his assistants to announce allegiance to him; one of them was Al- waleed bin Utba.Mawayia advised Yazid not to kill Imam Al-Hussein. Yazid wrote to the ruler of Al Madina to take allegiance from those four persons and kill immediately whoever disagreed.

AL Imam Hussein disagreed to announce allegiance to Yazid as to a ruler after Yazid was known for his adultery and desire Muayia, since kill anyone.

Many letters were written to lmam AL-Hussein to get rid of the corrupted Yazid. He sent his cousin Muslim bin Aqueel in order to know the situation in Kofa. In such a case, Yazid ordered Abeed Allah bin Zyaad to put an end to this situation. Consequently, Muslim bin Aqueel, Hani bin Arwa, Abdula bin Yaqteen and aays bin Musher were all killed.

Imam Al Hussein had no choice but to go to Kofa to fight the corrupted Yazid and nobody could change his mind for the sake of reformation. He promised his followers to put an end for injustice and to help all weak people. When he found out the infidelity of the people of Kofa, he made a speech to all his followers telling them that they can withdraw and leave him alone to confront the destiny by himself, but they were all ready to stay with him saying that if they were killed many times, they would have not leave him alone facing the enemy.

The Tendency of Humanism or Humanization in considerations of Imam Hussein's (peace be upon him) Revolution up to his Settlement in Karbala

Dr. Abdul Hussein Mehdi Al-Raheem

Karbala Center for Studies and Research

Abstract

If the human tendency respects Human and considers him as an axis of the universe, the religious humanism will thus require hard devoutness. It is generally distinguished by a confident submission to Allah, waiting for the age of justice.

Besides that the features of religious humanism is a strong passion of the believer's morale which makes him think of the divine grace and he is provided with exceptional aspiration in this world and the next

Al Hussein and his family (peace be upon them) have the superiority to believe in religious humanism including this exceptional aspiration, since all attempts made by oppositions against his reform project achieved nothing.

The tendency of humanism is the human philosophy that respects the human being and considers him as an axis of universe. includes a number of unique features that distinguishes human from animals.

In extrapolating this religious humanism of Ahl al Bait in their critical circumstances, we say that imam Ali peace be upon him) was assassinated in 660 by a common conspiracy between the outsiders (alkawarj) and bin Ummayya which continued until the succession of Imam Al-Hassan and did not end as many leaders plotted against him.

Therefore, he was forced to make a convention of peace with Muawiya. but the latter broke it then. Muawiyah considered the convention void and promised and announced that all the followers of lmam Ali would be Save.

الملخص

اذا كانت النزعة الإنسانية تُعنى بالإنسان، وتعتبره محور الكون، فإن الإنسية الدينية مساحتها من الورع الهادئ إلى التقشّف الصارم، وهي على العموم تتميز بالخصوع، المطمئن لله تعالى والتعلّق به في العمل بانتظار مجيئ عهد العدالة الإلهية التي لا تُرد.

والى جانب ذلك فإنه من خصائص الإنسية الدينية، هي العاطفة القوية للمعنويات الَتي يمتلكها المؤمن، والذي تجعله يعتقد بأنه مُحاط بالنعمة الآلهية، وأنه مزوّد بملكات استثنائية تُتيح له التفتّح الكامل في هذا العالم والعالم الآخر.

والحسين عليه السلام وأهل بيته يقف على رأس هذه الإنسية الدينية المشتملة على هذه الملكات الاستثنائية، بدليل أن كلّ المحاولات التي طرحها المعارضون لمشروعه الإصلاحي لم تُثمر لأنه يرى ما لا يرون.

والنزعة الإنسية هي الفلسفة الانسانية التي تحترم الإنسان بنفسه وتعتبره مركز الكون ومحور القيم، تُعَرَّف أيضاً بالبشرية وهي الإنسانية التي تُمثَّل جملة الصفات التي تُميزِّ الإنسان بخلاف البهيمية.

وفي استقراء لهذه الإنسية الدينية عند أهل البيت عليهم السلام في ظلّ ظروفهم الحرجة نقول إن استشهاد الإمام علي عليه السلام في ٤٠هـ/ ٦٦٠م بتآمر مشترك بين الخوارج وبني أمية، واستمرار هذه المؤامرة في خلافة الامام الحسن عليه السلام ٤٠- ٤١هـ/ ٦٦٠- ٦٦١م، إذ نجحت في تجريده من قادة جيشه بوسائل الترغيب والترهيب، فلم يتمكّن من مواصلة الحرب، بل نهج إلى الصلح مع معاوية بظروفه القاسية، وسطّر شروطاً عادلة حقّق فيها مصلحة المسلمين، ولم يطلب منها لنفسه شيئاً، لكن معاوية نقض العهد وحنث باليمين بعد أن نزا على منبر الخلافة، وهي محرّمة على آل أبي سفيان لأنهم من الطلقاء.

ولما زار معاوية الكوفة أعلن، انما قاتلهم ليتأمّر عليهم، وكلّ شرط ورد في صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام مردود، ولم ينفذ منه شيئاً، وكلّ وعد وعده لأحد منهم فهو تحت قدمه، وهكذا تنصّل معاوية من عهوده في صلحه مع الحسن عليه السلام.

وكانت شروط الحسن عليه السلام على معاوية في صلحه، أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيّه، وليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، بل الأمر يكون شورى بين المسلمين، وأن يوفّر الأمن للناس كافة، وأن يكون شيعة علي عليه السلام آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم وأن لا يبغي على الحسن وأخيه الحسين ولا على أحدٍ من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم سراً أو علناً ولا يخيف أحداً منهم في كلّ مكان.

لم يكن الحسين عليه السلام راغباً في الصلح مع معاوية، لكنه اعتبره قدراً نفّذه أخوه الحسن عليه السلام، كذلك لم يبايع الإمام الحسين عليه السلام معاوية في خلافته، ولم يكرهه معاوية على ذلك، لكنه احترم شروط الصلح معه.

لم يقف معاوية عند حدود نقض شروط الصلح، بل دبّر مكيدة في قتل الإمام الحسن عليه السلام بأسلوب السم متعاوناً مع زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس أكبر المنافقين على أن يزوّجها من ابنه يزيد ثم نكث ذلك، ودفع لها مائة ألف درهم.

بدأ معاوية مؤامرة جديدة لتنفيذ بيعة ابنه يزيد من بعده، وقد باشر بذلك بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، واتخذ من صنائعه وسيلة لتحقيق ذلك فكتب به إلى ولاته ومن هؤلاء واليه على المدينة مروان بن الحكم. وقد أشار عليه بعض ولاته بالتريّث.

ولما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه من شيعة علي عليه السلام، أبلغ بعض أشراف الكوفة الحسين عليه السلام بذلك، فاسترجع وشقَّ عليه الأمر، وقد تردّد هؤلاء على الإمام الحسين عليه السلام، فأثاروا حفيظة والي المدينة مروان بن الحكم، فكتب لمعاوية بذلك، فكان ردّ معاوية بقول: لا تعرض للحسين بشيء.

وكتب معاوية للحسين في ذلك، فقال له الحسين: «ما أريد حربك ولا الخلاف عليك». لذلك لم يستمع الحسين لرغبة أهل الكوفة في الخروج على معاوية لاحترامه شروط الصلح.

ولما بايع معاوية ابنه يزيد واستخلفه من بعده، خالف في ذلك الأمر شروط الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، من جهة، وعدم صلاحية يزيد لهذا المنصب من جهة أخرى لما عُرف عنه من الانحراف في السّلوك وشُرب الخمور والفجور وملاعبة القرود.

ولما حاول مروان بن الحكم أن يُحقّق البيعة في المدينة عارضه أربعة من وجوه أهل المدينة وهم الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وبعضهم يُضيف عبد الله بن عباس.

ولما زار معاوية المدينة أعرض عن استقبالهم وتوعَّدهم، فعارضته السّيدة عائشة فعاد لمصالحتهم لكنه أعلم بسفرهم إلى مكة، وحين قصد معاوية مكة التقاهم هناك وأكرمهم، لكن الحسين عليه السلام امتنع من قبول صلته وكسوته.

وكرّر معاوية الجوائز لقريش عامة عدا بني هاشم، حتى كلَّمه عبد الله بن العباس فأمر لبني هاشم بجوائز سنيّة، فكلّهم قبل جائزته إلا الحسين فلم يقبلها.

وكعادته في الخداع والتزوير ارتقى معاوية المنبر في مكة وادّعى ببيعة هؤلاء الرجال وكان قد سلط عليهم وهم جالسون زبانية من أعوانه بأسلحتهم، وتفرّق الناس وهم يظنون أن هؤلاء الأربعة وفي مقدمتهم الحسين عليه السلام قد بايعوا يزيد وهي لم تقع.

ولما مات معاوية في رجب سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م جدّد يزيد مطالبة الولاة بأخذ البيعة له، ومنهم واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان معاوية قبل وفاته قد أبلغ يزيد أنه سيمتنع عن مبايعتك هؤلاء الأربعة ورسم له خطّته مع كلّ واحد منهم، إلاّ الحسين فقد نصحه بألاّ يلحق به ضرراً وقال له: «أما الحسين بن علي فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه فإن فعل وظفرت به فاصفح عنه».

افتتح يزيد باكورة حكمه بكتاب وجّهه لواليه على المدينة الوليد بن عتبة بتجديد البيعة في المدينة، وخصوصاً من هؤلاء الأربعة ومَن يمتنع أنفذ إليَّ برأسه.

كان موقف الحسين عليه السلام الرفض التام والامتناع عن بيعة يزيد المشهور بالخلاعة والمجون والفجور، ولما حاول الوليد أخذ البيعة من الحسين عليه السلام أجابه الحسين عليه السلام «ومثلي لا يُبايع مثله»، عندها قرّر الحسين عليه السلام أن يغادر المدينة إلى مكة. وفي مكة وصلت كتب ورسل أهل الكوفة تحثّه على القدوم إليهم حتى بولغ في أعداد الكتب التي وصلته من شيعته بالكوفة. ولما تيقّن الحسين عليه السلام من سلامة الموقف وصحّة الولاء أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل لتمهيد الأمور.

وكان موقف يزيد من نشاط الحسين عليه السلام أن استشار سرجون مولى أبيه فأشار عليه بتولية عبيد الله بن زياد الكوفة، وقد تمّ ذلك فجّند هذا السّفاح كلّ طاقاته للقضاء على المؤيدين لثورة الحسين عليه السلام الإصلاحية.

وكان في مقدِّمة الشّهداء مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي ولما توجّه الحسين عليه السلام إلى الكوفة مغادراً مكة، وكانت قد أتته أخبار الشّهداء، لم تُثنه عن عزمه بالإصلاح، ولا تلك المحاولات من بعض أخوته وأبناء عمومته وعامة المسلمين تيسر لها أن تثمر، وإن كان معظمها مخلصاً في النصح، حتى وصل به الحال أن يسمح لمن رافقه في مسيره إلى العراق بفراقه عن قناعة منه، لأنه لا يرغب في تمرير رغباته على الآخرين إلاّ عن قبول تام منهم لذلك كرّر هذا العرض مرتين، ولم يبق معه إلا صحابته المخلصون.

كانت المواجهة الأولى مع قوّة الاستطلاع الأموية التي يقودها الحر بن يزيد التميمي وقد استقبلهم الحسين عليه السلام بالرحمة والعطف، فامر غلمانه بتقديم الماء للفرسان ولخيولهم، ودار حوار بين قائد الجيش الأموي والإمام الحسين عليه السلام حتى انتهى الأمر إلى أن يتجه الحسين يساراً ليصل إلى موقع كربلاء، وهو ما كان قد علمه من جده وأبيه عليهما السلام، فقد سلك طريقاً تحت ضغط ومراقبة الجيش الأموي، لا يوصله إلى الكوفة ولا يعود به إلى المدينة حتى أوصله إلى كربلاء بعد أن مُنع من النزول في قرى شفية والغاضرية ونينوى والعقر.

ولما عرض زهير بن القين على الحسين مقاتلة الحر وفرسانه ليُسر التفوّق عليهم، قال الحسين: صدقت يا زهير! ولكن ما كنت بالذي أبدأهم بقتال حتى يبدأوني.

وهذا من خصائص السّلم الذي يرغب به الحسين أن يعُمّ كافة المسلمين ويزرع بينهم المودة.

وقد بدأ الحسين عليه السلام سفره من المدينة إلى مكة ومنها إلى الكوفة بالخطب والكتب إلى أصحابه وأعدائه، وكانت على حالة واحدة من النصح والإرشاد، فكانت المعاني التي بعث بها إلى شيعته ومبايعيه، أن وعدهم بالسير على كتاب الله وسّنة نبيّه وعلى الهدى والتقوى والعدل، وغرس فيها روح الثورة على الظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما تبيّن له أن شيعته قد نكثت وعودها واستجابت لرغبة الظالمين من بني أمية طوعاً أو كرهاً، وأن الحرب قائمة بين الحقّ المتجّسد بالحسين وأصحابه، والباطل المتجّسد بجيش بني أمية، ألقى الحجّة عليهم بنسبه ومكانته عند الله ورسوله، ثم سمح لأصحابه بقناعة وصدق وصراحه منه بحرية المغادرة في جنح الليل، ومن قبل سمح للأعراب وطلّاب الغنائم بالمفارقة، فلم يكن يُفكّر بمصلحة شخصية، وإنما كان همّه إصلاح المجتمع وتوجيهه وجهة السَّداد الإسلامية.

ولما رأى الباطل سائداً والحقّ مهملاً لا يُعمل به، ولم يتوافر له النصير للمقاومة آمن بنهايته المحتومة وتوقّع المثلة بجسده الطّاهر، وكانت هذه أمنيته ليلحق بالرفيق الأعلى مع جدّه وأبيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

وإلى جانب الخطب والكتب التي خاطب بها الحسين عليه السلام صحبه وأعداءه، وكانت الرُؤَى عند الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وحفيده الحسين عليه السلام، قد صورت استشهاد الحسين فيما حَدَّثَ بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبدوره نقلها لآل بيته عليهم السلام، فالإمام الحسين بأمر رسول الله خرج للإصلاح في دين جدّه وتهذيبه مما لحق به من جهالة بني أمية وتسلطهم على المسلمين وظلمهم لهم بشّتى الوسائل، ولإحياء أصل الدّين الحنيف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن هذا الأصل دون الأصول الأخرى يُمّثل علاقة الإنسان بأخيه الإنسان بينما كانت الأصول الأخرى تُمثّل علاقة الإنسان بالله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان شعار الثورة الحسينية، وهو ترجمة واقعية لتقوى الإنسان والتزامه بحدود الشّريعة، متمثلة بسلوكه الإنساني المطلوب.

كذلك أكّدت الرُؤى للإمام الحسين صورة استشهاده وأصحابه في واقع يعمل بالباطل ويترك الحق، لذلك لم يتوافر له الأنصار، ولما فتحت السّماء له أبوابها بالنصر، شكر الله على ذلك، ولكنه لم يرغب بهذه المعونة لاشتياقه بلقاء رّبه وأهل بيته، فضلاً عن رغبته في مواجهة الأعداء بطاقته البشرية على قلّة الناصر ليزرع روح الفِداء والتضحية، والشّجاعة في أُمة جده، وحتى لا يُتهم بالسّحر والشعوذة كما أتُهم جدّه من قبل، في خصوصية استجابة السّماء له بالنصر دون غيره.

النزعة الإنسية أو الإنسنة في حيثيّات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حتى محط الرّحال في كربلاء

الإنسية الدينية [١]

قد يبدو المصطلح متناقصاً، فكيف يمكن أن تكون نزعة إنسانية ودينية في ذات الوقت، أليست النزعة الإنسانية تعني التركيز على الإنسان فقط واعتباره محور الكون.

الواقع إن الجواب: لا، فهناك إنسية دينية ذات تلوينات مختلفة تمتدّ من الورع الهادئ والمرتاح للمؤمن العادي، إلى التقشف الصارم والشديد للناسك المتعبِّد ولكن الإنسية الدينية تتميّز في جميع الحالات بالخضوع المطمئن لله وبالتعلّق المستمر به، كما تتميز بالخشية في العمل والتصور، وبالرغبة في التسامي بالله تعالى، بانتظار مجيء عهد العدالة الآلهية التي لا تُردّ.

كذلك تتميز هذه الإنسية بتلك العاطفة القوية للمعنويات التي يمتلكها كلّ مؤمن، هذه العاطفة التي تجعله يعتقد بأنه محسوب في عداد المخلوقات التي تحظى بالنعمة الإلهية، وأنه مزوَّد بملكات استثنائية تُتيح له التفتّح الكامل في هذا العالم والعالم الآخر.

والحسين عليه السلام وأهل بيته يقفون على رأس هذه الإنسية الدينية المشتملة على هذه الملكات الاستثنائية، بدليل أن كلّ المحاولات التي طرحها المعارضون لمشروعه الإصلاحي لم تُثمر لأنه يرى ما لا يرون، وهذا ما سنتناوله في أثناء البحث.

وتعني النزعة الإنسية[٢]، الفلسفة الإنسانية، التي تحترم الإنسان بنفسه، وتعتبره مركز الكون ومحور القيم، وتُعَرَّف أيضاً بالبشرية وهي الإنسانية التي تُمثِّل جملة الصفات المميزة للإنسان بخلاف البهيمية.

أولاً: تدافع الأحداث السياسية بين الامام الحسن (عليه السلام) ومعاوية

كانت سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م قد شهدت استشهاد الإمام علي عليه السلام بالمؤامرة المشتركة بين الأمويين والخوارج[٣]، وبعلم المنافق الأشعث بن قيس الذي استضاف عبد الرحمن بن عمر وبن ملجم المرادي شهراً يشحذ سيفة لاغتيال علي عليه السلام[٤].

وكان الإمام الحسن عليه السلام قد انتُخب خليفة بعد استشهاد أبيه عليه السلام وقد نهض بمسؤولياته بمقارعة الظلم والزيف الأموي وقصد المدائن بجيشه استعداداً لمقاتلة جيش معاوية[٥] ولما تلمَّس الأمويون أن الأمام الحسن عليه السلام يسير بنفس مسار أبيه عليه السلام عقدوا العزم على توهينة واستفراغ همته وعزمة، فبثّوا العيون والجواسيس، ومارسوا سياسة الترغيب ببذل المال والترهيب بالشائعات الكاذبة والايقاع بين الامام الحسن وقادته، فمنهم من التحق بمعاوية كعبيد الله بن العباس[٦] ومنهم من صمد وواجه هذا التيار الباغي كقيس بن سعد بن عبادة[٧]، ومنهم من ذهب ضحية الاعتقال

والسجن[٨]، حتى نجح معاوية بتآمره على الإمام الحسن عليه السلام.

ووجّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أم الحكم، فأتوه، وهو بالمدائن نازل في مضاربه، ثم خرجوا من عنده، وهم يقولون ويسمعون النّاس كذباً: إن الله قد حقَن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر ولم يشك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط[٩]، وقد كمن له الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمعول في فخذه، وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدقّ عنقه[١٠].

وكاد أن يقتله الخارجي الجراح بن سنان الأسدي بعد أن طعنه بمعوله في فخذه مؤكّداً تآمر الأمويين مع الخوارج في ملاحقة الإمام علي عليه السلام وأبنائه من بعده، فخرج الإمام الحسن عليه السلام حتى نزل المقصورة البيضاء في المدائن للعلاج فعولج حتى برأ[١١] واستعدّ للقاء عبد الله بن عامر بن كريز الذي بلغ المدائن بعد أن اجتاز عين التمر والأنبار.

وكان معاوية قد أقبل على الأنبار وبها قيس بن سعد فحاصر معاوية قيساً، وقد نزل مسكن[١٢]، فيما نادى عبد الله بن عامر وهو بالمدائن بأسلوب الغدر والخداع لإضعاف الخصم ياأهل العراق إنّي لم أرد القتال وانما أنا مقدمة معاوية وقد وافى الأنبار في جموع أهل الشام فأقرأوا أبا محمد يعني الحسن مني السلام، وقولوا له أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك، فلما سمع ذلك الناس وهنوا وكرهوا القتال. وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدّث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ويوجّه إلى عسكر قيس في ناحية الجزيرة من يتحدّث أن الحسن قد صالح معاوية وبأساليب الخداع والكذب أوهن معاوية مقاومة جيش الحسن فلما رأى الحسن عليه السلام تفرّق الأمر عنهُ بعث إلى معاوية بطلب الصلح[١٣].

انتهز معاوية ظروف الإمام الحسن عليه السلام الحرجة فبعث إليه عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدما على الحسن بالمدائن، فأعطياهُ ما أراد، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة الآف ألف في أشياء اشترطها.

وكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدّمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية، فقام قيس بن سعد في الناس فقال: يا أيها الناس أختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة، أو القتال من غير إمام، قالوا: لا، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة، فبايعوا معاوية، وانصرف عنهم قيس بن سعد. وإمعاناً في تشويه سمعة الإمام الحسن من قبل زبانية معاوية قاموا بشائعات كاذبة فنسبوا إلى الإمام الحسن أنه قد صالح معاوية على ان يكون له مال الكوفة وخراج دار ابجرد على أن لا يُشتم علياً وهو يسمع فأخذ ما في بيت مال الكوفة وتمّ الصلح بين معاوية والإمام الحسن بمسكن[١٤].

وبإزاء هذه الأحداث المتلاحقة خاطب الحسن أهل العراق: أنه سخا بنفسي عنكم ثلاثة: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي. ثم إن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا بحشمهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة فلما قدمها الحسن وبرئ من جراحاته، خرج إلى مسجد الكوفة فقال: يا أهل الكوفة، اتقّوا الله في جيرانكم وضيفانكم، وفي أهل بيت نبيكم عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فجعل الناس يبكون، ثم تحملوا إلى المدينة[١٥].

وصوّر لنا الشيخ المفيد[١٦] ظروف التعبئة العسكرية في جيش العراق فقال: إنه كان بين الحسن عليه السلام ومعاوية مكاتبات ومراسلات واحتجاجات في استحقاقه الأمر، ولما سار معاوية نحو العراق وبلغ جسر منبج[١٧] بعث الحسن عليه السلام بحجر بن عدي وأمر الناس بالجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفّ معه أخلاط من الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم مُحكّمة (خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين.

ومن يتتبّع عناصر جيش الحسن عليه السلام في مواجهة جيش معاوية وهم بهذا التشتّت لا يأمل منهم الصمود والنصر فلكلّ فئة دوافع تختلف عن الأخرى ولم تكن بينهم وحدة الهدف والمصير.

ولما وصل حمام[١٨] عمر ثم أخذ على دير[١٩] كعب فنزل ساباطاً دون القنطرة فبات هناك، وأراد أن يختبر أصحابه في طاعته، فصعد المنبر وخطبهم قائلا:

«أما بعد: فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت – بحمد الله ومنّهِ – وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وأن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تُحبوّن في الفرقة، اَلا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليَّ رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبَّة والرضا»[٢٠].

قال: فنظر الخوارج[٢١] من جنده بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يُريد بما قال؟ قالوا: نظنه – والله – يريد أن يُصالح معاوية ويُسلّم الأمر اليه، فقالو: كفر – والله – الرجل، ثم شدّوا على فسطاطه فأنتهبوه[٢٢] حتى أخذوا مصلّاه من تحته، ثم شدَّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي[٢٣] فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من أراده، فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه.

وسار ومعه شوب[٢٤] (خليط) من الناس، فلما مرّ في (مُظلم ساباط) بدر اليه رجل من بني أسد يُقال له: الجراح بن سنان، فأخذ بلجام بغلته وبيده مغول[٢٥] (سيف دقيق) وقال: الله أكبر أشركت – يا حسن – كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه[٢٦] في فخذه فشقّه حتى بلغ العظم، فاعتنقه

الحسن عليه السلام وخرّا جميعاً على الأرض، فوثب اليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام يُقال له: عبد الله بن خطل الطائي، فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه، وأكب عليه آخر يُقال له: ظبيان بن عمارة، فقطع أنفه، فهلك من ذلك، وأخذ آخر كان معه فقتل، وبذلك يكون الخوارج قد ثاروا عليه مرتين.

حُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فأُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقره الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل بنفسه يُعالج جرح الحسن عليه السلام[٢٧].

كتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة في السر واستحثّوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّهم من عسكره أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك.

وورد كتاب قيس بن سعد على الحسن وكان مساعداً لعبيد الله بن العباس في قيادة الجيش، وجاء في الكتاب أنهم نازلوا معاوية بقرية (الحبونية)[٢٨] بإزاء مسكن، وأن معاوية استدرج عبيد الله بن العباس بالمال، فانسلّ إليه ليلاً في خاصته[٢٩]، وتولّى قيس النظر في أمورهم، فيما كانت شائعات معاوية في هذا النزل أن قيساً قُتل[٣٠] في المعركة.

ازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم وفساد نيّات المحكِّمة (الخوارج) بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه مَن يأمن غوائله إلّا خاصته من شيعته وشيعة أبيه عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب اليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه اليه، واشترط له على نفسه في اجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بُدّاً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه ومخالفته، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمّه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة[٣١].

اشترط الحسن في صلحه مع معاوية، ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، والعدول عن القنوت عليه في الصلاة، وان يؤمن شيعته ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ منهم حقّه، فأجابه معاوية إلى ذلك كلّه وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به. وقد أضاف ابن أعثم الكوفي[٣٢] على هذه الشروط أموراً أخرى تتلخّص بالآتي:

١. يسلم الحسن ولاية أمر المؤمنين على أن يعمل معاوية فيهم بكتاب الله وسنّه نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين.

٢. ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

٣. أن يكون الناس آمنين حيث كانوا من أرض الله شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم

وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه.

٤. على معاوية أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي ﷺ غائلة سرّاً وعلانية، ولا يخيف أحداً فيهم في أفق من الآفاق.

وفي باب المقارنة بين ما ورد عند الشيخ المفيد وابن أعثم الكوفي من جهة، وما ذكره الدنيوري والطبري وغيرهما بشأن شروط الصلح تجد اختلافاً بأمور جوهرية في جانب واتفاقاً في آخر.

فمما ذكره الجانب الذي يمثّله الطبري[٣٣] ولم يذكره الجانب الآخر المتمثّل عند ابن أعثم والشيخ المفيد أن شروط الصلح كان من بينها الاستيلاء على أموال بيت مال الكوفة وضمان خراج دار أبجرد، وهذا أمر لا يستقيم مع خلق الحسن عليه السلام ولا المنطق، ذلك أنه ليس من المعقول أن يشترط الحسن عليه السلام شروطاً مالية لنفسه يترتب عليه افتقار الكوفة وأهلها بخلو بيت المال أو التمسّك بخراج دار أبجرد أو الأهواز على رأي البعض وهو يعلم أن الخراج من موارد الدولة وأساس مهم جداً تعتمده في نفقاتها ومنه عطاء الجند.

وكان الدينوري[٣٤] قد سطر شروطاً أخرى فضلاً عما ذكرنا آنفاً وهي كالآتي:

١. أن لا يأخذ أهل العراق بإحنة، وأن يؤمن الأسود والأحمر، ويحتمل ما يكون من هفواتهم.

٢. أن يجعل للحسن خراج الأهواز، ولعلّه زيادة على خراج دار أبجرد يتسلّمه في كلّ عام.

٣. يُحمل إلى أخيه الحسين عليه السلام في كلّ عام ألفي ألف درهم.

٤. يُفضّل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس. وكتب بذلك عبد الله بن عامر وأرسله إلى معاوية فكتب معاوية جميع ذلك بخطّه وختمه بخاتمه وبذل عليه له العهود المركبة والأيمان المغلّظة، وأشْهَدَ على ذلك جميع رؤساء أهل الشام ووجّه به إلى عبد الله بن عامر فأوصله إلى الحسن.

المستقري لشروط الدينوري يلمس فيها مساحة أوسع وأفكاراً يصعب قبولها عند معاوية لخصوصيتها من جهة وعموميتها من جهة أخرى. فما كان في مصلحة المسلمين أن تؤمن سلامة أهل العراق وغيرهم من الشّعوب، وأن يتعامل معهم بسماحة الإسلام، وما كان يُمثّل المصلحة الخاصة، هو أن يتمتّع الحسن بخراج الأهواز، وأن يَحمِلَ للحسين في كلّ عام ألفي ألف درهم، وأن يُفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس.

ونحن نعتقد أن ما ورد ممثلاً للمصلحة الإسلامية العامة أمر ينسجم مع سلوك الإمام الحسن وسجاياه الطّيبة، أمّا ما ذكر الدينوري من منافع مالية خاصة للإمام الحسن وأسرته وأبناء عمومته فهذا ما نستبعده لأن مَن يزهد بالخلافة بوصفها رئاسة الدّين والدنيا لا يفتش عن منافع دنيوية.

وكما اختُلف فيمن هاجم الإمام الحسن، كذلك اختُلف في المكان فمنهم مَن قال هي المدائن[٣٥]

وآخرون قالوا هي مظلم ساباط[٣٦] قبل المدائن، والراجح أنه في مظلم ساباط، ذلك أن علاج الإمام الحسن كان بعدئذ بالمدائن.

كذلك اختُلف في صحّة بيعة قيس بن سعد بن عبادة لمعاوية في الكوفة حينما بويع فيها في ذي القعدة سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، فمنهم مَن وثّق مبايعته لمعاوية[٣٧] وكان من شروط قيس على معاوية في بيعته، أن اشترط له ولشيعة علي عليه السلام الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل في شروطه مالاً، فأعطاه معاوية ما سأل[٣٨]، وآخرون لم يؤكّدوا ذلك، يقول اليعقوبي[٣٩]: «فجثا معاوية على ركبتيه ثم اخذ بيده (يقصد يد قيس) وقال: أقسمت عليك! ثم صفق على كفّه، ونادى الناس: بايع قيس! فقال: كذبتم، والله ما بايعت، ولم يبايع لمعاوية أحد إلّا أخذ عليه الأيمان فكان أوّل من استحلف على بيعته، ودخل اليه سعد بن مالك[٤٠] فقال: السلام عليك أيها الملك، فغضب معاوية فقال: ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال ذاك إن كنّا أمّرناك إنما أنت منتزّ».

وفي تفحّص للظروف العامة التي ألّمت بالإمام الحسن عليه السلام يمكن تصنيفها على وجوه بالشكل الآتي:

١. إن الإمام الحسن كان مصمماً على إتمام مسيرة والده الإمام علي عليه السلام في حرب معاوية وأهل الشام على عصيانهم وخروجهم على شرعية الخلافة وبذلك جهّز جيشه فدفع بقسم منه بقيادة[٤١] عبيد الله بن العباس، ويساعده قيس بن سعد بن عبادة، وأمر الحسن عبيد الله أن يعمل بأمر قيس ورأيه، فتوجّه الجيش إلى ناحية الجزيرة على الفرات، وقيل كان الجيش بقيادة[٤٢] قيس بن سعد بن عبادة، وأن قيساً قاتل جيش معاوية بعد أن وصل جسر منبج وعبر الفرات وصار بإزاء جيش قيس فكان التناوش بينهما متكرراً ووقع القتلى والجرحى بين الطرفين.

٢. كان جيش الإمام الحسن يغلب عليه التردّد والتكاسل عن الحرب ويفتّش عن أي وسيلة ليتخذ منها سبباً في العصيان والتمرّد، وذلك على وفق الفئات التي تكونه فلكلّ منها هدف وخطة ودوافع[٤٣].

٣. توصّل معاوية بجواسيسه وشائعاته الكاذبة وإغراءاته المالية وتهديداته إلى كسب ودّ بعض القبائل العربية والقيادات في جيش الإمام الحسن، ومنهم عبيد الله بن العباس الذي أغراه معاوية بمليون درهم، فصار اليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وفشل في خداع قيس بن سعد وقد قدم له نفس المبلغ الذي قدّمه لابن عباس، لكن قيساً رفض ذلك وأقام على محاربته[٤٤].

٤. تعرّض الإمام الحسن عليه السلام إلى محاولة اغتيال بفعل تآمر أعوان معاوية وهشاشة إخلاص بعض جند الإمام، فوجدها معاوية ارضاً رخوة نفّذ فيها مآربه في مؤامراته فهوجم الإمام الحسن في فسطاطه وانتُهب متاعه، ولما غادر مكانه إلى (مظلم ساباط) هاجمه رجل من بني أسد وكاد أن يقتله، كما نوهنا عن ذلك سابقاً[٤٥].

٥. وكانت خطّة معاوية أن يحدق على الإمام الحسن عليه السلام بظروف صعبة هدّد بعضها حياته،

فيما كان البعض الآخر منها استدراج لقادته بالمال وجرّهم إلى الخيانة، والى جانب ذلك كانت الشّائعات كثيرة ومختلفة الأهداف، وفي ظل ظروف الحرب التي تقتضي الوحدة والطاعة والتضحية يكون جيش الإمام الحسن عليه السلام مشتّتاً ولم يبق منه إلّا شيعته وشيعة أبيه عليهما السلام، وفيها يعرض معاوية على الإمام الحسن الهدنة والصلح، فمن لا يقبلها في ظروف كهذه؟![٤٦].

ثانياً: معاوية ينزو على منبر رسول الله ويحنث بالعهود والمواثيق

ولما استقّر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال:

السلام عليك أيها الملك! فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت: يا أمير المؤمنين؟ فقال: أتقولها جذلانا ضاحكاً؟ والله ما أحبّ أني ولّيتها بما ولّيتها به![٤٧].

وكان الحقد الأموي على آل أبي طالب لا ينطلي ولا يخفى في سلوك معاوية المشحون بسعرات الحقد والكراهية والحسد على الإمام علي عليه السلام، وأبنائه وشيعته من بعده، فيما عرف عن سلوكه في نقض العهود والرياء والكذب ومخالفة الإسلام وجوهره وأحكامه في العدل والمساواة والرحمة والإنسانية.

يقول الشيخ المفيد[٤٨]: «فلما استتمّت الهدنة على ذلك، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك يوم جمعة فصلّى بالناس ضحى النهار، فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلُّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكنني قاتلتكم لا لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون. ألا وأني كنت منيّت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيءٍ منها له».

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً، فلما استتمّت البيعة له من أهلها، صعد المنبر فخطب بالناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فنال منه ونال من الحسن وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين، فقام الحسين ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن فأجلسه ثم قام فقال: «أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدّي رسول الله وجدك حرب، وجدّتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين».

وقال الطبري[٤٩] في حنث معاوية بوعوده للحسن عليه السلام: «فلم ينفذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئاً» وذكر ذلك[٥٠] ابن أعثم بقول معاوية لأهل الكوفة ما نصّهُ: «والآن فقد جمع الله لنا كلمتنا، وأعز دعوتنا، فكل شرط شرطته لكم فهو مردود، وكلّ وعد وعدته أحداً منكم فهو تحت قدمي». وتروي المصادر أن الذي دفع الحسن عليه السلام إلى الصلح مع معاوية هو تخلي قبائل العراق عن القتال وتوجههم إلى معاوية وركونهم إلى الدّعة والتخاذل ولم يكن أبداً توجّهاً منه عليه السلام

ولا هو قصور منه عن الحرب وقتال معاوية[٥١].

يقول ابن الأثير[٥٢] في توضيح ذلك:

كان أمير المؤمنين علي قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن عدوان أهل الشام على العراق، فيما هو يتجهّز للمسير قُتل عليه السلام. فلما قُتل وبايع الناس ولده الحسن، بلغه مسير معاوية في أهل الشام اليه، فتجهّز هو والجيش الذين كانوا بايعوا علياً وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية، وكان قد نزل مسكن، فوصل الحسن إلى المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وقيل: بل كان الحسن قد جعل على مقدّمته عبيد الله بن عباس، فجعل عبيد الله على مقدمته في الطلائع قيس بن سعد بن عبادة، فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد في العسكر: ألا أن قيس بن سعد قُتل فانفروا. فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطاً كان تحته، فازداد لهم بُغضاً ومنهم ذُعراً ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن. وقيل: إنما سلّم الحسن الأمر إلى معاوية لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة اليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شكّ ولا ندم، وانما كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، واما الباكي فثائر، ألا وأن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددنا عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجل، بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كلّ جانب: البقية البقية وأمضى الصلح» وجاء في تسلّط بني أمية واغتصابهم حق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيمة ملكهم عند الله ورسوله ما نصه:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى رفع له ملك بني أمية فنظر إليهم يصعدون منبره واحداً بعد واحد، فشقّ ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يقول: إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية»[٥٣].

فصلح الحسن مع معاوية كان باستفتاء الجند ورغبتهم، ولم يكن بتخاذل من الإمام الحسن ورغبة منه، لكنه استجاب لرغبة جنده وعامة الناس الذي آثروا الذلّ والخضوع لمعاوية[٥٤]، ولما أراد الامام ان يحفظ لهم حقوقهم بكتاب الصلح مع معاوية نقض هذا العهد بعد أن أقسم عليه وهو عنوان لبني أمية في نقض العهود والمواثيق.

ثالثاً: الصورة التي بايع فيها الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية برواية أعثم الكوفي[٥٥]:

دعا الإمام الحسن عليه السلام عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وهو ابن أخت معاوية فقال له: سِرْ إلى معاوية فقل له عنّي: إنك

إذ آمنت الناس على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم بايعتك، وإن لم تؤمنهم لم أبايعك.

قال: فقدم عبد الله بن نوفل بن الحارث على معاوية، فخبره بما قاله الحسن. فقال له معاوية: سل ما أحببت! فقال له: أمرني أن أشرط عليك شروطاً، فقال معاوية: وما هذه الشروط؟ فقال: إنه مسلِّم اليك هذا الأمر على أن له ولاية الأمر من بعدك، وله في كلّ سنه خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال، وله خراج دار أبجرد من أرض فارس، والناس كلّهم آمنون بعضهم من بعض.

فقال معاوية: قد فعلت ذلك.

قال: فدعا معاوية بصحيفة بيضاء[٥٦]، فوضع عليها طينة وختمها بخاتمه، ثم قال: خذ هذه الصحيفة، فانطلق بها إلى الحسن، وقل له فليكتب فيها ما شاء وأحبّ ويشهد أصحابه على ذلك، وهذا خاتمي بإقراري.

قال: فأخذ عبد الله بن نوفل الصحيفة وأقبل إلى الحسن ومعه نفر من أصحابه من أشراف قريش، منهم عبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن سمرة ومن أشبههما من أهل الشام، قال: فدخلوا فسلّموا على الحسن، ثم قالوا: أبا محمد! إن معاوية قد أجابك إلى جميع ما أحببت، فأكتب الذي تُحبّ. فقال الحسن: أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه؛ وأما المال فليس لمعاوية أن يشرط لي في المسلمين، ولكن أكتب غير هذا، وهذا كتاب الصلح.

قال: دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب: «هذا ما اصطلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يُسلم إليه ولاية أمر المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة نبيّه محمدﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين؛ وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله [في] شامهم وعراقهم واتهامهم وحجازهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه، وعلى أنه لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبيﷺ غائلة سراً وعلانية، ولا يخيف أحداً منهم في افق من الافاق، شهد بذلك عبدالله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان».

يظهر مما ورد في النص أن عبد الله بن الحارث اجتهد لنفسه وسطر شروطاً لم يطلبها الإمام الحسن، بل لم يعتمد إلّا واحداً منها بعدئذ، وهو تحقيق الأمن والسلام للناس كافة، وهذا توجه انساني لا خلاف عليه، وهو من أولويات سياسة الإمام الحسنعليه السلام في خلافته لأنه يُحقِّق مصلحة عموم المسلمين.

أما الشرطان الآخران، وهما ولاية الأمر بعد معاوية (الخلافة)، والإيرادات المالية من بيت المال بمقدار خمسة ملايين درهم في السنة، وخراج دار

أبجرد من أرض فارس، فهما مسألتان شخصيتان يعود نفعهما للشخص نفسه دون المسلمين، وهذه النزعة لم تكن من سلوك الإمام الحسن عليه السلام ولا أهلِ بيتهِ، والظاهر أنهما من مخيّلة ابن الحارث ولأسباب يراها هو ولم يرها الإمام الحسن، ومع ذلك فقد وافق معاوية ودفع لابن الحارث صحيفة بيضاء ختمها بخاتمه واستعد لقبول كلّ ما يكتب الإمام الحسن عليه السلام فيها من الشروط تلك التي ابتدعها ابن الحارث وغيرها.

ولما التقى ابن الحارث ووفده الإمام الحسن، بادرهم برفض الولاية من بعد معاوية لأنه لم يرغب فيها، ولو رغب فيها لم يتركها لمعاوية، وأما الشرط المالي فقد رفضه هو الآخر لأنه لم يكن مسوغاً لمعاوية، أن يتصرّف بمال المسلمين.

فيما كانت الشروط التي طلبها الإمام الحسن عليه السلام تُمثِّل المصلحة العامة والالتزام بالشريعة وصاحبها، فكتب لمعاوية أنه يُصالحه على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيّه والخلفاء الصالحين وليس له أن يعهد لأحد من بعده، بل الأمر بيد المسلمين بأسلوب الشورى، وأكّد له أن يضمن أمن الأمة الإسلامية في كلّ مكان، ومنهم شيعة الإمام علي عليه السلام يضمن أمانهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم، وأن لا يكيد للحسن والحسين عليهما السلام ولا لأحد من أهل بيت النبوّة سراً وعلانية، ولا يخيف أحداً منهم في أي مكان، وذُيلّت صحيفة الشروط بشهادة بعض الحاضرين.

أكدت الموارد أن معاوية خان العهد ونقض[٥٧] اتفاق الصلح وتلبّس بالخديعة والرياء وتنصّل عن كلّ العهود والوعود التي قالها أمام المسلمين، أو تلك التي كتبت في صحيفته البيضاء والمرسلة للإمام الحسن، وقد كُتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك[٥٨].

وفي رواية أخرى، أن معاوية أخبر رسوليه عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة: «اعطيا الحسن ما أراد»، فتصالحا على أن يكون ما في بيت مال الكوفة ومقداره خمسة آلاف ألف درهم، وخراج دار أبجرد من بلاد فارس، وأن لا يشتم علياً وهو يسمع فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي، فطلب أن لا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثم لم يفِ له به أيضاً.

وأما خراج دار أبجرد، فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيؤنا لا نعطيه أحداً، وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً[٥٩].

رابعاً: موقف الحسين (عليه السلام) من أحداث الصلح

ذكرت الروايات أنه حينما اكتملت الصورة عند الإمام الحسن عليه السلام وتيقّن أن الحرب بجيشه المشتّت وخذلان بعض القادة، ورغبة عامة الجند بالمصالحة ونبذ الحرب بوسائل الترغيب والترهيب التي اتبعها معاوية وأعوانه. ولما فاتح معاوية الحسن بالصلح بعد أن نفّذ مؤامراته في زرع الفرقة والخلاف في جيش الإمام الحسن، ثم آخرها

نجاحه في شراء ذمم بعض القريبين من فسطاط الإمام الحسن، حيث تمّت مهاجمته في فسطاطه ونهب متاعه، ثم تكرّر الأمر في محاولة اغتياله، بعد كلّ ذلك استقّر رأي الامام الحسن عليه السلام على قبول عرض معاوية في الصلح والأمان، وكتب به اليه.

أخبر الامام الحسن عليه السلام أخاه الحسين عليه السلام وكذلك عبد الله بن جعفر فيما عزم عليه، فقال له الحسين: «نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة علي!، فقال له الحسن: اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك»(٦٠).

ونحن نستبعد أن يكون هذا هو الحوار بنصّه كما ذكره الطبري قد دار بين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، إذ لا يمكن أن تكون المواقف بينهما متناقضة، كذلك كان الإمام الحسن عليه السلام أكثر تماساً مع تطوّر الأحداث التي أضعفت موقف الحسن عليه السلام عسكرياً بتفشّي الخيانة بين جنده، يقول ابن أعثم الكوفي(٦١):

«بعد احداث طعن الإمام الحسن عليه السلام وتوقّف قيس بن سعد بن عبادة عن القتال وكتب إلى الإمام الحسن عليه السلام ما نصه: «وجعل أهل العراق يتوجهّون إلى معاوية قبيلة بعد قبيلة، حتى خف عسكره... فلما قرأ الحسن الكتاب أرسل إلى وجوه أصحابه فدعاهم، ثم قال: يا أهل العراق ما أصنع بجماعتكم معي، وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني، بأن أهل الشّرف منكم قد صاروا إلى معاوية، أما والله ما هذا بمنكَر منكم، لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين، فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم، ثم صار إلى ما صار اليه من كرامة الله إياه، ثم أنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت بيعتكم وخرجت في وجهي هذا، والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلى ما كان، ياأهل العراق فحسبي منكم لا تعزوني في ديني فإني مسلِّم هذا الأمر إلى معاوية. قال فقال له: أخوه الحسين: يا أخي أعيذك بالله من هذا، فقال الحسن، والله لأفعلن ولأسلمن هذا الأمر إلى معاوية».

وجاء في مكان آخر قوله: «التفت الحسين إلى أخيه الحسن فقال: والله لو اجتمعت الخلق طراً على أن لا يكون الذي كان إذا ما استطاعوا، ولقد كنت كارهاً لهذا الأمر ولكنّي لم أحبّ أن أغضبك، إذ كنت أخي وشقيقي»(٦٢).

هذا حوار الحكماء والطّاعة الذي ابتدأ به الحسين أخاه الحسن، وهو ينبئ بإمامة الحسن على أخيه الحسين عليهما السلام، ويؤكّد ضلالة النص الذي ذكره الطبري المشحون بالخلاف وهو ما يُستبعد أن يحصل.

ولما كان موقف قيس بن سعد قريباً من موقف الحسين عليه السلام من أحداث الصلح، وقربه من مفاجآت المواقف في جيش الإمام الحسن عليه السلام بوصفه القائد الميداني له آثرنا أن نستكمل به موقف الإمام الحسين عليه السلام، لأنه صورة واحدة من التداعيات السياسية.

خامساً: موقف قيس بن سعد بن عبادة من بيعة معاوية

ولما دخل معاوية الكوفة لتحقيق مبايعة أهل العراق، لخمس بقين من ربيع الأول وقيل دخلها في شهر جمادى الأولى سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، وكان الصلح قد وقع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية في مسكن في ربيع الآخر من نفس السنة[٦٣].

دخل أهل العراق في طاعة معاوية، ودخل الجند الذين قادهم قيس بن سعد بن عبادة لقتال معاوية وكان عددهم اثني عشر ألفاً في طاعة معاوية، وكان الإمام الحسن قد كتب إلى قيس بن سعد يأمره بالدخول في طاعة معاوية، فلم يفعل، وقام خطيباً بين جنده فقال «يا أيها الناس، اختاروا الدخول في طاعة امام ضلالة، أو القتال مع غير إمام، قالوا: لا، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة، فبايعوا معاوية وانصرف عنهم قيس بن سعد[٦٤]:

يقول ابن أعثم الكوفي[٦٥]: انصرف قيس بجيشه إلى العراق بعد ان اعلنوا مبايعة إمام الضلالة معاوية بقولهم البيعة أيسر علينا من سفك الدماء، وهو يقول:

أتاني بأرض العال[٦٦] من أرض مسكن

بأن إمام الحقّ أضحى مسلما

فما زلت مُذ نبّأته متلدداً

أراعي نجوماً خاشع القلب ناجما

قال: ثم أقبل قيس بن سعد حتى دخل الكوفة والحسن بن علي عليه السلام فيها.

فلم يُبايع قيس بن سعد معاوية، ولما وصل معاوية وجيشه إلى الكوفة، نزل في قصر الإمارة، ثم أرسل إلى الحسن بن علي فدعاه، وقال: هلم أبا محمد إلى البيعة. فأرسل اليه الحسن أبايعك على أن الناس كلّهم آمنون. فقال معاوية: الناس كلّهم آمنون إلّا قيس بن سعد، فإنه لا أمان له عندي، فأرسل الحسن اليه أني لست مبايعاً أو تؤمن الناس جميعاً، وإلّا لم أبايعك. قال: فأجابه معاوية إلى ذلك.

ثم أرسل معاوية بطلب قيس بن سعد ودعاه للمبايعة، فأبى أن يبايع، فدعاه الحسن وأمره أن يبايع معاوية فقال له قيس: يا ابن رسول الله إن لك في عنقي بيعة، وإني والله لا أخلعها أبداً حتى تكون أنت الذي تخلعها! فقال له الحسن: فأنت في حل وسعة من بيعتي، فبايع! فإني قد بايعت، فعندها بايع قيس لمعاوية.

أرسل معاوية إلى قيس بسجِّل قد ختم عليه بأسفله، فقال: اكتب في هذا السجل ما شئت فهولك... فلما بعث اليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومَن معه في طاعته[٦٧].

والرأي عندنا أن مصير سجل قيس بن سعد وما جاء فيه من الضمانات كان كمصير الصحيفة

البيضاء التي تعهد معاوية فيما ورد فيها من الشروط ثم تنصّل ونكث بعهده وقال: هي تحت قدمي، وهذا هو شأن بني أمية في نكث العهود والحنث بالأيمان.

فقال له معاوية: يا قيس! إني قد كنت أكره أن تجتمع إلي وأنت حي، فقال قيس: وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن يصير هذا الأمر إليك وأنا حي. قال: ثم انصرف الناس يومهم ذلك[٦٨] وقد لخص الإمام الحسن عليه السلام في خطبة له في الكوفة أسباب وأهداف صلحه مع معاوية فقال:

«أيها الناس! إن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلق[٦٩] وجابرص[٧٠] رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد علمتم أن الله هداكم بجدّي محمد، وأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلة، وكثركم به بعد القلة، وأن معاوية نازعني على حق هو لي دونه، فنظرت صلاح الأمة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وان معاوية واضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سفكها، ولم أرد بذلك إلّا صلاحكم وبقاءكم، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين»[٧١].

موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من بيعة معاوية

بعد أن ألزم الإمام الحسن عليه السلام معاوية، بالقول والعزم على تطبيق حكم (الناس كلهم آمنون) وأجابه معاوية إلى ذلك عندها أعلن الإمام الحسن عليه السلام مبايعته لمعاوية في الكوفة.

رغب معاوية في بيعة الإمام الحسين عليه السلام «فدعاه إلى البيعة» فأبى الحسين عليه السلام أن يبايع، فقال الحسن: يا معاوية! لا تكرهه فإنه لن يبايع أبداً أو يُقتل، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى تُقتل شيعته، ولن تقتل شيعته حتى يبيد أهل الشام»[٧٢].

قال: فسكت معاوية عن الحسين ولم يكرهه.

وفي استقراء لمقولة الإمام الحسن عليه السلام يتبين أنه روى حادثة الطف قبل وقوعها بتفاصيلها، وهذا ما يؤكّد أن أهل البيت عليهم السلام قد أخبروا بأحداثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال عنه تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم آية ٣-٤.

إن روح المكر والخديعة والكذب والتآمر بأساليب شيطانية حالات موروثة عند بني أمية تعرض للمتتبع في أساليب تعامل أبي سفيان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعاوية مع الإمام علي عليه السلام ومن بعده مع الإمام الحسن عليه السلام، إذ لم يكتفِ معاوية بتدبير الظروف الصعبة التي أحاطت بالإمام الحسن عليه السلام حتى قادته إلى الواقع الذي حلّ به إلى الصلح المشروط معه، بل سعى إلى اغتياله وسرق بالوراثة منصب خلافة المسلمين.

سادساً: اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام)

وجد معاوية بسريرته السوداء أن وجود الحسن عليه السلام في قيد الحياة خطر يُهدّه لأنه يذكره

باغتصاب حقّة في الخلافة، ويغلق بوجهه خطته في توليه العهد لابنه يزيد، فقرّر أن يقضي عليه بأسلوب يحسنه الأمويون بالوراثة بطريقة الاغتيال، وقد وصف لنا الشّيخ المفيد كيف نفّذ معاوية مشروعه اللئيم.

يقول الشيخ المفيد[٧٣]: «لما استقرّ الصلح بين الحسن صلوات الله عليه وبين معاوية... خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها كاظماً غيظه، لازماً منزله، منتظراً لأمر ربه جل اسمه، إلى ان تمّ لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد، فدسّ إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس – وكانت زوجة الحسن عليه السلام – مَن حملها على سمّه، وضمن لها أن يزوجها بابنه يزيد، وأرسل إليها مائة ألف درهم، فسقته جعدة السّم، فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً ومضى عليه السلام لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة، وله يومئذ ثمان وأربعون سنه، فكانت خلافته [يقصد إمامته] عشر سنين، وتولّى أخوه ووصيّه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رحمة الله عليها بالبقيع».

إذن هي خطة وتصميم وإيغال في اللا مشروع والباطل لدى معاوية في اغتصاب حقّ الخلافة لنفسه من أصحابه آل بيت الرسول عليهم السلام، ثم توليه العهد من بعده لابنه يزيد بأسلوب الوراثة المعمول به لدى الفرس والروم وهو يعلم أن يزيد لا يمتلك مؤهّلات الخلافة، فضلاً عن سلوكه المشهور في المجون والخلاعة والخمور وملاعبة القرود[٧٤].

إن ما ترويه بعض المصادر، وهو ان فكرة تولية العهد ليزيد كانت باجتهاد غير مصيب من الآخرين[٧٥] هي دعوى غير صحيحة في رأينا، ذلك أن معاوية يقول عن نفسه (إنه أوّل الملوك)[٧٦] ومَن يكون ملكاً فعرشه لابنه، ولكنه تظاهر بذلك وصوّره للناس بأنه رغبة منهم، ولم تكن بتوجيهات منه ليحتفظ قسراً بالخلافة في بيت آل أبي سفيان الطلقاء[٧٧]، وهو مخالف للشرع. وفي رواية عن السيدة عائشة وهي تخاطب معاوية قولها: «أنت من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة»[٧٨] وكان حديث الطلقاء بعد أن فتح المسلمون مكّة المكرمة سنة ٨هـ/ ٦٢٩م، حينما خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهل مكة قائلاً: «يا معشر قريش، ويا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. ثم قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)»[٧٩].

هذا الموقف الإنساني البليغ الذي أنعم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهل مكة الذين وقفوا منه ومن المسلمين والإسلام موقفاً عدائياً ثابتاً، وجربوا الكثير من المحاولات لقتل الرسول وقتل المسلمين والقضاء على الإسلام، ولما أعياهم القضاء على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برعاية إلاهية ألّبوا عليه الناس في كلّ مكان من بلاد جزيرة العرب والدول الأخرى، ولم يألُ جهداً في إلحاق الضرر بالرسول واصحابه ما أمكنهم ذلك، هذا فضلاً عن اتهامه بشتّى التهم كالجنون وطلب الرئاسة، ونسبة ما جاء به من القرآن الكريم إلى أهل الكتاب ونعتوه بالكذاب والذم، ومع كلّ ذلك وهبهم الحياة وعاملهم

بالتسامح والعفو، بل وضمّ بعض عتاتهم كأبي سفيان وابنه معاوية وغيرهما من المؤلَّفة قلوبهم إلى جيش المسلمين في غزوة هوازن ٨هـ/ ٦٢٩م، ولما كتب الله له النصر ووزّع أموال هوازن كانت عطايا المؤلَّفة[٨٠] قلوبهم مائة بعير لكلّ واحد منهم ولم يحض الأنصار بشيء حتى وجدوا على رسول اللهﷺ، ولما أبلغه سعد بن عباده بذلك اجتمع بهم وخاطبهم في قول من خطابه: «... أفلا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم... وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً»[٨١].

فهل بعد هذه النزعة الإنسانية أفق يعلو عليها في مجتمع أساء وتآمر وألحق الأذى واستعدى الآخرين على رسول اللهﷺ وقابلهم بكلّ هذا الإحسان؟ في ظل هذه السماحة والرفق والرحمة عاش الحسينعليه السلام فتشرّبت الإنسانية في عروقه وقد عاش هذه الأحداث وهو طفل صغير.

وأتبع معاوية تدبير اغتيال الإمام الحسنعليه السلام بقتل[٨٢] حجر بن عدي وأصحابه سنة إحدى وخمسين هجرية ٥١هـ/ ٦٧١م، لأنهم كانوا من شيعة الامام عليعليه السلام، ويواجهون المشاريع الأموية في الاستئثار في السلطة.

قال الحسن البصري: «أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحده لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول اللهﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من أصحاب حجر»[٨٣].

بدأ معاوية في تنفيذ خطّته في ولاية ابنه يزيد بعد[٨٤] وفاة الإمام الحسن عليه السلام وهي إحدى خطواته التي نقض فيها عهد الصلح مع الإمام الحسنعليه السلام ومما يؤكّد أن موضوع البيعة كان من بنات أفكاره ولم يكن بمبادرة من أحد أعوانه، بل وينسبه إلى الإرادة السمّاوية فيقول في كتابه لعامله على المدينة مروان بن الحكم: «الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد[٨٥].

وحيث إن فكرة ولاية العهد ليزيد من مكنوناته بدأ يعرضها تباعاً في تجانس مع المقرّبين إليه، ولم يزل يروّض الناس على بيعة يزيد ويعطي المقارب ويداني المتباعد حتى مال أكثر الناس اليه وأجابوه إلى ذلك[٨٦].

وتُشير بعض الروايات أن بداية بيعة البُشار[٨٧] يزيد كانت في سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، بعد وفاة الامام الحسنعليه السلام بيسير، فيما حجّ يزيد في السّنة السّابقة ليلبس رداء التقوى والأهلية لولاية العهد، وفرق الأموال الكثيرة في مكة والمدينة ليشتري بها قلوب الناس[٨٨] ومنهم مَن قال إنها كانت بعد[٨٩] سنه ٥٣هـ/ ٦٧٢م، ومنهم[٩٠] من قال إن الكتابة والإعلان بولاية العهد كانت سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م، لكن الراجح أنها كانت سنه ٥٦هـ/ ٦٧٥م[٩١]، حيث كتب معاوية إلى عمّاله بذلك

بعد أن وطّد موافقة شيعته[٩٢] من أهل الشام، وطلب من عمّاله أن يوفدوا الوفود من الأمصار ثم كتب معاوية إلى أهل الامصار أن يقدموا عليه، فقدم عليه قوم من أهل الكوفة وأهل البصرة، وأهل مكة والمدينة واهل مصر والجزيرةومن جميع البلاد، فاستشارهم معاوية في البيعة ليزيد[٩٣]، فيما كلّف الضحاك بن قيس الفهري، أنه اذا اجتمعت الوفود أن يدعوه إلى بيعة يزيد[٩٤]. وبدأ أن الدور السري والتحضيري لبيعة يزيد قد استمرّ سبع سنوات[٩٥].

إن المدينة المنوّرة ومكة المكرمة تُمثلان مركز الثقل في موافقة الولايات الإسلامية، لانهما موطن الصحابة وأبنائهم، لذلك عبّأ معاوية كلّ وسائل الترغيب والترهيب لتحقيق موافقة المدينتين المقدّستين في بيعة ولده يزيد.

وكان معاوية قد كتب إلى مروان بن الحكم، وهو عامله على المدينة، يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة يزيد، ويخبره في كتابه أن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا[٩٦].

وهذه الدعوى من أكاذيب معاوية التي لا تنتهي في سياسته للرعية، إذ لم تحصل بيعة هذه الولايات، بل ادّعاها، ولما كتب معاوية إلى ولاته في الأمصار بولاية يزيد، طلب منه مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، أن يتريّث في ذلك، وأن لا يعجل حتى يطالع أهل المدينة في ذلك[٩٧].

سابعاً: موقف الحسين (عليه السلام) من بيعة يزيد

بعد أن قتل معاوية حجر بن عدي واصحابه سنه ٥١هـ/ ٦٧١م، وكان حجر من عظماء أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقد أراد الإمام أن يولّيه رئاسة كنده ويعزل الأشعث بن قيس، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو أكل المرار، فأبى حجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حي.

وهذا من حسن ولائه وسلوكه في قبيلته، واحترامه لتقاليدها، ولعلّه من جهة أخرى لم يرغب في زعامة القبيلة ليتحمل حسن إدارة شؤونها ويتجنّب الانحرافات التي سلكها الأشعث وأبناؤه بصفحات سوداء لا تتشرّف بها قبيلة كندة.

يقول الدينوري[٩٨] بعد أن قتل حجر: «خرج نفر من أشراف أهل الكوفة إلى الحسين بن علي فأخبروه الخبر، فاسترجع وشقّ عليه، فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن علي وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم، فترقّى الخبر اليه فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجالاً من أهل العراق قدموا إلى الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، وهم مقيمون عنده يختلفون اليه، فاكتب اليَّ بالذي تراه، فكتب اليه معاوية لا تعرض للحسين في شيءٍ فقد بايعنا وليس يناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا.

وكتب إلى الحسين: أما بعد فقد انتهت الي أمور عنك لست بها حرياً، لأن من أعطى صفقة يمينه

جدير بالوفاء، فاعلم رحمك الله أني متى أنكرك تستنكرني، ومتى تكدني أكدك، فلا يستفزنك السفهاء الذين يُحبّون الفتنة والسلام.

فكتب اليه الحسين عليه السلام: ما أريد حربك ولا الخلاف عليك. قالوا ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءاً في أنفسهما ولا مكروها ولا قطع عنهما شيئاً مما كان شرط لهما، ولا تغيّر لهما عن بر»[٩٩].

إذا كنّا نقبل ما كتبه مروان إلى معاوية مما أورده الدينوري، فإننا لم نستقبل ما ذكره عن بيعة الحسين عليه السلام لمعاوية، فهو أمر لم يقع، وانما التزم الحسين الصّمت بما أجرى أخوه الحسن عليه السلام من الصلح، أما ما أشار اليه من وفاء معاوية ببنود هذا الصلح، فهو أمر مردود على الدينوري، لأن الموارد تجمع على نكث معاوية لعهوده وحنث بأيمانه، وتنصّل عن وعوده وخالفها وجعل شروط الصلح تحت قدمه كما أشرنا سابقاً

وحينما بدأ جولته في تأمين البيعة لابنه يزيد في المدينة كانت قد بدأت صفحة جديدة من الرفض والمقاومة من قبل الإمام الحسين عليه السلام وآخرين.

إذا كان الجانب الإنساني قد تحقّق في موافقة الإمام الحسين عليه السلام فيما أجراه الإمام الحسن عليه السلام من الصلح مع معاوية طاعة لأخيه، وحقناً للدماء واستيعاباً للواقع المتغيّر، إن هذا الموقف يحفظ القيم الإنسانية في حرمة العهود التي تنص عليها الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ سورة البقرة آية ١٧٧.

بيد أن مبايعة يزيد بولاية العهد تتناقض مع قواعد الصلح والعهد بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام من جهة، وافتقار يزيد بن معاوية للصفات التي تزين المرشّح لمنصب ولاية العهد للخلافة الإسلامية، مما هو مشهور عنه لدى عامة المسلمين من سوء الخلق والسلوك والصفات والعادات.

وكان معاوية قد كتب إلى مروان بن الحكم عامله في المدينة، وطلب منه أن يعرض أمر تولية يزيد على أهلها، فقام مروان في المسجد الأعظم وأخبرهم ما جاء بكتاب معاوية قوله: (إني قد كبرت سّني ودقّ عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخّير لهم مَن يقوم بعدي وقد أستخلف ابنه يزيد بعده)[١٠٠].

فسكت بعض الناس، وقال آخرون أصاب ووفق.

فيما كان كبار أبناء الخلفاء والصحابة ووجوه المدينة قد عارضوا هذا التوجّه من معاوية وهم، الحسين بن علي عليه السلام، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وقام في الناس عبد الرحمن بن أبي بكر مخاطباً مروان وقال: (كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هِرَقْل قام هرقل)[١٠١].

وقام الإمام الحسين عليه السلام فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير ويمكن أن يصنف موقف الحسين عليه السلام وأصحابه الرافض لتوجه

معاوية في البيعة لابنه يزيد على أنه دعم للنزعة الإنسانية، ذلك أن إشغال هذا المنصب الذي يُمثِّل مصلحة الأمة الإسلامية يقتضي أن يتحقّق برغبة هذه الأمة، فضلاً من أن المرشح له هو ممن تجاوز كلّ الحدود في الخلاعة والمجون، فإبعاده والوقوف بوجهه، يعود بنفعه على المجتمع وتعزز فيه القيم والسجايا الإنسانية التي يتطلبها هذا المنصب العام.

وفوق كلّ ذلك نقول: إن من خصائص حكم معاوية الاستبداد والتسلّط والظلم في المعاملة وفرض الضرائب غير الشرعية والترفّع عن مجالسة الرعية والمبالغة في الاحتراس وإنفاق الأموال على القصور والزينة والبذخ في المأكل والملبس والمشرب والمنح والعطايا لوعّاظ السلاطين من الخطباء والبلغاء والشعراء ومجالسه الخاصة، وهو مدرك بأنه يُنفق المال العام لمصالحه الشخصية، يقول الطبري[١٠٢]: (إن معاوية لما حضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال، كأن أراد أن يطيب له الباقي). ولا شكّ أن يزيد يرث هذه المساوئ عن أبيه ويضيف عليها بسلوكه وصفاته، فوقوف الحسين عليه السلام وأصحابه في معارضة هذا التوجّه إحياء للنزعة الإنسانية والعدالة الاجتماعية وروحية الإسلام المحمدي في مقاومة الظلم والتسلّط.

وكانت الوفود التي اجتمعت عند معاوية في الشام والقادمة من العراق وغيره من البلدان قد استمعت إلى صنائع معاوية وهي تسهب في الاطراء والمدح بيزيد ومنهم الضحاك بن قيس الفهري، وعمرو بن سعيد الأشدق، كذلك قام البعض ملوحاً بالقوّة واستعمال السلاح لإقرار البيعة، ومنهم يزيد بن المقنع العذري الذي قال: (هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء)[١٠٣].

قصد معاوية الحجاز بألف فارس بعد أن بايع أهل العراق والشام. ففي العراق كان المغيرة بن شعبة الذي تنسب له فكرة ولاية العهد ليزيد بعد أن أدرك أن معاوية عازم على عزله عن الكوفة وتولية سعيد بن العاص. عرض هذه الفكرة على يزيد فطار فرحاً بها، ونقلها إلى معاوية الذي استحسنها فاستدرك فأبقى المغيرة على الكوفة وعهد إليه أن يتولّى تأمين البيعة ليزيد في ولايته. ولما كتب إلى زياد بن أبيه في البصرة يستشيره بالأمر، وكان زياد لا يرى هذا الرأي، وهو يصف يزيد بأنه: (صاحب رسلة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد). ولما استشار في مضمون كتاب معاوية عبيد بن كعب النميري، وقال له: (القِ أمير المؤمنين مؤدياً عنّي، فأخبره عن فعلات يزيد، فقال له: رويدك بالأمر، فأقمن ا ن يتمّ لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت. فقال عبيد له: أفلا غير هذا قال: ما هو؟

قال: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تمقت إليه ابنه، والقى أنا يزيدَ سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك في بيعته، وأنك تخوف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه، وأنك

ترى له ترك ما ينقم عليه، فيستحكم لأمير المؤمنين الحجة على الناس، ويسهل لك ما تريد، فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة) وبعد أن سارت الأمور كما خطط لها قدم عبيد فأقطعه قطيعة.

وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة، وإلّا يعجل، فقبل ذلك معاوية، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ولما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس بإستخلاف يزيد، إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهد، فأستوسق الناس [اجتمعوا على رأيه] على البيعة ليزيد غير خمسة نفر[١٠٤].

ولو تأملنا مقالة العاملين على الكوفة والبصرة، لتبيّن لنا أن المغيرة انما أشاد بهذه الفكرة طمعاً في البقاء بولاية الكوفة، وكذلك كان زياد حينما استشار عبيد بن كعب النميري في إجابة معاوية، فإنما كان يهدف إلى المحافظة على قناعة معاوية فيه وفي قدراته الإدارية، وكان رأي النميري قد وفر له المخرج لتمتين علاقته بمعاوية حتى وفاته سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م، أما النميري الذي بدأ ناصحاً لزياد بن أبيه، فقد حقّق لنفسه قطيعة لا نعلم سعتها وموقعها، ولكنها المصالح الشخصية بين الأطراف المنتفعة ترسم أحسن الصور لأصحابها.

ولما وصل معاوية إلى المدينة أعرض عن استقبال الحسين عليه السلام وأصحابه المعارضين لمشروعه، فتركوه والتحقوا بمكة المكرمة[١٠٥]، فيما خطب معاوية في المسجد الأعظم في المدينة، وذكر يزيد فحمده وقال: من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتثّ أصولهم، وقد انذرت إن أغنت النذر[١٠٦].

ثم دخل على عائشة وقد بلغها أنه ذكر الحسين عليه السلام وأصحابه، فقال: لا قتلنهم إن لم يبايعوا، فشكاهم اليها، فوعظت وقالت له: بلغني أنك تُهدّدهم بالقتل، فقال: يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكنني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن انقض بيعة قد تمت؟ قالت فأرفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحّب إن شاء الله. قال: أفعل[١٠٧].

ولما حاول أن يلقاهم وكأنه يعتذر منهم أخبر بسفرهم إلى مكة والتقى ابن عباس.

ولما توجّه معاوية إلى مكة لقبه الناس في (بطن[١٠٨] مر) ومعهم المعارضون له، وهم الحسين عليه السلام وأصحابه، فرحّب بهم معاوية وخاطبهم بما يحبّون من الكنى والصفات لهم ولآبائهم إلّا الحسين عليه السلام فلم يأت على أبيه الإمام علي عليه السلام وانما خاطبه: (مرحباً بأبي عبد الله، مرحباً بسيد شباب أهل الجنة).

وإمعاناً من معاوية في تكريمهم قال لغلامه: (عليَّ يا غلام بأربعة من (الظهر)[١٠٩] فأتى بها، فركبوا وساروا وسار معهم معاوية وجعل يحدثهم ويضاحكهم حتى دخل مكة، ثم بعث إلى كلّ واحد منهم بصلة سنية، وفضل عليهم الحسين بن علي بكسوة حسنة، فلم يقبلها الحسين منه)[١١٠].

حاول معاوية بهذا السلوك والتعامل مع الحسين عليه السلام وأصحابه في مكة أن يُحسن العلاقة بينهم وأن يعتذر عن سلوكه الشائن في المدينة، ولعل هذا التغيير كان بفعل تأثير السيدة عائشة التي نصحته بحسن التعامل معهم، لكنه فشل في ضمان تأييد الحسين عليه السلام لمشروعه في ولاية العهد ليزيد حينما رفض قبول صلته وكسوته، فيما قبلها الآخرون، ذلك أن الحسين عليه السلام في تعامله وسلوكه مع الناس، وبني أميه منهم تنتظمه مبادئ وقيم الإسلام الأصيلة التي جاء بها القرآن الكريم وحددها جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما حاول معاوية أن يستدرج الحسين عليه السلام وأصحابه إلى بيعة يزيد بعد أن أقام بمكة فتره لا يذكر من أمر يزيد شيئاً، ثم أرسل إلى الحسين عليه السلام فدعاه، فلما جاءه ودخل اليه قرب مجلسه ثم قال: (أبا عبد الله اعلم أني ما تركت بلداً إلّا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد، وإنما أخّرت المدينة لأني قلت هم أصله وقومه وعشيرته، ومن لا أخافهم عليه، ثم أني بعثت إلى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا أعلم أحداً هو أشد بهامنهم (كذا)[١١١]، ولو علمت أن لأمة محمد صلّى الله عليه وسلّم خير لما بعثت له، فقال له الحسين: مهلاً يا معاوية لا تقل هكذا، فإنك قد تركت من هو خير منه أما وأباً ونفساً، فقال معاوية: كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله! فقال الحسين: فأن أردت نفسي فكان ماذا؟ فقال معاوية: إذاً أخبرك أبا عبد الله! أما أمك فخير من أم يزيد، واما أبوك فله سابقة وفضل، وقرابته من الرسول صلّى الله عليه وسلم ليست لغيره من الناس، غير أنه قد حاكم أبوه أباك، فقضى الله لأبيه على أبيك، وأما أنت وهو فهو والله خير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم منك. فقال الحسين: من خير لأمة محمد يزيد الخمور الفجور! فقال معاوية: مهلاً أبا عبد الله فإنك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلّا حسناً، فقال الحسين: إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل فيما أقول فيه. فقال له معاوية: أبا عبد الله انصرف إلى أهلك راشداً واتق الله في نفسك، واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته فإنهم أعداؤك وأعداء أبيك)[١١٢].

من يتأمّل هذا الحوار الذي دار بين الحسين عليه السلام ومعاوية، يُدرك تماماً أن معاوية قد تعامل بالكذب والبهتان وقلب الحقائق حينما لم يتورّع في تفضيل يزيد على أمة محمد كافة، وعد الباطل والمكر والزور الذي قاتل فيه علياً نصراً من الله، وأقسم أن ابنه يزيد خير من الحسين عليه السلام لأمة محمد، وهو في مناسبة سابقة خاطبه (بسيد شباب أهل الجنة) ولما لطمه الحسين عليه السلام بموبقات ابنه يزيد من الخمور والفجور، لجأ إلى التهديد بأهل الشام، وقد أعيته السبل إلّا سبيل الظلم والتسلّط والقسّوة.

لكن خلاصة الحوار تمخضت بنتيجة واحدة وواضحة، وهي أن الحسين عليه السلام سيبقى معارضاً لولاية يزيد، لأنها استغفال لأمة المسلمين واستباحة لحقوقهم وعودة بهم إلى الجاهلية الأولى وخصوصيتها في تسلّط الحاكمين على الشعوب بأساليب القسر والظلم والاستعباد وانحسار قيم السّماء ومبادئ الإسلام والعدالة الاجتماعية، بل

وفتح باب الشرك مجدّداً فيما نسب إلى معاوية من بيع[١١٣] الأصنام الذهبية في الهند. وجهره يدعوى الكفر[١١٤].

وكان موقف أصحاب الحسين عليه السلام، عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، قريبة من موقف الحسين عليه السلام في الرفض، وإن ترك بعضهم خيطاً من الصلة مع معاوية الذي لوّح لهم وهدّدهم بأهل الشام[١١٥].

وجدد معاوية الجوائز مرّة أخرى لقريش عامة عدا بني هاشم، ولما كلّمه ابن عباس في حرمان بني هاشم تذرّع معاوية بقوله: (لأن صاحبكم الحسين بن علي أبى عليَّ أن يبايع يزيد)؛ فقال ابن عباس: (إنه قد أبى غير الحسين فأعطيته، فقال معاوية: صدقت يا ابن عباس، ..... ثم أمر معاوية لبني هاشم بجوائز سنيّة، فكلّ قبل جائزته إلّا الحسين بن علي، فإنه لم يقبل من ذلك شيئاً)[١١٦].

وفي اليوم التالي خرج معاوية، وأقبل حتى دخل المسجد ثم صعد المنبر فجلس عليه، ونودي له في الناس فاجتمعوا، وأقبل الحسين بن علي وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير حتى جلسوا إلى المنبر، فوثب معاوية قائماً وقال: (أيها الناس.... زعموا أن الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير لم يبايعوا يزيد، وهؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذاً سامعين مطيعين، وقد سلّموا وبايعوا وأجابوا وأطاعوا. قال: فضرب أهل الشام بأيديهم إلى سيوفهم فسلّوها ثم قالوا: يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي تعظمه من أمر هؤلاء الاربعة؟ إئذن لنا أن نضرب أعناقهم فإنا لا نرضى أن يبايعوا سراً، ولكن يبايعوا جهراً حتى يسمع الناس..... قال فبقي الحسين بن علي وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير حيارى لا يدرون ما يقولون، يخافون أن يقولوا: لم نبايع، والموت الأحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام، أو وقوع فتنة عظيمة فسكتوا ولم يقولوا شيئاً، ونزل معاوية عن المنبر، وتفرّق الناس وهم يظنون أن هؤلاء الأربعة قد بايعوا. قال: وقربت رواحل معاوية فمضى في رفاقه وأصحابه إلى الشام)[١١٧].

ختم معاوية وجوده في مكة بفرية كبيرة لم يخشَ فيها بيت الله الحرام، فأدّعى مبايعة هؤلاء الأربعة وهم رفضوا البيعة مرتين في المدينة ومكة، لكنه خدعهم وخدع الناس باجتماعهم في المسجد الحرام مرة أخرى مدعياً بيعتهم وقد رتب صنائعه من أهل الشام بسيوفهم الذين فرضوا الحالة التي أرادها معاوية، وهو يقول: (إني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن ردّ عليَّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلّا على نفسه، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كلّ رجل من هؤلاء رجلين ومع كلّ واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد عليَّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما، ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر..... ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبت أمر دونهم ولا

يقضى إلّا عن مشورتهم، وأنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد. فبايعوا على اسم الله! فبايع الناس، وكانوا يتربّصون بيعة هؤلاء النفر)[١١٨].

ثامناً: وفاة معاوية وتداعي المتغيرات

هلك معاوية في سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م من الهجرة، وفي شهر رجب، لكنه اختلف في يوم وفاته فمنهم من جعله لهلال شهر رجب، وقيل في النصف منه، أو لثمان بقين منه[١١٩].

وكان قد بايع لابنه يزيد بالخلافة في حياته، فبايعه رجال دولته والناس من بعدهم، ثم أمره أن يلبس ثياب الخلافة ويخرج إلى الناس فيصعد المنبر ويخطب[١٢٠].

وجاء في العهد الذي كتبه إلى ابنه يزيد: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهده معاوية أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد، أنه قد بايعه وعهد اليه، وجعل له الخلافة من بعده، وأمره بالرّعية والقيام بهم. والإحسان إليهم، وقد سّماه (أمير المؤمنين)، وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل والإنصاف.

وأن يُعاقب على الجرم، ويُجازي على الإحسان... وأعلم يا بني أني أخاف عليك من هذه الأمة أن تنازعك في هذا الأمر الذي قد رفعت لك قواعده، وخصوصاً أربعة نفر من قريش، منهم عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وشبيه أبيه الحسين بن علي.... إياك يا بني أن تلقى الله بدمه فتكون من الهالكين...)[١٢١].

وجاء في موارد أخرى أن معاوية حذر ابنه يزيد من قتل الحسين عليه السلام وأوصاه بالصفح عنه بقوله: (فأما الحسين بن علي فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه فإن فعل فظفرت به فاصفح عنه)[١٢٢]، وأضاف أبو مخنف على هذا النص فقال: (... وأعلم يا بني أن أباه خير من أبيك وجدّه خير من جدّك وأمه خير من أمك)[١٢٣].

وإن كّنا نستبعد أن يكون معاوية مخلصاً في وصيته لابنه يزيد، وهو قد تعامل مع الحسين عليه السلام بكلّ قسوة وعنف وتهديد دون أن يشهر الحسين عليه السلام عليه سيفاً.

وإذا كانت وصيّته على ظاهرها تحذيراً ليزيد من قتل الحسين عليه السلام إذا ما قاتله بالحق، غير أن يزيد على ما يبدو قد فهم المعنى الباطن للوصية فنفذ مآربه العدوانية المشحونة بالحقد الدفين على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقتل والسبي وانتهاك الحرمات.

ذكر أبو مخنف[١٢٤]: أن سليمان بن صرد الخزاعي مع وفد يرافقه من شيعة علي عليه السلام دخل على الإمام الحسن عليه السلام حين صالح معاوية وهو بالكوفة، فبعد أن سلّم عليه أبدى تعجّبه من بيعته لمعاوية ومعه هذا العدد الكثير من الأنصار من أهل الكوفة والبصرة والحجاز، ولم يأخذ لنفسه ثقة في العهد ولاحظاً في العطية، ولم يشهد شهوداً بأن هذا الأمر له من بعد معاوية.

قال الإمام الحسن عليه السلام: (ما كنت بالذي أشرط شرطاً فأنقضه، ولا أعاهد عهداً فأرجع فيه مذموماً... ولو كنت ممّن يعمل الأمر للدنيا

وسلطانها ما كان معاوية أشدّ منّي بأساً ولا أصعب مني مراساً، ولكني رأيت مالم ترون، وأُشهد الله أني لم أرد بذلك إلّا حقن دمائكم وإصلاح شأنكم، فارضوا بقضاء الله وسلِّموا الأمر اليه والزموا بيوتكم...).

ثم دخل الوفد على الإمام الحسين عليه السلام لمعرفة رأيه في موقف الإمام الحسن عليه السلام وصلحه مع معاوية، فقال الحسين عليه السلام:

(إن أمر الله كان مفعولا، وإن أمر الله كان قدراً مقدورا، إنه كان أمراً مقضيا، والله لو اجتمعت الإنس والجن على الذي كان أن لا يكون لما استطاعوا، والله لقد كنت طيّب النفس بالموت حتى عزم عليَّ أخي الحسن وناشدني الله أن لا أنفذ أمراً ولا أحرّك ساكنا فأطعته... والآن كان صلحاً وكانت بيعة، ولننظر ما دام هذا الرجل حياً، فإذا مات نظرنا ونظرتم...).

وكان الحسين عليه السلام قد آمن بما أجراه أخوه الحسن عليه السلام من الصلح مع معاوية والتزم بخلق كريم بقواعد الاتفاق بين الطرفين، ولم يستجب لدعوة بعض شيعته في مواجهة معاوية، الذين حثّوا الإمام الحسن عليه السلام على نقض الصلح وقتال معاوية فردّهم بمبررات الصلح، وهي دفع القتل عن شيعة علي عليه السلام وتباطؤ ونكول الجيش عن القتال، وعندما قصدوا الحسين عليه السلام لنفس السبب قال لهم (صدق أبو محمد [يقصد الامام الحسن] فليكن كلّ رجل منكم حلساً[١٢٥] من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان [يقصد معاوية] حياً)[١٢٦].

وتجدّد موقف الإمام الحسين المبدئي والسلمي بعد وفاة أخيه الإمام الحسن عليه السلام في عدم الموافقة بحرب معاوية احتراماً لنصوص الصلح الذي أمضاه أخوه الحسن عليه السلام مع نقض معاوية لنصوصه مما يسوّغ للإمام الحسين عليه السلام التعامل بالمثل، لكنه لم يكن يؤمن بإخلاف الوعد ونقض العهد، لأن ذلك لا ينسجم مع خلقه وسلوكه في الحياة.

يقول الدينوري[١٢٧]: (بلغ أهل الكوفة وفاة الحسن فاجتمع عظماؤهم فكتبوا إلى الحسين رضي الله عنه، يعزّونه، وكتب اليه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، وكان أمحضهم حباً ومودة، أما بعد فإن من قبلنا من شيعتك متطلعة أنفسهم اليك، لا يعدلون بك أحداً، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب وعرفوك باللين لأوليائك والغلظة على أعدائك والشدّة في أمر الله فإن كنت تُحب أن تطلب هذا الأمر، فأقدم علينا فقد وطَّنا أنفسنا على الموت معك. فكتب إليهم أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفّقه وسدّده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذاك، فألصقوا رحمكم الله بالأرض وأكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة، مادام معاوية حياً، فإن يحدث الله به حدثاً وأنا حي كتبت اليكم برأيي والسلام).

تاسعاً: عدوانية يزيد والمواقف الحقة والإنسانية للإمام الحسين (عليه السلام)

ثمة مسألة جديرة بالذكر والاهتمام من القارئ الكريم، إن الباحث لم يعنَ بتفاصيل ثورة الإمام

الحسين وواقعة الطف، إنما انصب البحث على المواقف الإنسانية الرؤوفة الرحيمة التي وقفها الإمام الحسين عليه السلام قبل الحرب وفي أثنائها من أصحابه وأعدائه، وهو بذلك يعيد سيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموصوف بالرأفة والرحمة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة آية ١٢٨.

كتب يزيد إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأمره بأخذ البيعة له من عامة الناس ومن الأربعة خاصةً وفي مقدّمتهم الإمام الحسين عليه السلام، فمن لم يُبايعك منهم فأنفذ الي برأسه. فلما استدعي الوليد الإمام الحسين عليه السلام، أستعدّ للقائه برفقة ثلاثين رجلاً من بنيه وبني عمومته وشيعته ومواليه فوقفوا على باب الوليد واتفق معهم إذا سمعتم صوتي قد علا فأهجموا ولا تبرحوا حتى أخرج اليكم، ولما قابله وعرض عليه الوليد البيعة ليزيد، قال الحسين عليه السلام:

(إن مثلي لا يُبايع سراً ولا أظنكم ترضون بهذا، ولكن إذا خرجت غداً ودعوت الناس إلى البيعة فادعنا معهم).

وكان مروان بن الحكم إلى جوار الوليد فحثه على أخذ بيعته أو يضرب عنقه، فاستنكر قول مروان لمكانته عند الله ورسوله، ولما سمع الحسين قول مروان وبّخه واستهجنه وانصرف إلى منزله.

ولما ألحّ الوليد بالرسل بطلب الحسين، قال له: (إياك والعجلة حتى ننظر وتنظرون).

ثم أرسل الوليد للحسين جماعة في آخر الليل، وقال لهم لا ترجعوا إلّا به، فساروا مستعدين للقتال والهجوم عليه، فإذا هو قد خرج من المدينة يريد مكة، ومعه بنوه ومواليه وبنو أخيه وجميع أهل بيته إلا محمداً بن الحنفية.

وكان خروجه من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين من الهجرة، ووصل إلى مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان من نفس السنة. وكان الحسين عليه السلام قد زار[١٢٨] جدّه وأعلمه بأسباب هجرته من المدينة مكرهاً، فمرت به رؤيا بشّره جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشهادة[١٢٩]، فكانت أوّل إمارات الإنسانية في شهادته وهو يواجه الظالمين. وقد لخّص الإمام الحسين أهداف ثورته على الحكم الأموي في وصّيته لأخيه محمد بن الحنفية جاء فيها:

(إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنّار حقّ، وأن الساعة آتيه لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور، وإني لم أخرج أشراً[١٣٠]، ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وأنما خرجت لطلب النجاح والاصلاح في أمة جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحق، ومَن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ ويحكم بيني وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين)[١٣١].

وماذا بعد هذه الأسباب والدوافع التي حملت الإمام الحسين عليه السلام على الثورة والتضحية، فقد وصف نفسه بأنه لم يثر على الظالمين رغبة بالثورة، وهو ليس بالمستكبر ولا المفسد ولا الظالم، وإنما حدّد خروجه بالإصلاح بعد أن رأى وتلمَّس هو والجماعة الإسلامية الانحراف الأموي، كذلك انتظمت ثورته بالمبادئ الإنسانية التي خطّها الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده الإمام علي عليه السلام، فقد ثار لتحقيق هذه الأهداف وتخليص الإنسانية المعذبة بالجور الأموي، فمن أيده واصطفّ معه كان مع الحقّ الإلهي، ومن فارقه فهو خصمه عند الله تعالى.

ولما علم زعماء الشيعة في الكوفة بوفاة معاوية، وامتناع الحسين عليه السلام من بيعة يزيد وخروجه إلى مكة كتبوا اليه يطلبون قدومه على عجل، وألحقوا كتبهم بالرسل اليه[١٣٢].

وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس، ثم كتب مع هانئ ابن هانئ وسعيد بن عبد الله وكانا آخر الرسل:

من الحسين بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين....

أما بعد: فإن هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم:

إنه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وإني باعث اليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليَّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، والقائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذات الله، والسلام[١٣٣].

وذكر الدنيوري[١٣٤] أن مجموع الكتب التي وردت الحسين عليه السلام مائة كتاب، وهو ما مُلِئ منها خرجان.

ونحن نقرأ كتاب الحسين عليه السلام الذي أرسله إلى أهل الكوفة نتلمّس العلامات الإنسانية التي يعتمدها سيّد الشهداء عليه السلام، وهي أن كتاب أهل الكوفة أراد بوصول الحسين عليه السلام اليهم أن يجمعهم على الهدى والحقّ، وهما من خصائص سيرة الحسين عليه السلام وهل بعد هذين الهدفين من غايات إنسانية؟، ثم إن الحسين عليه السلام بكتابه اليهم أراد أن تكون الإرادة الجماهيرية عامة، فيجتمع سواد الناس وأهل الحجى والفضل، وهم الملأ، في دعوته حتى تتوفّر مصلحة المسلمين كافة، فإن تحقّق ذلك عجَّل بالذهاب اليهم.

ثم ختم الحسين عليه السلام كتابه بالأهداف الإنسانية التي ينشدها في الحاكم، وهي الحكم بكتاب الله، والقيام بالقسط والعدل، والتزام جانب الحق، وينذر نفسه إلى ذات الله بالإخلاص له، وهل بعد هذه الخصائص في الحاكم من نزعة إنسانية؟.

وبموجب الأدلة المادية المتوفّرة لدى الإمام الحسين عليه السلام مما ورده من الكتب والرسل من أهل الكوفة وهو يعلم صفحات الظلم والمنكر اللذين يحكم بهما آل أمية عامة المسلمين، فضلاً عما تضاعف من هذا الظلم بأساليب مختلفة على

شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أصبح واجباً شرعياً أن ينهض الحسين عليه السلام، وقد توفّرت لديه الأسباب الموجبة تحقيقاً لأحد أصول الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هكذا نفّذ الإمام الحسين عليه السلام خطّته في الثورة على الظالمين فأرسل ابن عمّه وثقته (مسلم بن عقيل) إلى الكوفة وأوصاه (بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين[١٣٥] [بمعنى مجتمعين] عجّل اليه بذلك)[١٣٦].

ووصية الحسين عليه السلام لرسوله مسلم بن عقيل ذات شعبتين، الأولى تتعلّق بسلوكه وسيرته في التقوى والكتمان واللطف، والثانية استفتاء لإرادة الناس ورغبتهم، ليطمئن من شرعية نهضته، وفي كليهما تتحقّق الأهداف الإنسانية.

وبدأت مأساة ابن عقيل في خطواته الأولى التي توجّه فيها إلى الكوفة، فقد ضلّ الدليلان الطريق وأصابهم العطش الشديد، فعجز الدليلان عن السير وأومآ إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم ذلك السنن، ومات الدليلان عطشاً[١٣٧].

وكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام ما حلّ به وبالدليلين من موضع يعرف بـ (المضيق من بطن الخبث)[١٣٨]، وقد تطيّر[١٣٩] مما حصل في سفره هذا، وعرض على الحسين عليه السلام قائلاً (فإن أردت أن تعفيني وتبعث غيري فافعل)[١٤٠].

فلما قرأ الحسين عليه السلام كتاب مسلم علم أنه قد تشاءم وتطير من موت الدليلين، وأنه جزع، فكتب اليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى مسلم بن عقيل، أما بعد فاني خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليَّ والاستعفاء من وجهك هذا الذي أنت فيه إلّا الجبن والفشل فامض لما أُمرت به والسلام عليك ورحمه الله وبركاته)[١٤١].

وهذا معنى إنساني آخر التزم به الإمام الحسين عليه السلام وهو الإقدام والثبات ومقارعة الأحداث بالإيمان والتضحية، لأن الاهداف الكبيرة لا تحقّقها إلّا العزائم التي لا تلين.

وفي موضع آخر ذكر أن الحسين عليه السلام أخير مسلماً بقوله (ما منا أهل البيت مَن يتطيّر ولا يُتطير به)[١٤٢] وهذا شرف كبير لمسلم بن عقيل وقد عدّه الحسين عليه السلام من أهل البيت، لذلك ورد أنه قال بعد قراءة كتاب الحسين عليه السلام اليه: (هذا ما لست أتخوّفه على نفسي)[١٤٣].

ومرَّ مسلم بن عقيل في الكوفة بدعوته بين التأييد والخذلان ومكائد عبيد الله بن زياد وزبانيته حتى انتهى به الأمر إلى أن يُقاتل وحيداً ويستشهد وهو ظمآن عطشان ويُقتل شرّ قتلة ويُمَّثل بجثته بأسلوب متوحّش يدل على بربرية الحكم الأموي[١٤٤].

وأُتبع قتل مسلم بقتل هانئ بن عروه المذحجي بتهمة مساعدة مسلم بن عقيل والتستّر عليه وكانت صوره أخرى من التوحش الأموي في القتل والتمثيل بالقتلى، وقد سُحِبَ القتيلان مسلم وهانئ في الشوارع والأسواق وبعث برأسيهما

ابن زياد إلى سيّده يزيد ابن معاوية فطرب لذلك وامتدح عبيد الله بن زياد في إخلاصه للظالمين.

قال الفرزدق[١٤٥] في مأساة مسلم وهانئ:

فإن كُنتِ لا تدرِينَ ما الموت فانظُرِي

إلى هـاني بـالسُّـوق وابـن عَقِيلِ

إلى بطلٍ قد هَشَّم السَّيف وجْهَهُ

وآخريهوي مِن جَـدَار قَتِيلِ[١٤٦]

وفي اللقاء الذي حصل بين ابن زياد وابن عقيل قبل ان يُقتَلْ الأخير قال ابن زياد (أخبرني يا مسلم لم أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشتّت امرهم بينهم وفرّقت كلّمتهم؟

فقال له مسلم: ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمرتم على الناس بغير رضى منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم به الله، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك كما أمر رسول الله ﷺ)[١٤٧].

فالعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ من أهداف الثورة الحسينية وهي من أبرز مقتضيات النزعة الإنسانية التي سعى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام وهو ما بشَّر به رسوله مسلم بن عقيل قبل استشهاده وهو يحاور أداة من أدوات الظلم والتعّسف الأموي.

عاشراً: الإمام الحسين (عليه السلام) يغادر مكة متوجهاً إلى الكوفة في العراق

كان خروج مسلم بن عقيل رحمة الله عليهما بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنه ستين (٨ من ذي الحجة سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م)، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفه (٩ من ذي الحجة من نفس السنة) وكان توجّه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة وهو يوم التروية بعد مقامه بمكة بقية شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة وثماني ليال خلون من ذي الحجة سنة ستين، وكان قد اجتمع اليه مدّة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة انضافوا إلى أهل بيته ومواليه[١٤٨].

وكان تصميم الحسين عليه السلام على مقارعة الظالمين ونجدة الأمه الإسلامية وتخليصها مما لحقها من آثام وموبقات وتعسّف وتسلّط بني أمية أمراً وقناعة ويقيناً لا يلين، لذلك لم يفلح من دعاه وهو في طريقه إلى مكة من المدينة، أو في وجوده في مكة، أو سفره إلى العراق، لعقد الصلح[١٤٩] مع حكام بني أمية، أو إلى التوجّه إلى جهة أخرى غير الكوفة في العراق، أو إلى ترك الخروج على الحكم الأموي والإقلاع عن خطّته في الإصلاح أو تأجيلها إلى وقت آخر[١٥٠].

كذلك لم يثنِ عزم الحسين عليه السلام من تنفيذ خطته ومشروعه في الإصلاح وتطبيق تعاليم الاسلام التي انحرف بها الأمويون مقتل مسلم وهانئ[١٥١]

وعبد الله بن يقطر، فقد أُعلم بمقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة حينما نزل الثعلبية[١٥٢] وأُعلم بمقتل عبد الله بن يقطر حينما انتهى إلى زبالة[١٥٣]، فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم، جاء فيه:

(بسم الله الرّحمن الرّحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الإنصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام.

فتفرّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة ونفر يسير ممن إنضووا اليه. وأنما فعل ذلك، لأنه عليه السلام علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون)[١٥٤].

فالصدق والصراحة والنصيحة هي من مبادئ الإسلام التي بشَّر بها، وهي من خصائص النزعة الإنسانية في كلّ عصر. ولم يستوقف الحسين عليه السلام عن عزمه في الإصلاح الإرهاب الأموي الذي حمله مضمون الكتاب الذي بعث به يزيد إلى ابن زياد وهو: (بلغني أن الحسين ابن علي قد توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة...)[١٥٥].

كذلك زاد ابن زياد في الاحتراس وأمعن في القسوة والظلم، حينما بلغه توجّه الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة، فبعث[١٥٦] الحصين بن نمير صاحب شرطته حتى نزل القادسية[١٥٧]، ونظم الخيل بين القادسية إلى خفان[١٥٨]، وما بين القادسية إلى القطقطانة[١٥٩].

وهذه هي صورة الهلع والخوف التي انتابت يزيد بن معاوية رأس السلطة الأموية ووالية الواسع النفوذ كأبيه عبيد الله بن زياد، مع علمهم بكثرة جنود الباطل لديهم وقلّة جنود الحقّ المرافقة للحسين، مشفوعة بأساليب الخداع والمكر والظلم والتسلّط على الرّعية، كلّ ذلك لم يشفع للظالمين من الرعب الذي أحاط بهم، بإقدام الحسين وجند الحقّ الذين آلوا على أنفسهم بتطبيق العدالة الاجتماعية من خلال زلزلة النظام الأموي والتمهيد لسقوطه.

كان إيمان الحسين عليه السلام في قضيّته ثابتاً، وقد تجاوز فيه كلّ الأراء التي لا تعتمد توجهه في الإصلاح والتغيير، ومنها ما كان له من الحوار مع عبد الله بن مطيع العدوي وهو يغادر الحاجر[١٦٠] ويسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي، وهو نازل به، فلما رأى الحسين عليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وامي يا ابن رسول الله، ما أقدمك ؟ واحتمله وأنزله، فقال له الحسين عليه السلام: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب اليَّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم، فقال له عبد الله بن مطيع:

أذكّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في

حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تُنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني امية، فأبى الحسين عليه السلام إلّا أن يمضي[١٦١].

من الممكن أن نلقي الضوء على ما قاله عبد الله بن مطيع العدوي إذ حدّد فيها مكانة الحسين عليه السلام، وانتهاك حرمته بالقتل تعني سقوط المهابة لكلّ شيء، فحرمته هي حرمة الإسلام وحرمة العرب وحرمة قريش، وهذا الأمر يدركه الأمويون بكلّ أبعاده، لذلك فثورته كانت تعني ترسيخ هذه الحرمة التي يُمثّلها الحسين عليه السلام لأنه قيمه هي القيم والمبادئ الصالحة التي عرفتها قريش والعرب عامة وزينها الإسلام، من هنا كان الزلزال في نفوس الأمويين وأعوانهم فتآزروا بكل وسائل الباطل والظلم لوأد هذه الثورة، بيد أن نجاحهم كان إلى حين اختفاء وهج الثورة، فيما كانت مبادئها قد ترسَّخت في نفوس الجماهير التي عاودت الثورة في مرات ومتكررّة عبر العهود حتى اجتُثت الجذور الأموية من مواطنها الوحلة.

وكان عبيد الله بن زياد قد قطع الطرق التي تصل الكوفة رهبة في نفسه وتسلطاً على الآخرين وقد فعل: (فأخذ ما بين واقصة[١٦٢] إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، وأقبل الحسين عليه السلام لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب، فسألهم فقالوا لا والله ما ندري، غير إنا لا نستطيع أن نلج (أو نخرج) فسار تلقاء وجهه عليه السلام)[١٦٣]. وكانت الشجاعة والتحدي سمة بارزة تحلّى بها الحسين عليه السلام وأصحابه، ومنهم قيس بن مسهر الصيداوي الذي بعثه الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة ولم يكن يعلم بخبر مسلم بن عقيل، ومعه كتاب يوصي الحسين عليه السلام أتباعه من أهل الكوفة بقوله: (إنكمشوا في أمركم وجدّوا، فإني قادم عليكم في ايامي هذه)،

وكان كتابه هذا ورسوله إجابةً لكتاب مسلم وأهل الكوفة الذين أعلموا الحسين عليه السلام بأنه له مائة ألف سيف وحثّوه على السرعة في القدوم.

ولما وصل قيس بن مسهر الصيدواي إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير وأنفذه إلى عبيد الله بن زياد، الذي طلب منه أن ينال من الحسين وأهل بيته، لكن الصيداوي بخلاف ذلك استغفر للحسين وآل بيته ولعن عبيد الله بن زياد وأهله وآل أمية قاطبة، فأمر الظالم عبيد الله بن زياد أن يُرمى الصيداوي من فوق القصر، فرموه وفارق الحياة رحمه الله، فكان في طريقة قتله باباً مأساوياً دخله من قبلِ مسلم بن عقيل بنفس الأسلوب الأموي المتوحش[١٦٤].

الحادي عشر: الرحمة في ثورة الحسين (عليه السلام) ينالها الإنسان والحيوان مقابل ظلم الأعداء

في شراف[١٦٥] أبصر الحسين وأصحابه جند عبيد الله بن زياد عن بعد فالتجأوا إلى ذي حسمى[١٦٦] (حسم) واستقبلوا القوم بوجه

واحد، ولما وصلوا إليهم كانوا ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد التميمي فوقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلّدون أسيافهم فقال الحسين عليه السلام لفتيانه:

(اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيلَ ترشيفاً)، ففعلوا واقبلوا يملأون القصاع والطاسات من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر، حتى سقوها كلّها.

فقال علي بن الطحان المحاربي، كنت مع الحر يومئذ فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال:

(أنخ الراوية)، والراوية عندي السقاء، ثم قال: (يا ابن أخي أنخ الجمل) فأنخته فقال:

(اشرب) فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: (أخنث السقاء) أي اعطفه، فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنثه فشربت وسقيت فرسي)[١٦٧].

هكذا هي تربية الحسين عليه السلام وهذه مبادئه يُقدّم العون والمساعدة حتى لأعدائه الذين جاؤا بإمرة عبيد الله بن زياد، ولم تقف أفضاله على الناس، بل تعدتها للحيوانات فسقى خيول الأعداء، وأنجز فتيانه تكرار إرواء الخيول كافة لخمس مرّات، بل أشترك بيديه الكريمتين وساعد في سقاء أحدهم وفرسه.

الماء نفسهُ كان احد أسلحة الظالمين التي شهروها على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فمنعوا الماء عنهم وهم يقاتلونهم فضاعفوا من مأساة القتال، وأكّدوا بسلوكهم هذا جبنهم وبهيميتهم وافتقارهم إلى الحسّ الإنساني فقد كتب عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بهذا الخصوص ما يأتي:

(فأمره أن ينزل على حكمي، فأن أطاع وإلّا أمنعه من شرب الماء فإني حللته على اليهود والنصارى، وحرمته عليه وعلى أهل بيته)[١٦٨].

أي حقدٍ وكراهية ولؤم وخبث هذا الذي يحمله ابن زياد بهيمة (الحكم الأموي) وأي منافق كان ابن سعد ذليلاً في طاعته لبني أمية، فيما كانت كلّ الإنسانية تتجسّم في سلوك الحسين عليه السلام.

ولعلّ هذين الموقفين يؤشران العدل والرأفة اللذين ازدان بهما تعامل الحسين عليه السلام مع أعدائه، مقابل ظلم بني أمية وعشقهم لأساليب البطش والقسوة والاستكبار التي يسلّطونها على المسلمين عامة، وعلى آل أبي طالب خاصة، وهم ذاتهم في عدوان معاوية على الإمام علي عليه السلام في معركة صفّين[١٦٩] حيث جرَّب سلاح الخسة نفسه بمنع الماء عن جيش علي عليه السلام باستيلاء زبانيته على الآبار، فأمر الإمام علي عليه السلام أصحابه بإزاحتهم وطردهم عن الآبار، وهو ما حصل وعاد الماء في حوزة جيش الإمام علي، لكنه أمر جنده بالسماح لجيش معاوية بالارتواء وأخذ كفايتهم من الماء فلما غلب جند الإمام علي على الماء وطرد جنده أهل الشام بعث إلى معاوية: (إنا لا نكافيك بصنعك، هلم إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء)[١٧٠]، وتلك هي العدالة الإنسانية في بيت النبوّة والوحي.

وكانت الشجاعة عنوان ثورة الحسين عليه السلام، وقد تلمسّنا ذلك من إجاباته لمن حاول أن يُثنيه من إقدامه على الثورة بوجه الطغاة من بني أمية، كذلك تجسّد ذلك في خطابه للحر بن يزيد التميمي وفرسانه الألف وهو بالعدد القليل، ثم كانت وقفة الشموخ والتحدّي في يوم الطف بشعاره الخالد: (والله لا أعطي بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد)[١٧١].

ومن حواره مع الحر بن يزيد التميمي القائد الأموي نقتطف ما يأتي:

قال الحر للحسين بعد أن شاهد خرجي كتب أهل الكوفة المرسلة إلى الحسين عليه السلام: (إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك، ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: (الموت أدنى اليك من ذلك).

ولما حاول الحسين أن ينصرف بأصحابه حال القوم بينهم وبين الإنصراف فقال الحسين عليه السلام للحر: (ثكلتك أمّك ما تريد).... قال أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، قال: (إذاً والله لا أتبعك).

قال الحر: (فاذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة، ولا يردك إلى المدينة، ... فتياسر عن طريق العذيب[١٧٢] والقادسية، وسار الحسين عليه السلام وسار الحر في أصحابه يسايره وهو يقول له: ياحسين إني أذكّرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، فقال له الحسين عليه السلام: (أفبالموت تخوفني)؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟

وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه ابن عمه وقال: اين تذهب؟ فإنك مقتول؛ فقال:

سأمضي فما بالموتِ عارٌ على الفَتَى
إذا ما نوى حَقّاً وجاهَدَ مُسلِما
وآسى الرجالَ الصّالحين بنفسهِ
وفارَق مثْبوراً وساعدَ[١٧٣] مُجرماً
فإن عشتُ لم أَندم وإن مِتُ لم أُلَم
كَفَى بِكَ ذُلاً أن تعِيشَ وتُرْغَما

فلما سمع ذلك الحر تنحّى عنه، فكان يسير بأصحابه ناحية، والحسين عليه السلام في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات[١٧٤])[١٧٥].

وبسبب ملازمة الحر بن يزيد التميمي وجيشه للحسين وصحبه فقد تجاوزوا قرى نينوى[١٧٦] والغاضرية[١٧٧] وشفية[١٧٨] والعقر[١٧٩] حتى توجّه زهير بن القين إلى الحسين عليه السلام أن ينزل بقرية كربلاء فإنها على شاطئ الفرات، فوقف الحر وجيشه أمام الحسين ومنعوهم من المسير، وقال مخاطباً الحسين: إنزل بهذا المكان فالفرات منك قريب، فقال الحسين وما اسم هذا المكان قالوا: كربلاء، قال ذات كرب وبلاء، وقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه، فوقف فسأل عنه فأُخبر باسمه فقال: ههنا محطّ ركابهم وههنا مهراق دمائهم، فسُئل عن ذلك فقال: ثقل لأل محمد ينزلون ههنا، ثم أمر الحسين بأثقاله

فحطّت بذلك المكان في اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة[١٨٠].

وكان زهير بن القين قد اقترح على الإمام الحسين عليه السلام مقاتلة الحر وفرسانه بقوله: يا ابن بنت رسول الله، ذرنا حتى نُقاتل هؤلاء القوم، فإن قتالنا الساعة نحن وإياهم أيسر علينا وأهون من قتال من يأتينا من بعدهم؛ فقال الحسين: صدقت يا زهير! ولكن ما كنت بالذي أنذرهم بقتال حتى يبتدرونى[١٨١] – وانتظر الحسين عليه السلام وأصحابه متخذين خطّتهم[١٨٢] في الدفاع حتى ابتدأهم العدوان الأموي في عاشوراء، العاشر من محرم.

ومن علامات ظلم الأعداء الأمويين أن جاء رسول من ابن زياد بكتاب يأمر فيه الحر بن يزيد التميمي بالآتي: (أما بعد فجعجع[١٨٣] بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، فقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بأنفاذك أمري، والسلام)[١٨٤].

وأمعن الظالمون في قسوتهم على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه فكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد: (أما بعد فقد بلغني أن الحسين يشرب الماء هو وأولاده وقد حفروا الآبار ونصبوا الأعلام، فأنظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيّق عليهم، ولا تدعهم يشربوا من ماء الفرات قطرة واحدة...)[١٨٥].

هذه قيم بني أمية، وتلك هي قيم الحسين عليه السلام، وشتان ما بين الحقّ والباطل والإصلاح والفساد.

على أن بني أمية لم يكتفوا بكلّ هذه الوسائل التي قاتلوا بها الحسين عليه السلام وهي وسائل الجبناء والغادرين بتسخيرهم وسائل الترغيب والترهيب، وقطع الماء والإعلام المعادي لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيق وحدة الحسين عليه السلام وغربته، فقد حشّدوا جيشاً جاوز اثنين وعشرين ألفاً بين فارس وراجل، فيما كان أنصار الحسين على الأرجح اثنين وسبعين، منهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً[١٨٦].

الثاني عشر: خطب وكتب ورؤى[١٨٧]، الإمام الحسين (عليه السلام) تتجسَّد فيها النزعات الإنسانية

الخطب

لما دعا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الحسين عليه السلام للبيعة تنفيذاً لأوامر يزيد، وقد أقبل على الوليد وهو في المدينة فقال:

١. (أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ليس له هذه المنزلة، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحقّ بالخلافة والبيعة)[١٨٨].

في هذه الخطبة قيم إنسانية واضحة في الصدق والصراحة، وتقييم للحسين وبيته ومقامهم عند الله، وتدنٍ لمنزلة يزيد في السلوك والجريمة فشتّان بين الاثنين لذلك قال الحسين عليه السلام (مثلي لا يبايع

مثله) ثم أرجأ الكلام حتى يحكم الناس بالعدل لأيهما الخلافة والبيعة.

وكان أهل الكوفة قد اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي بعد وفاة معاوية، وعلموا أن الحسين عليه السلام لم يبايع يزيد، وقد لحق بمكة، فكتبوا له كتاباً يدعونه إليهم جاء فيه:

(... أن ليس لنا إمام غيرك فأقدم الينا... لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى... فأبعث الينا أحداً من أهل بيتك يحكم بيننا بحكم الله تعالى وسنة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله...).

٢. وكتب الحسين عليه السلام جواباً لهم جاء فيه:

(... فهمت ما ذكرتموه أن ليس لكم إمام غيري وتسألوني القدوم اليكم لعل الله يجمعكم على الحقّ والهدى، وإني باعث اليكم أخي وابن عمي المفضَّل عندي من أهل بيتي مسلم بن عقيل... وأأمره بتقوى الله واللطف بالناس...)[١٨٩].

هكذا كان التطابق في القيم والمبادئ الشرعية بين الحسين عليه السلام ونيّات أهل الكوفة، وأن معيار هذه الأحكام كتاب الله وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، والرغبة في التكافل على الحقّ والهدى، وهذه القيم مجتمعة بالإمام الحسين عليه السلام، لذلك أعلنوا أنهم لا إمام لهم إلّا الحسين عليه السلام.

ولما بعث لهم ثقته مسلم بن عقيل أوصاه بتقوى الله والمعاملة الطيبة مع الناس، وطلب من أهل الكوفة ما بيعته ونصرته وعدم خذلانه، وقال: (فلعمري ليس الإمام العامل بالكتاب والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحقّ ولا يهدي ولا يهتدى، جمعنا الله وأياكم على الهدى، وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[١٩٠].

وكان (شعار) ثورة الحسين عليه السلام في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية وفيها حدّد الإمام الحسين عليه السلام أسباب خروجه وأهدافه فجاء فيها:

٣. (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أُمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديّين رضي الله عنهم، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين)[١٩١].

٤. وكانت للحسين عليه السلام خطبه التي أقام فيها الحجة على جيش الأعداء الأمويين حينما تقابل الطرفان في ساحة المعركة فقال:

(انسبوني مَن أنا، ثم راجعوا أنفسكم هل يحلّ لكم قتلي؟ وأنا ابن بنت نبيّكم، وابن صفيه، وأوّل المؤمنين، والمصدّق بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى أليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي أوليس جعفر الطيار في الجنة عمّي، أما بلغكم قول جدّي لي ولأخي الحسن عليه السلام: هذان سيدا شباب أهل الجنه وقال: إني مخلف فيكم الثقلين،

كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[١٩٢].

في هذه الخطبة ذّكر الحسين عليه السلام جيش الأعداء بنسبه الشّريف وعُلُو مكانة أفراد عائلته عند الله ورسوله، وان أهل البيت عِدْلُ القرآن، وفي خطبته هذه نصح صادق، وتذكير وتوعية بعد أن طبع على قلوبهم وعقولهم الشيطان وأعوانه من بني أمية ومن التحق بهم.

٥. وفي الثعلبيه[١٩٣] وزبالة تكاملت لديه أخبار استشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم:

(بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فإنه قد أتانا خبر فضيع قتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الإنصراف فلينصرف غير حرجٍ، ليس عليه ذمام)[١٩٤].

فتفرّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة، ونفر يسير ممن إنضووا اليه.

وانما فعل ذلك، لأنه عليه السلام علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون[١٩٥].

وفي هذا الكتاب يمنح الحسين عليه السلام الحرية لمن التحق من الأعراب الذين رافقوه طمعاً في الغنائم، ولما علموا أن البلد الذي يقصده الحسين عليه السلام قد نقض البيعة وخذل أهله الحسين، تفرقوا ولم يبق إلّا أصحابه المخلصون، وهم الذين رافقوه من المدينة ونفر قليل التحق به في الطريق.

كان الحسين عليه السلام في هذا الموقف صادقاً وصريحاً وترك لأصحابه حريّة الاختيار في نصرته أو عدمها، وقد أعفاهم من بيعته، وأراد أن يبعدهم عن خطر الموت، لأن القوم يطلبونه لوحده.

هنا هو الخلق الإنساني والإسلامي المخلص لوجه الله تعالى، فلم يكن الحسين عليه السلام ممن يموّه الحقائق ويلقي بالناس إلى التهلكة.

٦. ومن كتابة إلى أهل الكوفة أنه قال:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وعبد الله بن وال وجماعة المؤمنين:

(أما بعد: فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في حياته: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلًّا لحرام أو تاركاً لعهد الله مخالفاً لسُّنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، وقد علمتم أن هؤلاء لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرّحمن وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرمّوا حلاله، وأنا أحقّ من غيري بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم، فقد استوفيتم حقّكم وحظكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم، فلكم فيَّ أسوة، وأن لم تفعلوا ونقضتم

عهدكم ومواثيقكم وخلعتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي، هل المغرور إلّا مَن أغتر بكم، فإنما حقّكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام)[١٩٦].

في هذا الكتاب دعوة صريحة للناس للثورة على الظالمين، لأن الموروث من قول الرسول ﷺ أنه يلزم المسلمين بالثورة على السلطان الجائر المنتهك لحدود الشريعة، ومن لم يفعل يدخله الله مدخله.

وذكرَّهم بأن بني أمية لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحّمن وقد كتبتم لي بالوفاء بالبيعة، فإن تمسكتم بوعودكم وعهودكم نلتم حقكم وسأكون معكم وإن كانت الأخرى فقد ضيعَّتم حقكم، ونقضكم للعهود غير مستغرب منكم فهو ما فعلتموه مع أبي وأخي وابن عمي، فأعنتم الباطل وكرَّستم الظلم وضيَّعتم حقوق الأمة.

إذن يتجسّد في هذا الكتاب لزوم الثورة على الظالمين الذين انتهكوا حدود الشرع وقننوا المحرّمات واستأثروا بالمال العام، وبالثورة تعود الحقوق لأهلها في مبايعة الحسين عليه السلام.

٧. وفي لقاء مع أصحابه ليلة بدء المعركة أنه قال:

(أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيت أفضل وأبر من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري)[١٩٧].

مرة أخرة يطلق الإمام الحسين عليه السلام الحرية لأصحابه، ولكنه هذه المرة يقصد بها المخلصين على التضحية فقد أراد أن يدفع عنهم الموت، وقد أمتدحهم وأهل بيته لإخلاصهم، لكنهم رفضوا هذا العرض وثبتوا حتى ضحّوا بحياتهم. وقد تبيّن هنا مبدآن الحرية والإخلاص وكلاهما عنوان كبير في الإنسانية.

٨. وفي خطبة للحسين عليه السلام في أصحابه أنه قال[١٩٨]:

(إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت وأدبر معروفها واستمّرت جذاء، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألاترون إلى الحقّ لا يعمل بّه، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما[١٩٩]).

هنا يصوّر الحسين عليه السلام الحالة التي أحاطت به بعد خذلانه من قبل شيعته وقد تنكّرت له الدنيا وغاب عنها المعروف، وهي زائلة، وتُرك الحقّ وعُمل بالباطل، ورغب المؤمنون في لقاء ربهم، فكان الموت له سعادة، والحياة مع الظالمين ضجراً وحزناً. وأبرز ما في هذه الخطبة أن الحسين عليه السلام نقل واقع الحياة والمجتمع ووصفهما بسوء الحالة، ونحن نعلم أن تشخيص الواقع من أبرز السمات الإنسانية فإن كان سيئاً يقتضي التغيير والإصلاح وهو ما عمل من أجله الحسين عليه السلام.

٩. وروي أن الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً، فقال:

(الحمد لله ما شاء الله ولا قوّه إلّا بالله وصلّى الله على رسوله وسلم، خُط الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اشتياق أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخِير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّبهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مُصبحاً إن شاء الله)[٢٠٠].

في هذه الخطبة ذكّر الحسين عليه السلام أصحابه بحتمية الموت، كما ذكر رغبته بالموت واشتياقه للقاء أهله، كما أشار إلى ما لحقه من المثلة على أيدي الطغاة وأن الجيش الأموي ترك الأجساد الطاهرة بالعراء عرضة لذئاب الفلوات لولا حضور بعض سكان الغاضرية من بني أسد فأتموا مراسيم دفن الشهداء وسيّدهم الحسين عليه السلام وأنهم يرجون أجور الصابرين منه تعالى، وأنه سار وأهل بيته على طريق جدّه بالصبر والتضحية. كذلك ذكر أصحابه بالنهاية المحتومة، فمن كان لديه الاستعداد بالتضحية بنفسه سمح له بمرافقته. هذه المعاني النبيلة كالتضحية بالنفس من أجل الهدف النبيل وهو رضى الله تعالى الذي يجزيه بأجور الصابرين، ومنها السير على خطى رسول الله صلى الله عليه وآله فمن كان بهذه المواصفات من أصحابه رافقه في سفره فحقّق مجد الدنيا ونعيم الآخرة.

ونخلص إلى القول: إن خطب وكُتُب الإمام الحسين إلى أصحابه وأعدائه كانت على حالة واحدة من النصح والإرشاد، فكانت المعاني التي بعث بها إلى شيعته وأنصاره، أن وعدهم بالسير على كتاب الله وسنّة نبيه، وعلى الهدى والتقوى والعدل، وغرس فيهم روح الثورة على الظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما تبيَّن له أن شيعته قد نكثت وعودها واستجابت لرغبة الظالمين من بني أمية طوعاً، وأن الحرب قائمة بين الحقّ المتجسّد بالحسين وأصحابه والباطل المتجسّد بجيش بني أمية، ألقى الحجة عليهم في نسبه ومكانته عند الله ورسوله، ثم سمح لأصحابه بقناعة وصدق وصراحة منه بحرية المغادرة في جنح الليل، ومن قبل سمح للأعراب وطلّاب الغنائم بالمفارقة، فلم يكن يفكّر بمصلحة شخصية وإنما كان همه إصلاح المجتمع وتوجيهه وجهة السداد الإسلامية.

ولما رأى الباطل سائداً والحق مهملاً لا يعمل به ولم يتوافر له النصير للمقاومة آمن بنهايته المحتومة وتوقع المثلة بجسده الطّاهر، وكانت هذه أمنيته ليلتحق بالرفيق الأعلى مع جدّه وأبيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

الرؤى:

١. ذكرت الروايات رؤى للرسول ﷺ أخبر فيها بقتل الحسين عليه السلام وقد تأسّى الرسول ﷺ في هذه الرؤيا وبكى قال ابن طاووس[٢٠١]: وهو ينقل كلام الرسول. «إن جبريل أتاني، فأخبرني أن أمتي تقتل ولدي هذا، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة» وقال: «هذا جبريل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يُقال لها كربلاء، يقتل بها ولدي الحسين بن فاطمة: فقيل له: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: «رجل اسمه يزيد وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه». روايات كهذه أحزنت الرسول ﷺ وآل بيته، ورسمت صورة مأساوية عاشها الرسول ﷺ وآل بيته من بعده، ولا شكّ أنها نزعات إنسانية مؤلمة لأنها عدوان على الله ورسوله وحرمة الإسلام.

٢. وفي رؤيا أخرى أن الحسين عليه السلام قال: لعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير حينما أشارا عليه بالإمساك:

فقال لهما: «إن رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر، وأنا ماضٍ فيه»[٢٠٢].

وهذه الرواية توضّح أن ثورة الحسين عليه السلام كانت بأمر من رسول الله ﷺ وهو قمّة الشعور الإنساني والخلق العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم أية ٤.

٣. قبل أن يفارق الحسين عليه السلام المدينة زار قبر جدّه رسول الله ﷺ مرّتين وفي الثانية أغفى ساعة على القبر فرأى رسول الله ﷺ قد أقبل في كبكبة من الملائكة، عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ضمَّ الحسين إلى صدره وقبل[٢٠٣] (كذا) بين عينيه وقال:

«يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة إفما لهم عند الله من خلاق[٢٠٤]، حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا عليَّ وهم اليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلّا بالشهادة»[٢٠٥].

في هذه الرؤيا استقراء لمعاناة الإمام الحسين عليه السلام وهو يقارع الظلم والطغيان في أرض كربلاء وهو صاد، ومن وقاحتهم أنه يُطالبون شفاعة النبي ﷺ والنبي ﷺ يسأل الله تعالى أن لا يمنحهم تلك الشفاعة، فلاحظ لهم في الخير، وقد بشّر النبي ﷺ الحسين عليه السلام بالشهادة التي ضمنت له الدرجة الرفيعة في الجنة مع أبيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

٤. وفي طريقه إلى العراق، وقد تزل الثعلبية وقت الظهيرة، ثم وضع رأسه ونام، ثم انتبه من نومه باكيا، فقال له ابنه علي الأكبر. مالك تبكي يا أبت؟ لا أبكي الله لك عينا، فقال الحسين: يا بني إنها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، أعلمك أني رأيت فارساً على فرس حتى وقف عليَّ فقال: يا حسين إنكم تسرعون المسير والمنايا بكم تسرع إلى الجنة، فعلمت أن أنفسنا قد نُعيت الينا.

فقال له ابنه: يا أبت ألسنا على حق؟ قال: بلى يا

بني والذي ترجع العباد اليه! فقال علي الأكبر عليه السلام: إذاً لا نبالي بالموت، فقال الحسين: جزاك الله عني يأبنيّ خيراً، جزى به ولد عن والد»[٢٠٦].

وهذه الرؤيا تُفسِّر جهاد الحسين عليه السلام واستشهاده بالحق، وان ابنه علياً الأكبر قد تجسَّدت به الشجاعة في الثبات من أجل الحقّ الذي ثار من أجله أبوه الحسين عليه السلام وقد ثمَّن الحسين عليه السلام موقف ابنه علي الأكبر، ودعا له بالخير.

وهل بعد الحقّ والثورة من أجله والتضحية في سبيله من نزعة إنسانية أعظم منه، فالحقّ هو الله سبحانه وتعالى.

٥. وفي رؤيا أخرى بعد أن تيقن الحسين عليه السلام أن الحرب واقعة بينه وبين الأعداء جلس فرقَد ثم استيقظ وقال:

«يا أختاه إني رأيت السّاعة جدّي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأبي علياً وأمي فاطمة وأخي الحسن، وهم يقولون: يا حسين: إنك رائح إلينا عن قريب» وهذه الرؤيا بشرى بشهادة الحسين عليه السلام ليجتمع بأهل بيته وجده وابيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

٦. وفي رواية عن الإمام الصّادق عليه السلام أنه قال:

«سمعت أبي يقول: لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد، وقامت الحرب على ساق، أنزل الله النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خير بين النصر على أعدائه وبين لقاء ربّه[٢٠٧]، فأختار لقاء ربّه[٢٠٨]. وهنا فضَّل الحسين عليه السلام أن يتعامل مع أعدائه بالصفة البشرية الإنسية، وعزف عن الاستعانة بالمعجزات الإلهية إيماناً بالعدالة في التعامل، وحتى لا يُرمى بالسحر كما رُمي جدّه من قبل.

٧. روى أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي المازندراني الإمامي في كتاب (دلائل الإمامة) قال (حدّثنا أبو محمد سفيان بن وكيع، عن أبيه وكيع عن الأعمش قال: قال لي أبو محمد الواقدي وزرارة بن خلج: لقينا الحسين بن علي عليه السلام قبل أن يخرج إلى العراق بثلاثة، فأخبرناه بضعف الناس بالكوفة، وأن قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء، فنزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلّا الله عزّ وجل.

فقال عليه السلام «لولا تقارب الأشياء وحضور الأجل لقاتلتهم بهؤلاء، ولكني أعلم يقينا أن هناك مصرعي، وهناك مصارع أصحابي، لا ينجو منهم إلّا ولدي علي»[٢٠٩].

هذه رواية أخرى تؤكّد مكانة الحسين عليه السلام في السماء وأن إمداده بالملائكة يشبه إمداد جده صلى الله عليه وآله وسلم من قبل في معركتي بدر وحنين، وهو يعلم برؤًى متكررّة أنه مقتول في كربلاء، وكذلك أصحابه، وأنه ترآى له أجله، ففضل أن يُقاتلهم وجهاً لوجه بقدراته البشرية بعيداً عن الإمداد السّماوي. حتى لا يُتّهم بالسحر كما أتُهم جدّه صلى الله عليه وآله وسلم من قبل، كذلك أراد سرعة اللقاء بأهل بيته رسول الله وأبيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

٨. وذكر ابن قولويه رؤياً صحيحة السند عن الإمام الصّادق عليه السلام قوله: «لما صعد الحسين عليه السلام

عقبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلّا مقتولاً، قالوا: وما ذلك يا أبا عبد الله، قال: رؤيا رأيتها في المنام، قالوا: وماهي؟ قال: رأيت كلاباً تنهشني، أشدها عليَّ كلب أبقع»(٢١٠).

وفي خلاصة لميدان الرؤى عند الرسول الكريمﷺ وحفيده الحسين عليه السلام أن صورة استشهاده حُدِّثَ بها الرسولﷺ وبدوره نقلها لآل بيتهعليهم السلام فالإمام الحسين بأمر رسول الله خرج للإصلاح في دين جدّه وتهذيبه مما لحق به من جهالة بني أميه وتسلّطهم على المسلمين وظلمهم لهم بشتّى الوسائل، ولإحياء أصل الدين الحنيف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لأنه هذا الأصل دون الأصول الأخرى يُمثَّل علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فيما كانت الاصول الأخرى تمثل علاقة الإنسان بالله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجمة واقعية لتقوى الإنسان والتزامه بحدود الشريعة، متمثلة بسلوكه الإنساني المطلوب، كذلك أكّدت الرؤى للإمام الحسينعليه السلام صورة استشهاده وأصحابه في واقع يعمل بالباطل ويترك الحقّ لذلك لم يتوافر له الأنصار، ولما فتحت السماء له أبوابها بالنصر، شكر الله على ذلك، ولكنه لم يرغب بهذه المعونة لاشتياقه بلقاء ربّه وأهل بيته، فضلاً عن رغبته في مواجهة الأعداء على قلّة الناصر ليزرع روح الفداء والتضحية والشجاعة في أمة جده، وحتى لا يُتهَّم بالسحر والشعوذة كما أتُهم جدّه من قبل، في خصوصية استجابة السّماء له بالنصر دون غيره.

الهوامش

(١) اركون، محمد، نزعة الانسية في الفكر العربي، ترجمة هاشم صالح، ط١ بيروت، دار الساقي، ١٩٩٧م، ص٦٠٧.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الافريقي المصري الانصاري ت ٧١١هـ/ ١٣١١م لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ح١ ص٢٤٢، مادة أنس، مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد حسن، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ط٢١، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ح١ ص٣٠ مادة انس، أركون، محمد، مصدر سابق، ص٥، ص٦٠٧.

(٣) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، القاهرة، مطبعة عبد الحميد أحمد (د.ت)، ص١٩٧- ١٩٨تفاصيل، الطبري، محمد جرير، تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ح٦٢، ما بعدها تفاصيل.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي، التاريخ، علق عليه ووضع حواشية خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م، ح٢ ص١٤٨.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٩٩، اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١.

(٦) اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١.

(٧) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٠-٢٠١، اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، الطبري، تاريخ

الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢، ص٧٤.

(٨) في مطاردة معاوية لآل زياد في البصرة لولائهم لعلي عليه السلام، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٦-٧٧.

(٩) ساباط كسرى بالمدائن موضع معروف، وبالعجمية (بلاس أُباذ) وبلاس اسم رجل، وقال أبو المنذر: إنما سُمّي ساباط الذي في المدائن بساباط بنا باطا كان ينزله فسمَّي به، وهو أخو النخير جان بن باطا الذي لقي العرب في جمع من أهل المدائن... والساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ..... الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط٨، بيروت دار، صادر، ٢٠١٠م، ح٣ ص١٦٦.

(١٠) اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩.

(١١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٩٩-٢٠٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١-٧٢، إبن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، كتاب الفتوح، بيروت، دار الندوة الجديدة، د. ت على أصل طبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ح٤ ص١٥٤-١٥٦.

(١٢) مسكن: وهو موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م، فقتل مصعب وقبره هناك معروف، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٥ ص١٢٧.

(١٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢.

(١٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦٠.

(١٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٥.

(١٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ح١١ ق٢ ص١٠-١٤.

(١٧) منبج: قال الحموي: بلد قديم وما أظنه إلّا روميا... وقال بعضهم إن أوّل ما بناها كسرى لما غلب على الشام... وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض، كان عليها سور مبني بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، ياقوت، معجم البلدان، ح٥ ص٢٠٥-٢٠٦ تفاصيل.

(١٨) حمام عمر: ذكر باسم حمام ابن عمر، وهو من مدن الكوفة، ويبعد عن الجامعين مسافة (١٨) كم، ابن سيراييون، سهراب، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، اعتنى به هانس فون فريك، مطبعة هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م ص١٢٤، المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي غويه، ط٢ ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٦، ص١١٤.

(١٩) دير كعب: يقع هذا الدير على الطريق بين قطيسفون والكوفة، في منطقة مجاورة لمدينة الحلة الحالية، أبونا، الأب البير، ديارات العراق، بغداد، ٢٠٠٦م، ص٤٥٠ يقول الدينوري في أحداث معركة القادسية عن هذا الدير: «وانتهت هزيمة العجم إلى دير كعب فنزلوا هناك...» الأخبار الطوال، ص١١٦. وقال ابن الفقيه في عائديته: «... ودير الجماجم دير لإياد... ويقال أيضاً: إن دير كعب

لإياد ايضاً... « أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ط١، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٦٩.

(٢٠) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيّين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ايران، أنتشارات سعيد بن جبير، المطبعة عترت، ١٤٢٥هـ، ص٧١-٧٢.

(٢١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٩٩.

(٢٢) وكان سبب ذلك عند الطبري أن أشيع بمقتل قيس بن سعد، تاريخ الرسل والملوك ح٦ص٧١.

(٢٣) وهو عند الدينوري الجراح بن قبيصة من بني أسد هجم على الحسن بمظلم ساباط، الأخبار الطوال، ص٢٠٠، وهو عند اليعقوبي الجراح بن سنان الأسدي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، وعند ابن أعثم الكوفي/ سنان بن الجراح لكن الغالب على انتسابه لبني اسد، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٥.

(٢٤) الشوب الخلط، شاب الشيء شوباً: خلطه والشوب والشياب: الخلط، قال أبو زبيد الطائي:

جادت مناصبه شفان غادية

بسكرٍ ورحيقٍ شيب فاشتابا

وقال أبو ذؤيب:

وأطيب براح الشام صرفاً

وهذه معتقة صرفاً وتلك شيابها

وقال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ الصافات آية ٦٧، أي لخلطاً ومزجاً، يقال للمخلط في القول أو العمل هو يشوب ويروب إبن منظور، لسان العرب، ح٥ ص٢٢٣ مادة شوب.

(٢٥) المغول: سوط أو عصا في باطنه سنان دقيق، مصطفى إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح٢ ص٦٦٧.

(٢٦) ذكر الخطيب البغدادي أن طعن الحسن كان في الأنبار، وكان قيس بن سعد على مقدّمته فنزل الأنبار وطعنوا حسناً وانتهبوا سرادقة، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ح١ ص١٩

(٢٧) ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٢، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٢.

(٢٨) الحبونية/ وردت عند الحموي، الأخنونية، موضع من أعمال بغداد، قيل هي حربي، ياقوت، معجم البلدان، ح١ ص١٢٥، وقال عن حربي، بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة، تنسج فيها النبات القطنية الغليظة وتُحمل إلى سائر البلاد، معجم البلدان، ح٢ ص٢٣٧. وذكرها أبو الفرج الأصفهاني (الحبوبية) وقال هي بمسكن، مقاتل الطالبيين ص٧٢.

(٢٩) اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩.

(٣٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١

(٣١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ح١١ ق٢ ص١٣-١٤.

(٣٢) كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٩- ١٦٠.

(٣٣) تاريخ الرسل والملوك، ح١ ص٧٢.

(٣٤) الأخبار الطوال، ص٢٠٠.

(٣٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١.

(٣٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٠، اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٥، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٢.

(٣٧) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٠- ٢٠١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢،

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ح٣ ص٤٠٨.

(٣٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٨.

(٣٩) التاريخ، ح٢ ص١٥٠- ١٥١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٧ في تخلف قيس بن سعد في بيعة معاوية.

(٤٠) ورد عند ابن الأثير سعد بن أبي وقاص، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٩.

(٤١) اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١ وقال الطبري انما أمر الحسن عبيد الله بن العباس ولم يؤمر قيساً، لأن الحسن لا يرى الحرب ويريد ان يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة، وكان قيس بن سعد بن عباده لا يوافقه على ذلك. ونحن نقول إن رأي الطبري هذا خلاف الواقع فمن يخرج للحرب بنفسه ويضع خطة لقتال العدو، ويحث الناس على القتال لا يمكن أن يصنف أنه لا يرى الحرب العادلة، أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٩-٧٠.

(٤٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ص١٥٣-١٥٤، ١٥٦-١٥٧، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٣، أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٤.

(٤٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ح١١ ق٢ ص١٢- ١٣.

(٤٤) اليعقوبي، تاريخ، ح٢ ص١٤٩، الطبري تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧١، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٨، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٣.

(٤٥) اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٤٩، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٥- ١٥٦، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١١- ١٢.

(٤٦) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٣، وقالت مصادر أخرى ان هذه الرغبة تولدت عند الحسن، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢، ابن أعثم الكوفي، ح٤ ص١٥٧.

(٤٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٩.

(٤٨) الارشاد، مصدر سابق ص١٤-١٥.

(٩٤) تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٣.

(٥٠) الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦٤.

(٥١) ابن أعثم الكوفي كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٧.

(٥٢) الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٤.

(٥٣) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦٦-١٦٧.

(٥٤) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٩-٧٠ تفاصيل.

(٥٥) كتاب الفتوح، ح٤ ص١٥٨-١٦٠.

(٥٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢.

(٥٧) الطبري، مصدر سابق، ح٦ ص٧٣، ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ح٤ ص١٦٤، الشيخ المفيد، مصدر سابق، ح١١ ق٢ ص١٤، ابن الأثير، مصدر سابق، ح٣ ص٤٠٥.

(٥٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢.

(٥٩) م. ن ح٦ ص٧٢، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٤- ١٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٠٥.

(٦٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢.

(٦١) كتاب الفتوح، ج٤ ص١٥٧.

(٦٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٤ ص١٦٧.

(٦٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٤-٧٥.

(٦٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٢، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦٠.

(٦٥) كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦٠-١٦١.

(٦٦) يقول الحموي: ما أظنه إلّا مقصوراً من العالي بمعنى العلو لأنه يُقال للأنبار وبادوريا وقطربل ومسكن الأستان العال لكونه في علو مدينة السلام، والأستان بمنزلة الكورة والرستاق، هكذا يفسر، واصله بالفارسية الموضع... وقال البلاذري: يعني بالعال الأنبار وقطربل ومسكن وبادوريا، ياقوت، ح٤ ص٧٠-٧١.

(٦٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٧٤.

(٦٨) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦١-١٦٢.

(٦٩) جابلق: مدينة بأقصى المغرب، الحموي، ياقوت البلدان، ح٢ ص٩١.

(٧٠) جابرص: ذكرها الحموي، بالسين جابرس، مدينة بأقصى المشرق، م. ن، ح٢ ص٩٠.

(٧١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦٣.

(٧٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص١٦١.

(٧٣) الارشاد، ح١١ ق٢ ص١٥، ذكر ابن قتيبة الدنيوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أن وفاه الحسن كانت ٥١هـ/ ٦٧١م، تاريخ الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية المعروف بالإمامة والسياسة، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بمصر، د. ت ص١٥٩ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٦٠، وجعل سنة الوفاة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، والراجح انها ٥٠هـ/ ٦٧٠م، على الاصح.

(٧٤) في صفات يزيد وسلوكه انظر، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ح١ ص١٨٥، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٤١ قال الحسين عليه السلام لمعاوية: «من خير لامة محمد يزيد الخمور الفجور»، وقال يزيد بن مسعود في قبائل بني تميم، وبني حنظله وبني سعد: «ان معاوية قد مات، فأهون به الله هالكاً ومفقوداً، إلّا وانه قد انكسر باب الجور والاثم، وتضعضعت اركان الظلم... وقد قام ابنه يزيد -شارب الخمر وراس الفجور- يدعي الخلافة على المسلمين ويتامر عليهم بغير رضى منهم»، ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م، الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق وتقديم الشيخ فارس تبريزيان الحسون، ط٤، طهران، دار الاسوة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ، ص١١٠- ١١١، وقام عبد الرحمن بن أبي بكر في مكة مخاطباً معاوية حيمنا دعا أهلها إلى بيعة يزيد:» اما نحن فقد اتقينا الله فذرنا نقعد في منازلنا، لاتدعنا إلى بيعة يزيد الخمور ويزيد الفهود ويزيد القرود»، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٤٢ ومما نسب للحسين عليه السلام أنه قال بتولي يزيد الحكم: (على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد وقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (الخلافة محرمة على آل أبي سفيان أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، ايران، دار الزهراء، ١٤٢٨هـ، ص٩٩، ابن طاووس، الملهوف، ص٩٨- ٩٩.

(٧٥) ينسب هذا الأمر إلى المغيرة بن شعبة، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٥٣ وذلك سنه ٥٦هـ/ ٦٧٥م.

(٧٦) اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٦٠.

(٧٧) م. ن، ح٢ ص٣٨-٣٩ في فتح مكة، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٣٧.

(٧٨) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٣٧.

(٧٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٣ ص١٧٤.

(٨٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٣ ص١٩٠.

(٨١) م. ن، ح٣ ص١٩٢.

(٨٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٢٤، وما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٧٢، وما بعدها تفاصيل.

(٨٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٨٧.

(٨٤) ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، ح١ ص١٦٠.

(٨٥) م. ن، ح١ ص١٦٠.

(٨٦) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٢٨.

(٨٧) البشار حثالة الناس، مصطفى ابراهيم، المعجم الوسيط ح١ ص٥٨.

(٨٨) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ح١ ص١٦٠ قال وكتب ببيعته إلى الآفاق، وهو أمر لم يتأيد في موارد أخرى، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٢٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٤٧١.

(٨٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٦.

(٩٠) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٢٩.

(٩١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٥٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٣ وما بعدها.

(٩٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٣٠-٢٣٢.

(٩٣) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٢٩.

(٩٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٧.

(٩٥) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٢٩.

(٩٦) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٣٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٨.

(٩٧) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٢٤-٢٢٥.

(٩٨) الأخبار الطوال، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٩٩) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٦.

(١٠٠) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٦ وبنفس المعنى واللفظ تقريباً انظر ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٣٢-٢٣٣، والنص من ابن الأثير.

(١٠١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٦، وبنفس المعنى ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٣٣ والنص من ابن الأثير، ويضاف لهؤلاء الأربعة ابن عباس فهم خمسة نفر، الطبري، مصدر سابق، ح٦ ص١٥٤ في النفر الخمسة. وروى المسعودي أن مروان بن الحكم امتعض من تولية العهد ليزيد، فقد كان طامعاً بخلافة معاوية، وقد قصد دمشق بأهل بيته وأخواله من كنانة ودخل على معاوية ووبخه بكلام كثير، فقال له معاوية: أنت نظير أمير المؤمنين، وعدته في كلّ شديدة وجعله ولي عهد يزيد، وردّه إلى المدينة ثم أنه عزله عنها ولم يفِ لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد، وهذا هو خلق معاوية ينقض العهود، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، حقّقه وقدم له مصطفى السيد بن أبي ليلى، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م، ح٣ ص٣٠.

(١٠٢) تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٦٧.

(١٠٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٧-٥٠٨.

(١٠٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٥٣-١٥٤.

(١٠٥) ابن أعثم الكوفي/ كتاب الفتوح، ح٤ص٢٣٥.

(١٠٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥٠٨-٥٠٩، وذكر المعنى نفسه، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح ح٤ ص٢٣٣-٢٣٦ تفاصيل.

(١٠٧) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ص٢٣٧-٢٣٨، ابن الأثير مصدر سابق ح٣ص٥٠٩.

(٨٠١) بطن مر، من نواحي مكة، عنده يجتمع بوادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح١ ص ٤٤٩، ح٥ص٢٧٧.

(١٠٩) الظهر، الدابة التي تحمل الأثقال، أو يركب عليها مصطفى إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح٢ ص٥٧٨.

(١١٠) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ص٢٤٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ص٥٠٩-٥١٠.

(١١١) الصحيح منه.

(١١٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ص٢٤٠-٢٤١.

(١١٣) لا يتورّع معاوية أن يشتري ما يشاء، ويبيع ما يشاء، قال محمد بن الحسن الشيباني في تصرف الإمام بالغنائم ولو وجدوا في الغنائم صليباً من ذهب أو فضة أو تماثيل أو دراهم أو دنانير فيها التماثيل، فإنه ينبغي للإمام أن يكسّر ذلك كلّه، فيجعله تبرا، لأنه لو قسمه كذلك، ربما يبيعه من يقع في سهمه لبعض المشركين بعد أن يزيد في ثمنه رغبة منه في لباسه أو يعيده، فلتحترزوا عن ذلك بكسر الصليب والتماثيل. والذي يروى أن معاوية بعث بها لتباع بأرض الهند [يقصد التماثيل الذهبية]. الجزائري، عبد الباقي قرنه، معاوية، ط١، قم، دار التفسير، ١٤٢٦هـ، ص١٩٨ نقلاً عن محمد بن الحسن الشيباني، في كتابه (السير الكبيرة) ح٣ ص١٠٥١.

(١١٤) في سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون: برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير، أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ وتكلّم في أشياء من التلاوة [يقصد القرآن الكريم] أنها مخلوقة [يقصد مكذوبة] وغير ذلك، وتنازع الناس في السبب، الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية، فقيل في ذلك أقاويل، منها أن بعض سماره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي.

وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكار في كتابه في الاخبار المعروف (بالموفقيات) التي صنفها للموفق، وهو ابن الزبير، قال: سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثم ينصرف إليَّ ويذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه، إذجاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتماً، فانتظرته ساعة، وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟

قال: يابني، إني جئت من عند أخبث الناس.

قلت له: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال لي، هيهات أملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل، فو الله ماعدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فو الله ماعدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان. فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به فو الله ماعدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر مافعل به، وأن أخا هاشم يُصرّح به في كلّ يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا؟ لا أم لك، والله إلّا دفناً دفناً.

وإن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ما أمر بالنداء على حسب ما وصفنا، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر، فأعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت العامة منه فأشير عليه بترك ذلك، فأعرض عما كان هم به).

وكان معاوية يقصد أنه بعد موت الخلفاء الثلاثة خمل ذكرهم وطرقهم النسيان في حين أنه ينادى بإسم محمدﷺ خمس مرات كلّ يوم، فما العمل بعد هذا سوى أن يدفن أسم محمد أيضاً ويعفى أثره !!

فهل بعد هذا الكفر والخروج من شريعة الاسلام من صراحة ووضوح بعناد وردة جاهلية يعلن عنها معاوية بن أبي سفيان وهو يسعى إلى إزالة إسم النبي الكريم ومحو ذكره – وهو رحمة للعالمين – المسعودي، مروج الذهب، ح٤ ص٤١.

لكن من يرث الكفر عن أبيه لا تستغرب مشابهته، فقد روي أنه بعد أن رسا أمر الخلافة على عثمان، قدم أبو سفيان إلى داره، حيث كان جماعة من بني أمية هناك، وكان أبو سفيان في حينها أعمى، وقد ضمّهم مجلس بهجة وفرح، وقد أغلق باب البيت فلا يدخله غريب، إذ ذاك نادى أبو سفيان: هل بينكم أحد من غير بني أمية، قالوا: لا، فقال: (يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان [يقصد هبلاً لأنه أنكر كلّ شيء]، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة، ولا نار، ولا بعث ولا قيامة)!!، القمي، الشيخ عباس، تتمة المنتهى في تاريخ الخلفاء، ترجمة نادر التقي، إيران، المطبعة بقيع عزيزي، ١٤٢٣هـ، ص٥١-٥٢.

(١١٥) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ص٢٤١-٢٤٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ص٥٠٩-٥١١، في الحوار الذي دار بين معاوية وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ويعتقد ابن الأثير أن ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يصحّ في هذا الموقف إذا كانت وفاته٥٣هـ/ ٦٧٤م، وانما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك التاريخ.

(١١٦) ابن أعثم الكوفي، ح٤ص ٢٤٤-٢٤٥.

(١١٧) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٤٨-٢٤٩، وبنفس المعنى انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٣ ص٥١٠-٥١١.

(١١٨) ابن الأثير ن الكامل في التاريخ، ح٣ص٥١٠-٥١١.

(١١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ص١٦٥.

(١٢٠) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ص٢٥٥.

(١٢١) أبن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٤ ص٢٥٦-٢٦٥ للتفاصيل.

(١٢٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٦٥ بنفس المعنى واللفظ تقريباً.

(١٢٣) لوط بن يحيى، مقتل الحسين، ص٨.

(١٢٤) لوط بن يحيى، مقتل الحسين، ص٣-٤.

(١٢٥) حَلَس بالمكان وفيه لزمه... ويقال هو حِلسُ بيته إلّا يبرحه، مصطفى أبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح١ ص١٩٢.

(١٢٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٣.

(١٢٧) الأخبار الطوال، ص٢٠٣-٢٠٤، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٣٢.

(١٢٨) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٥.

(١٢٩) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص١٠-١٤-٩٦-١٠١ للتفاصيل، ابن قتيبه الدينوري، الإمامة والسياسة، ح١ ص١٨٧، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٨-٢٠٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٧٥-١٧٦، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٢٨، ٣٣-٣٥ تفاصيل، الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، أخطب خوارزم مقتل الحسين، ط٢، بيروت، دار الحوراء، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ح١ ص٢٦٣-٢٧٣ تفاصيل.

(١٣٠) أشِرَ: بَطِر واستكبر، فهو أشِر، مصطفى إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح١ ص١٩.

(١٣١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٢ ص٣٣-٨٤ الخوارزمي، مقتل الحسين، ح١ ص٢٧٣.

(١٣٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٧-١٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٨٢-١٨٣، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٣٦-٣٨ للتفاصيل في تواتر الكتب والرسل.

(١٣٣) الشيخ المفيد للارشاد، ح١١ ق٢ ص٣٨-٣٩، وبنفس المعنى واللفظ تقريباً، أبو مخنف، مصدر سابق ص١٨-١٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٨٣.

(١٣٤) الأخبار الطوال، ص٢١٠، فيما ذكر ابن طاووس، الملهوف، ص١٠٥ (وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها في نوب متفرقة [فرص متفرقة] إثنا عشر ألف كتاب " وفيما قال الدينوري وابن طاووس فرق غير معقول فلعل الخطأ ورد عند أحدهما.

(١٣٥) استوسق الشيء: اجتمع وانضمّ، واستوسق الأمر: انتظم، ويقال: أستوسق له الأمر: أمكنه، مصطفى إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح٢ص١٠٣٢.

(١٣٦) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٣٩.

(١٣٧) م-ن، ح١١ ق٢ ص٣٩.

(١٣٨) الخبث: ماء [لقبيلة] كلب، الحموي ياقوت، معجم البلدان، ح٢ ص٣٤٣.

(١٣٩) تطيَّر: تطيّر به ومنه تشاءم، مصطفى أبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح٢ص٥٧٤.

(١٤٠) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٠، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ص٥٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ص١٨٤، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٤٠.

(١٤١) بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ص٥٤-٥٥، وبنفس المعنى واللفظ تقريباً أنظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ص١٨٤، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٤٠، وردت بنفس الالفاظ والمعنى تقريباً في هذه الموارد، والنص من إبن أعثم.

(١٤٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٠.

(١٤٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٨٤، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٥٥.

(١٤٤) للتفاصيل، أبو مخنف، مصدر سابق ص٢١-٤١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٨٤-٢٠١، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٥٦-١٠٩، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٤١-٦٦، ابن طاووس، الملهوف، ص١٠٨-١٢٤. في تفاصيل مأساة مسلم وشجاعته وما انتهى اليه رحمه الله تعالى.

(١٤٥) الفرزدق، هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس شاعر من النبلاء من أهل البصرة ت١١٠هـ، ٧٢٨م وقيل إن الأبيات قالها عبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي ت٧٥هـ/ ٦٩٥م من شعراء الدولة الأموية، وقيل قالها سليمان الحنفي، ابن طاووس، الملهوف، ص١٢٣، والهوامش رقم(١٥٠)، (١٥١) من نفس الصفحة وعن ترجمة الفرزدق انظر، الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ح٨ ص٩٣ وترجمة عبد الله الأسدي، الزركلي، خيرالدين، الاعلام، ح٤ص٨٧.

(١٤٦) ابن طاووس، الملهوف، ص١٢٣.

(١٤٧) ابن طاووس، الملهوف، ص١٢٢.

(١٤٨) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٦٦.

(١٤٩) كان عبد الله بن عمر قد أشار على الإمام الحسين عليه السلام في صلح ما دخل فيه الناس، وقال له: اصبر كما صبرت لمعاوية من قبل. فقال له الحسين: أبا عبد الرحمن أنا ابايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قال؟ فقال ابن عباس صدقت أبا عبد الله: قال النبي صلى الله عليه وآله في حياته (مالي وليزيد لا بارك الله في يزيد وأنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين رضي الله عنه، والذي نفسي بيده لا يقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم).

وقال ابن عباس مخاطباً الحسين عليه السلام: (مافي الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله غيرك، وإن نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لايقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى).

ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٣٩، ص٤١.

(١٥٠) للمزيد من الاطلاع يراجع الرحيم، د. عبد الحسين مهدي، (التاريخية الموروثة في كورة كربلاء المقدّسة حتى واقعة الطف، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، السنة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، العدد الثاني، هامش(١٠٣) ص٤٣-٤٦ في أسماء المعارضين لثورة الحسين لأسباب مختلفة.

(١٥١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤-٤١ تفاصيل في قتل مسلم وهانئ، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٠-٢٢٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٨٣-٢٠١ تفاصيل، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٥٣-١٠٩ تفاصيل.

(١٥٢) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وهي ثلثا الطريق، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٢ ص٧٨.

(١٥٣) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية وقال أبو عبيد السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبني غاضرة

من بني أسد، ويوم زبالة، من أيام العرب، قالوا سميت زبالة بزبلها الماء أي بضبطها له وأخذها منه، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٣ ص١٢٩.

(١٥٤) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧٥-٧٦، وبنفس المعنى واللفظ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٢١٢.

(١٥٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٢٠٠.

(١٥٦) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٦٩.

(١٥٧) القادسية: هي فيما بين الخندق والعقيق، وإنما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحداهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يُسمّى الحضوض يطلع بمن يسلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وإنما عن يمين القادسية فيض من فيوض مياههم، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٤ ص٢٩٢.

(١٥٨) خفان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وهو مأسدة، قيل هو فوق القادسية، قال أبو عبيدة السكوني: خفان من وراء النسوح على ميلين أو ثلاثة، عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفان، وهما قريتان من قرى السواد من طف الحجاز، ... وقال السكري: خفان وخفية أجمتان قريبتان من مسجد سعد بن أبي وقاص بالكوفة، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٢ ص٣٧٩.

(١٥٩) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف، به كان سجن النعمان بن المنذر، وقال أبو عبيد الله السكوني: القطقطانة بالطف بينها وبين الرهيمة مغرباً نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تُريد الشام، ومنه إلى قصر مقاتل ثم القريات ثم السماوة، ومن أراد خرج من القطقطانة إلى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم إلى هيت، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٤ ص٣٧٤.

(١٦٠) ثقصالحاجر: في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي، وكذلك الحاجور وهو فاعول: وهو موضع قبل معدن النقرة، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٢ ص٢٠٤.

(١٦١) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧١-٧٢.

(١٦٢) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقبل العقبة لبني شهاب من طيء ويقال لها واقصة الحزون، وهي دون زبالة بمرحلتين، وانما قيل لها واقصة الحزون لأن الحزون أحاطت بها من كلّ جانب...، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٥ ص٣٥٤.

(١٦٣) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧٢.

(١٦٤) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧٠-٧١، ص٦٣ في طريقة قتل مسلم بن عقيل وانظر كذلك، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص١٤٦-١٤٧.

(١٦٥) شراف: قال أبو عبيد السكوني: شراف بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب، ومن شراف إلى وأقصه ميلان، وهناك بركة تعرف باللوزة، وفي شراف ثلاثه آبار...، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٣ ص٣٣١.

(١٦٦) حسمى: وهي أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم شروى...، وحسمى أرض

غليظة، وماؤها كذلك لا خير فيها، تنزلها جذام، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٢ ص٢٥٨.

(١٦٧) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧٨.

(١٦٨) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٦.

(١٦٩) المنقري، نصرين مزاحم ٢١٢هـ، وقعة صفين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، قم، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة يهمن ١٤١٨هـ، ص١٦٣، ص١٩٣.

(١٧٠) م. ن، ص١٩٣، وصفين، هو موضع بقرب الرقة... على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٣ ص٤١٤.

(١٧١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٨.

(١٧٢) العذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب: وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة اميال، والى المغيثة أثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل: هو حدّ السّواد، وقال أبو عبد الله السكوني: العذيب يخرج من قادسية الكوفة اليه، وكان مسلحة للفرس، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل وهي ستة اميال فإذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٤ ص٩٢.

(١٧٣) جاءت عند أبي مخنف (وخالف)، مقتل الحسين، ص٤٧.

(١٧٤) عذيب الهجانات: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: إذا كان يوم كذا فأرتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس وشرق بالناس وغرب بهم، وهذا دليل على أن هناك عذيبين، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٤ ص٩٢.

(١٧٥) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٨٠-٨١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٢١٥-٢١٦ بنفس المعنى واللفظ.

(١٧٦) نينوى: قال الحموي: وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء (بمعنى أن كربلاء جزء من ناحية نينوى) التي قتل فيها الحسين عليه السلام، ياقوت معجم البلدان، ح٥ ص٣٣٩.

(١٧٧) الغاضرية: منسوبة إلى غاضرة من بني أسد، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء، الحموي، مصدر سابق، ح٤ ص١٨٣.

(١٧٨) شفية: وهي إحدى القرى التي مر بها الحسين ورغب النزول بها ومنعه الحر التميمي، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٦.

(١٧٩) العقر: وهي قرية على شط الفرات، وهي في عاقول حصينة، الفرات يحدق بها إلا من وجه واحد، وقد اقترح زهير بن القين النزول بها، لكن الحسين تعوذ منها، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٦.

(١٨٠) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٥١ وقد اعتبر كلّ هذه القرى مرادفات لأسم كربلاء وهو وهم، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٦، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٢١٨، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص١٤٢-١٤٣، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٨٤، ابن طاووس، الملهوف، ص١٣٩.

(١٨١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص٢١٨، ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص١٤٢-٤١٣.

(١٨٢) انظر في خطة الحسين القتالية الدفاعية، الشيخ

المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٩٤-٩٦.

(١٨٣) جعجع به: أزعجه وشرّده وأحبسه وألزمه الجعجاع، وهو المكان الضيّق الخشن الغليظ، مصطفى إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح١ ص١٢٤- ١٢٥.

(١٨٤) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٨٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص والنص من الشيخ المفيد ٢١٨.

(١٨٥) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص١٦٢، وكذلك الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٨٦، وكذلك بنفس المعنى، الدينوري، الأخبار الطوال، كذلك الخوارزمي، مقتل الحسين، ح١ ص٣٤٦.

(١٨٦) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٤٥، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٩، اليعقوبي، التاريخ، ح٢ ص١٦٩ جعل عدد انصار الحسين بين ٦٢-٧٢ رجلاً، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ذكر أن جيش الحسين عليه السلام كان بحدود خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، فيما ذكر المسعودي أن أنصار الحسين عليه السلام كانوا خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه، ونحو مائة رجل وهو اعلى الأرقام التي تذكر عن جيش الحسين، لكنه يقول في مكان آخر كان جميع من قتل مع الحسين يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين مروج الذهب، ح٣ ص٦٣، ولعل هذا الفرق تحقّق بسبب سماح الحسين عليه السلام لمن يرغب من الملتحقين به أن يفارقوه وأن يتخذوا من الليل جملاً، وقد حصل ذلك، مروج الذهب، ح٣ ص٦٢-٦٣. وذكر أبو مخنف ان جيش عبيد الله بن زياد بلغ ثمانين ألف فارس من أهل الكوفة ليس فيهم شامي ولا حجازي، مقتل الحسين، ص٥٤ وهو رقم مبالغ فيه على الأرجح، وذكر ابن طاووس ان جيش بني أمية عشرون ألفاً، الملهوف، ص١٤٥، وقال: ان رؤوس أصحاب الحسين عليه السلام كانت ثمانيةً وسبعين رأساً فاقتسمتها القبائل، لتتقرب بذلك إلى عبيد الله بن زياد والى يزيد بن معاوية، الملهوف، ص١٩٠.

اما الشيخ المفيد فقد قال: (كان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٩٥.

(١٨٧) رؤًى جمع رؤيا وهي ما رأيته في منامك، ابن منظور، لسان العرب، ح٤ ص١٦ مادة رأى.

(١٨٨) ابن طاووس، الملهوف، ص٩٨.

(١٨٩) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٧-١٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ ص١٨٠، ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ح٥ ص٤٥-٥١ في كتابي أهل الكوفة للحسين، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٣٦-٣٩.

(١٩٠) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٥٢.

(١٩١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح٥ ص٣٣، الخوارزمي، مقتل الحسين، ح١ ص٢٧٣.

(١٩٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٧، أبن طاووس، الملهوف، ص١٤٠-٤٧.

(١٩٣) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق وأسفل منها ماء يقال له الضويجعة، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٢ ص٧٨.

(١٩٤) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧٥.

(١٩٥) الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٧٥-٧٦، وبنفس الألفاظ والمعنى. انظر، أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٤٥.

(١٩٦) إبن أعثم الكوفي، الفتوح، ح٥ ص١٤٣-٤٥.

(١٩٧) أبن طاووس، الملهوف، ص١٥١، وبنفس المعنى واللفظ تقريباً، أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٦٦، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ ق٢ ص٩١.

(١٩٨) أبن طاووس، الملهوف، ص١٣٨.

(١٩٩) البَرَم: بالتحريك: مصدر برم بالأمر بالكسر، برماً أذا سئمه فهو بَرِم ضجر، أبن منظور، لسان العرب، ح١ ص٤٠١ مادة برم.

(٢٠٠) إبن طاووس، الملهوف، ص١٢٦.

(٢٠١) الملهوف، ص٩٢-٩٣.

(٢٠٢) ابن طاووس، الملهوف، ص١٠١، وذكرها ابن أعثم ونسب أنه خاطب عبد الله بن جعفر حينما عرض على الحسين ان يأخذ له الأمان من يزيد على نفسه وماله وولده وأهل بيته، كتاب الفتوح، ح٥ص١١٥-١١

(٢٠٣) الصحيح قبله.

(٢٠٤) الخلاق: الحظ والنصيب من الخير، مصطفى إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، ح١ص٢٥٢.

(٢٠٥) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٨ص٢٦-٢٨تفاصيل.

(٢٠٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦ص٢١٧-٢١٨، ابن أعثم الكوعي، كتاب الفتوح، ح٥ص١٢٢-١٢٣، الشيخ المفيد، الارشاد، ح١١ق٢ ص٨٢ الخوارزمي، مقتل الحسين، ح١ص٣٢٤ لكن الشيخ المفيد يضع هذه الرؤيا بعد رحيله من قصر بني مقاتل، وهذا القصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانه وسلام ثم القريات، وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة... التميمي، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ح٤ص٣٦٤.

(٢٠٧) إبن طاووس، الملهوف، ص١٥٨-١٥٩.

(٢٠٨) إبن طاووس، الملهوف، ص١٢٥-١٢٦.

(٢٠٩) إبن طاووس، الملهوف، ص١٢٥-١٢٦.

(٢١٠) ابو القاسم جعفر بن محمد القمي ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م كامل الزيارات، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٨١.

مكتبة البحث (المصادر)

١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.

* الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢. ابن سيرابيون، سهراب، ت٢٨٨هـ/ ٩٠٠م عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، اعتنى به هانس فون فريك، مطبعة هولزهوزن، فينا، ١٩٢٩م.

٣. ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م.

* الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق وتقديم الشيخ فارس تبريزيان الحسون، ط٤ طهران، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ.

٤. ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م.

٥. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م.

٦. مختصر كتاب البلدان، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* كتاب الفتوح، بيروت، دار الندوة الجديدة، د-ت، على أصل طبعة حيدر آباد الأولى لسنة ١٩٦٨م.

٧. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م.

* تاريخ الخلفاء الراشدين ودولة بني امية، المعروف بالإمامة والسياسة، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد، د-ت.

٨. ابن قولوبه، أبو القاسم جعفر بن محمد القمي ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م.

* كامل الزيارات، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٩. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الافريقي المصري، ت٧١١هـ/ ١٣١١م.

* لسان العرب، القاهرة، دار الحديثة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠. أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ايران، إنتشارات سعيد بن جبير، المطبعة عترت، ١٤٢٥هـ.

١١. أبو مخنف، لوط بن يحيى ت١٥٧هـ/ ٧٧٤م.

* مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، إيران، دار الزهراء، ١٤٢٨هـ.

١٢. أبونا، الأب البير.

١٣. ديارات العراق، بغداد، ٢٠٠٦م.

١٤. اركون، محمد-ديارات العراق، بغداد، ٢٠٠٦م.

* نزعة الأنسية في الفكر العربي، ترجمه هاشم صالح، ط١، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٧م.

١٥. أبونا، الاب البير.

١٦. ديارات العراق، بغداد، ٢٠٠٦م.

١٧. الجزائري، عبد الباقي قرنه.

١٨. معاوية، ط١، قم، دار التفسير، ١٤٢٦هـ.

١٩. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود ت٢٨١هـ/ ٨٩٤م.

* الأخبار الطوال، القاهرة، مطبعة عبد الحميد احمد، د.ت.

٢٠. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

* معجم البلدان، ط٨، بيروت، دار صادر، ٢٠١٠م.

٢١. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.

* تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٢. الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م.

* مقتل الحسين، ط٢، بيروت، دار الحوراء، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣. الرحيم، د. عبد الحسين مهدي.

* التاريخية الموروثة في كورة كربلاء المقدّسة حتى واقعة الطف، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، السنة الأولى ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م العدد الثاني.

٢٤. الزركلي، خير الدين.

* الاعلام، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م

٢٥. الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م.

* تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار، ط١، بيروت، دار الفكر ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٧. القمي، الشيخ عباس.

٢٨. تتمة المنتهي في تاريخ الخلفاء، ترجمة، نادر التقي، إيران، المطبعة بقيع عزيزي، ١٤٢٣هـ.

٢٩. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي ت٣٤٦هـ/ ١٠٥٤م وقيل ٣٤٥هـ/ ١٠٥٣م.

* مروج الذهب ومعادن الجواهر، حققه وقدم له مصطفى السيد بن أبي ليلى، القاهرة المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م.

٣٠. مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد حسن، حامد عبد القادر، محمد علي النجار.

* المعجم الوسيط، ط٢، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣١. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م.

٣٢. أحسن التقسيم في معرفة الإقليم، نشر دي غوية، ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦م.

٣٣. المنقري، نصر بن يزاحم ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

* وقعة صفين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، قم، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة بهمن، ١٤١٨هـ.

٣٤. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي، ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م.

* التاريخ، علّق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

المسار التأريخي لزيارة الأربعين

النشأة والتطوّر

المدرس المساعد

انتصار عبد عون محسن السعدي

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

The Historic path of Visiting Imam Al-Hussein Forty Days after his Martyrdom (Al-Arbaiyniah)

Emergence and Development

M. A. Intisar A. Mohsin Al-Saadi

Univiersity of Baghdad - College of Education for Women

Abstract

'Al-Arbaiyniyah' visit to Imam Al-Hussein's holy shrine is part of the Shiite heritage and it became a habit as well as a tradition. The biography of 'Ashuraa' and the symbolic funeral traditions are now present in all religious occasions and are represented by visiting Imam Al-Hussein every forty days after his martyrdom anniversary as a message of the spiritual connection between people and the Prophet Mohammed and his family (peace be upon them).

The Shiite Imams' speeches confirm the importance of this visit as a 'Husseiniyate' tradition which sheds light on the reality of the eternal conflict between the right and the untrue. This visit also represents the identity of the nation reflecting the real belonging to the brilliant school of Islam. It is thus a resurrection of the message of the Prophet Mohammed (Peace be upon him) who says: 'Hussein is from me and I am from Hussein' and to that path of struggle which was then followed by the Imams of the Prophet's family. Furthermore, it is considered a hard test in terms of commemoration and fighting for its revival.This research studies the historic path of 'Al-Arbaiyniyah' visit; its emergence and development and what have been associated with it in terms of traditions and rituals. It also explains the significance of these traditions and their social and political effects on the individual and the society as well.God dictates this tradition as a spiritual uprising of martyrs within a period of forty days; from the 10th of Moharram to the 20th of Sufar (Hijri months). It is the period which starts with the anniversary of Imam Al-Hussein's martyrdom and the captivity of his family who had been taken to the city of Kufa then to Damascus and then returned to Karbala in a long trip which lasted forty days.

This research starts with an introduction followed by three chapters and ends with a conclusion. The first chapter reviews historically the evidence which confirm the significance of this visit by citing what the Imams of Shiite (peace be upon them) mentioned and called for. The second chapter remarks the evolution of the traditions that are performed during this visit. In chapter three, the researcher sheds light on the most important social consequences of 'Al-Arbaiyniyah' visit and the continuity of the traditions till the present time as well as the role of the community of Karbala and the social solidarity that have been achieved so far.

الملخص

تعدّ زيارة الأربعين أهم مناسبة لدى المؤمنين وجزء من التراث الشعبي لديهم، ويبلغ الإهتمام بها ذروته حتى أصبحت عادة وتقليداً، كما أضحت سيرة عاشوراء ومجالس العزاء ملازمة لكلّ مناسبة دينية شيعية، إذ يتلى شيء من سيرة الحسين عليه السلام، حيث أصبح الحسين حاضراً في ذهن المؤمنين وفي كلّ المناسبات الدينية الشيعية الأخرى، تُمثِّل زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام النشأة والتطور، أحد أهم روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل بيت رسول الله عليهم السلام وهي القضية الحسينية التي أبكتهم دماء وأسالت على التاريخ أنهار الدموع، إذ أكّدت أحاديث الأئمّة عليهم السلام على أهميّة زيارة الأربعين، فالشعائر الحسينية تسلّط الضوء على حقيقة الصراع الأبدي بين الحقّ والباطل، بل وتشكّل هوية الأمة وتعطيها ذلك الانتماء الحقيقي لمدرسة الاسلام الناصعة لذلك فإنها تُمثِّل امتداداً لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: (حسين منّي وأنا من حسين) وذلك النضال الذي سار عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أنها تُشكِّل امتحاناً واختباراً عسيراً من حيث إحياؤها أو محاربتها.

تناول هذا البحث دراسة المسار التأريخي لزيارة الأربعين النشأة والتطوّر وما أرتبط بها من مراسيم وطقوس، وتوضيح أهمية هذه الشعائر وفاعليتها ونتائجها على الفرد والمجتمع من النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية، إذ شاءت إرادة الله سبحانه أن تكون نهضة سيد الشهداء وآله الأطهار من حين شهادته في العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة في كربلاء حتى العشرين من صفر من ذات السنة، وهي مدة مثّلت مسيرة السّبايا من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى دمشق في الشام والعودة إلى كربلاء المقدسة، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة من جميع أنحاء العالم إلّا تذكير بمسيرة كربلاء الخالدة.

قُسِّم هذا البحث إلى مقدّمة وثلاثة محاور وخاتمة تطرق المبحث الأول، لإعطاء نبذة تاريخية عن ثبوت زيارة الأربعين نصّاً وتأريخاً واهم روايات الأئمة المعصومين في خصوصية يوم الأربعين وفضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، بينما تطرقنا في المبحث الثاني لدراسة نشأة وتطور الشعائر الحسينية المتبعة في زيارة الأربعين، وفي المبحث الثالث قمنا بتسليط الضوء على أهم المعطيات الاجتماعية لزيارة الأربعين وديمومة تكثيف الشعائر الحسينية حتى يومنا هذا المتمثّلة بالمراسيم والطقوس ودور المجتمع الكربلائي في إحيائها، فضلاً عن دورها في تحقيق التآزر والتضامن الاجتماعي.

وخلاصة القول احتلّت زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام اهمية خاصة في نفوس المؤمنين لمكانتها العريقة، فقد تظافرت الروايات الواردة عنهم أن لزائر الحسين عليه السلام ولمعظم شعائره والمقيم العزاء عليه أجراً لا مثيل له.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تكمن أهمية دراسة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام النشأة والتطوّر في قدرتها على إعطائنا صوراً مختلفة عن طبيعةالشعائر والطقوس السائدة في المجتمع الكربلائي التي كانت ولا زالت تجسيدا لتلك الأهداف السّامية التي كان يتطلّع إليها الإمام الحسين عليه السلام في ظل دولة الجور والإرهاب وانتهاك الحقوق وضرب القيم الإسلامية، إذ انتفض الإمام الحسين عليه السلام ضد مظاهر التسلط والاستبداد، فكانت ثورته عليه السلام ثورة فكرية وإيمانية وجهادية لا ينضب معينها مادامت الدنيا وكان لها صداها المؤثر منذ استشهاده عليه السلام في عام ٦١ هـ وحتى يومنا هذا، ورغم مرور ما يزيد على الثلاثة عشر قرناً على هذه الواقعة الخالدة، فإن المتطلّعين إلى الحرية في العالم يستلهمون من تلك الثورة الخالدة المواقف الصلبة والشجاعة من أجل نجاح تحقيق مطالبهم ورفع الظلم عنهم وكيف لا وهو القائل عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

شكّلت الثورة الحسينية مجالاً واسعاً للبحث والدراسة واستخلاص العبر والمواقف، وهذا ما سنعرفه تفصيلاً من خلال هذا البحث الموجز بإذن الله تعالى.

اقتضت طبيعة الدراسة أن يقسّم إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، إذ كُرّس المبحث الاول لإعطاء نبذة تاريخية عن ثبوت زيارة الأربعين نصّاً وتأريخاً وأهم روايات الأئمة المعصومين في خصوصية يوم الأربعين وفضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، في حين شكّل المبحث الثاني مدخلاً لدراسة تطوّر الشعائر الحسينية المتبعة في زيارة الأربعين وما أرتبط بها من مراسيم وطقوس، وتوضيح أهمية هذه الشعائر وفاعليتها ونتائجها على الفرد والمجتمع من النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية، وحاولنا أن نُركّز في المبحث الثالث على أهم المعطيات الاجتماعية لزيارة الأربعين والتي عبّرت عن عمق المشاعر نحو عاشوراء في ذاكرة المسلمين والتي تجسدت باستمرارية إقامة العزاء والشعائر الحسينية حتى يومنا هذا.

اعتمدت الدراسة على مجموعة متنوّعة من المصادر، يأتي في مقدمتها كتاب مأساة الحسين بين السائل والمجيب للشيخ عبد الوهاب الكاشي، وتفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للمؤلف محمد بن الحسن بن الحر العاملي فضلاً عن كتاب (الموروثات والشعائر في كربلاء) للباحث سلمان هادي آل طعمة وكتاب (تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي) للباحث إبراهيم الحيدري، وغيرها من الكتب التي كان لها الأثر الأكبر في إغناء البحث بالمعلومات القيمة، كما اعتمدت الدراسة أيضاً على مجموعة مهمة من البحوث بوصفها سجّلاً حافلاً بالتفصيلات

الأساسية لهذه الدراسة، يأتي في مقدمتها مجموعة البحوث المنشورة والتي ألقيت ضمن الندوة التي عقدت في لندن عام ١٩٩٦م الموسومة بـ(دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري) كان لها الأثر الكبير في إغناء الدراسة، وغيرها من المصادر التي تنوّعت ما بين كتب اجنبية وعربية، إذ كانت رافداً مدَّ البحث بمعلومات وافية عن طبيعة الدراسة.

المبحث الأول:

ثبوت زيارة الأربعين نصّاً وتأريخاً

أكّدت أحاديث الأئمّة عليهم السلام على أهميّة زيارة الأربعين، حتى جعلها الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام (٢٣٣-٢٦٠هـ) من سيماء المؤمن فقال عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتّختّم باليمين، وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[١]، فكانت هذه أقدم إشارةوردت في زيارة الأربعين. وإنّ تأكيد الإمام العسكريّ عليه السلام على زيارة الأربعين لكي يتمسّك الشيعة بهذه الزيارة، ولا يكتفوا في إحياء أمر الإمام الحسين عليه السلام بأيّام عاشوراء، ولتبيّين حقيقة مظلومية السّبايا، وأهمّية إحيائها.

ورُوي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مُرُوا شيعتنا بزيارة قبر الحسين، فإن إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقّر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزَّ وجَلّ»، وعن أُم سعيد الأحمسيّة عن أبي عبد الله الصادق (٨٣-١٤٨هـ) عليه السلام، قالت: «قال لي: يا أُم سعيد، تزورين قبر الحسين؟: قلت: نعم، فقال لي: زوريه، فإن زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء»[٢].

كما وردت روايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في خصوصية يوم الأربعين وفضل زيارة الإمام الحسين(٦٢٦-٦٨٠م) عليه السلام في ذلك اليوم، ففي مستدرك الوسائل للنوري عن زرارة بن اعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن السّماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسّواد، والشّمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه اربعين صباحا وما اختضبت امرأة منا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده»[٣].

لقد دُفن جسد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث عشر من المحرّم أي بعد مقتله بثلاثة أيام ولكن رأس الحسين عليه السلام بقي على أطراف الرماح وبأيدي الأعداء وبين يدي ابن زياد ويزيد (لعنهما الله) حتى أعاده الإمام زين العابدين(٣٨-٩٤هـ) إلى كربلاء عندما رجع من الأسر وألحقه بالجسد الشريف، وذلك بعد أربعين يوماً من مقتله أي في العشرين من شهر صفر، وهذا أصحّ الأقوال وأقربها إلى الاعتبار[٤].

وبهذه المناسبة تكوَّنت زيارة الأربعين، إذ تفد المواكب العزائية وآلاف الزائرين إلى كربلاء يوم

العشرين من شهر صفر فكأنهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد عليه السلام وبنات الرسالة العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين عليه السلام، وفي الوقت نفسه يجددّون الاحتفال بذكرى مرور أربعين يوماً على شهادة الحسين عليه السلام[٥]، من هنا بدأت زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، إذ أنه اليوم الذي رجعت فيه رؤوس أهل البيت عليهم السلام إلى أبدانهم في كربلاء.

وإذا كان الباحثون قد اختلفوا، إثباتاً أو نفياً، حول رجوع السّبايا إلى كربلاء في العشرين من صَفر، فإنّهم اتفقّوا جميعاً على ورود الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاريّ[٦] إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك التّاريخ بعد استشهاده بأربعين يوماً، فقد عظم عليه نبأ قتل الحسين عليه السلام وهو في المدينة فخرج منها متوجّهاً إلى كربلاء لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام واصطحب معه رجلاً يقال له بن عطيّة العوفيّ[٧] وغلاماً له، وصادف وصوله إلى كربلاء يوم التاسع عشر من صفر، أي قبل ورود أهل البيت بيوم واحد، فلما وصل جابر إلى كربلاء، اغتسل بماء الفرات، ثم توجّه إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام برفقة عطيّة العوفيّ، فأجهش بالبكاء، ثمّ صاح بصوت عالٍ ثلاث مرّات: يا حُسين، يا حُسين، يا حُسين... ثمّ قال: حَبيبٌ لا يُجيبُ حَبيبَهُ وأَنّى لَكَ بِالجَوابِ وَقَدْ شُطِحَتْ أَوْداجُكَ عَلى أَنْباجِكَ، وَفُرِّقَ بَيْنَ رَأْسِكَ وَبَدَنِكَ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنُ النَّبِيِّينَ وَابْنُ سَيِّدِ المُؤْمِنِينَ وَابْنُ حَلِيفِ التَّقْوَى وَسَلِيلِ الْهُدَى وَخَامِسُ أَصْحَابِ الكِسَاءِ وَابْنُ سَيِّدِ النُّقَبَاءِ وَابْنُ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ وَما لَكَ ما تَكونُ كَذَلِكَ وَقَدْ غَذَّتْكَ كَفُّ سَيِّدِ المُرْسَلين، وَرُبِّيتَ في حجْرِ المُتَّقين..... ثمّ جال ببصره حول القبر، وقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُها الأَرْواح التي حَلَّتْ بِفِناءِ الحُسَيْنِ وَأَناخَتْ بِرَحْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالمَعْروفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَجاهَدْتُمُ المُلْحِدينَ، وَعَبَدْتُمُ اللهَ حَتّى أَتاكُمُ اليَقينُ، وَالذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ نَبِيّاً، لَقَدْ شارَكْناكُمْ فيما دَخَلْتُمْ فيهِ، ثم توجّه نحو القبور الطاهرة بهدوء وخشوع وكان يُسَبّح الله ويهلله ويقول لصاحبه بن عطية قصِّر الخطى في زيارة الحسين فإني سمعت رسول الله يقول: «إن لزائر الحسين بكلّ خطوة حسنة عند الله سبحانه وتعالى، ولما أتمّ جابر زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام توجّه إلى قبور الشّهداء الكرام حوله وسلم عليهم وحيّاهم أحسن تحية ثم قال لهم: أشهد أننا قد شاركناكم فيما أنتم فيه من الأجر الجزيل عند الله سبحانه وتعالى[٨]. وأمّا بخصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة فهي مروية عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال في زيارة الأربعين: «تزور عند ارتفاع النهار فتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه....»[٩].

فقال له: عطيّة العوفي كيف؟ ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم وأُوثقت أولادهم وأرملت الأزواج فقال له جابر: (إِنّي سمعتُ حبيبي رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ: (مَنْ أَحَبَّ قَوْماً كانَ مَعهم وَمن أَحَبَّ عَمل قَوم أُشْرِكَ في عملهم والذي بعث

محمّداً بالحقِّ نَبيّاً إنَّ نِيَّتي وَنِيَّةَ أَصْحابي على ما مَضى عَليه الحسينُ عَليهِ السلام وَأَصحابهُ)[10].

ثم التقى جابر بن عبد الله الأنصاري في اليوم الثاني بالإمام زين العابدين عليه السلام عند قبر الحسين عليه السلام واستمع منه إلى تفاصيل ما جرى هناك فكثر البكاء والعويل حول قبر الحسين عليه السلام، وأقيمت المآتم من قبل أهل السواد والنواحي الذين كانوا قد توافدوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام على زين العابدين وبنات الرسالة واستمروا على تلك الحال ثلاثة أيام ثم بعد ذلك ارتحل زين العابدين عليه السلام بالعائلة من كربلاء مواصلاً سيره نحو المدينة المنورة[11].

وقد سمع جابر أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام الحسين عليه السلام ولمس مكانة الحسنين عليهما السلام من قلب المصطفى، فلا عجب أن يتوجّه هذا الصّحابيّ الجليل، على كبر سنّه، إلى كربلاء عندما سمع بما حلّ بسبطي النّبيّ صلوات الله عليهما.

وتقول الروايات أيضاً: أن يزيد أمر بردّ السّبايا والأسارى من الشام إلى المدينة المنورة في الحجاز مصطحبين بالرؤوس تحت إشراف جماعة من العرفاء يرأسهم النعمان بن بشير الأنصاري[12]، فلما بلغ الركب أرض العراق في طريقه إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قالت السيدة زينب عليها السلام للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء ومضى بهم حتى اشرفوا على ساحة القتل المشؤومة، وكان جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل وجماعة من بني هاشم ورجال من آل الرسول قد وردوا العراق لزيارة قبر الحسين عليه السلام، إلّا أن السيد ابن طاووس، أحد العلماء البارزين (٥٨٩-٦٦٤هـ)، كان قد ذكر هذه الرواية، ولكن دون أن يذكر بأنها قد حدثت بعد أربعين يوماً من استشهاد الحسين عليه السلام» ولما رجعت نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق، قالوا للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فتوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمعت اليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً »[13].

نجد مما تقدّم، أن هذه الحادثة مؤشّر تأريخي إلى بداية انطلاق طقوس الحداد في يوم الأربعين على الحسين عليه السلام، إذ يظهر أن البكاء واللطم ومظاهر الحزن كانت العلامة المميزة لممارسة طقوس الحداد على الحسين عليه السلام بعد استشهاده مباشرة.

المبحث الثاني:

نشأة الشعائر الحسينية في زيارة الأربعين وتطوّرها

يُشكِّل هذا المبحث مدخلاً لدراسة تطور الشعائر الحسينية المتبعة في زيارة الأربعين وما ارتبط بها من مراسيم وطقوس، وتوضيح أهمية هذه الشعائر وفاعليتها ونتائجها على الفرد والمجتمع من النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية، إذ

ارتبطت مراسيم العزاء الحسيني بمأساة كربلاء الدامية مثلما ارتبطت بتأريخ الحزن والشهادة، فلا توجد أرض مدماة مثل أرض كربلاء ولم يحزن شعب على فقيده مثل حزن المؤمنين ولا سيما في العراق على الحسين عليه السلام، حتى أصبح الحزن والعزاء سمة من سمات شخصية الفرد العراقي في الوسط والجنوب[١٤].

يقصد بالشعائر الحسينية مجموعة مراسيم يؤديها أحباب أهل البيت عليهم السلام في كلّ مكان لهم فيه حضور، من زيارة الحسين عليه السلام وإقامة المجالس الحسينية والبكاء عليه، وقد طغت تسمية الشعائر على مراسيم الحزن على سيد الشهداء، إذ أنها اختصّت بذكر الإمام الحسين عليه السلام[١٥]، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١٦]، وتأتي خصوصية إقامة الشعائر الحسينية في يوم أربعين الإمام الحسين عليه السلام المصادف العشرين من صفر كونها تتزامن مع ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في هذااليوم، وهي مدّة مثّلت مسيرة السبايا من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى دمشق في الشام والعودة إلى كربلاء المقدّسة، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة من جميع أنحاء العالم إلا تذكير بمسيرة كربلاء الخالدة، ويُسمّى هذا اليوم فيالعراق (مَرَد الرأس)، فتقام الشعائر استذكارا لهذه الحادثة الأليمة فتُتجدَّد الأحزان، ومنذ ذلك اليوم وهو العشرون من صفر، أصبح هذا التاريخ مشهودا فتتوافد مئات الآلاف من الزائرين إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام واقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة، كما ونلاحظ ان عدد الأربعين ذاته يُمثِّل جانب التكامل في الإنسان قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشدّه وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه»[١٧]، وقال عليه السلام: «من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً فلم يعذبه»[١٨].

لقد شاء الله أن تكون قضيّة الإمام الحسين عليه السلام استثنائية في كلّ جوانبها، ومن الاستثناءات التي امتازت بها قضية الإمام الحسين عليه السلام ما يُقام على الإمام الحسين عليه السلام من مجالس العزاء على مصابه وشدة الحزن والبكاء عليه والإطعام والشعائر وبقية الخدمات الأخرى في شهري محرم وصفر يفوق جميع المجالس التي تقام على باقي المعصومين طيلة العام، وشدّ الرحال لزيارته في كلّ مناسبة اسلامية مهمة، وفي كلّ ليلة جمعة وغيرها فإن ما ورد من الحثّ على ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر المعصومين عليهم السلام بشأن الحسين لم يرد في شان أي معصوم منهم، فقد تظافرت الروايات الواردة عنهم أن لزائر الحسين عليه السلام ولمعظم شعائره والمقيم العزاء عليه أجراً لا مثيل له، لأن الله تعالى شاء ان تكون قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية استثنائية، وتعامل على هذا الاساس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام امير المؤمنين ومولاتنا فاطمة الزهراء والإمام الحسن وبقّية الأئمة من بعد الإمام الحسين إلى الامام المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذ قال الإمام المهدي عجل الله فرجه بحق

جده الحسين عليه السلام مالم يرد مثله بحقّ أي معصوم من أجداده المعصومين عليهم السلام[19]، ومنها قوله عليه السلام «ولأبكين عليك بدل الدموع دما»[20]، فمثل هذا القول لم يصدر من الإمام المهدي عجل الله فرجه بحقّ أي من أجداده الطّاهرين حتى جدّته الزهراء عليها السلام.

إن إقامة مظاهر الحداد والاحتفال لذكرى عاشوراء والأربعين هي قديمة جداً، إذ بدأت مجالس العزاء والاجتماعات للنوح والبكاء على مأساة الحسين عليه السلام بعد مرور ايام قليلة على مصرعه عليه السلام، وذلك بتوافد أهل الضواحي والسواد إلى كربلاء بعد رحيل الجيش، واجتماعهم رجالاً ونساءً حول قبر الحسين عليه السلام، ولما عاد الإمام زين العابدين عليه السلام من الشام إلى كربلاء يوم الأربعين وجد أهل السواد مجتمعين حول قبر الحسين عليه السلام وقبور الشهداء بالحزن والحداد فاستقبلوه بالبكاء والعويل يتقدّمهم الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله تعالى) ولما عاد أهل البيت إلى المدينة المنورة استقبلهم الناس بالحداد والأسى والنوح والبكاء وضجّت المدينة في ذلك اليوم ضجة واحدة، حتى صار ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أُقيمت مجالس العزاء في أنحاء المدينة ولاسيما في حي بني هاشم فكان مجلس الإمام زين العابدين عليه السلام ومجلس العقيلة زينب عليها السلام ومجلس الرباب زوجة الحسين عليه السلام ومجلس أم البنين أم العباس بن علي عليهما السلام، وغيرها تملأ أجواء المدينة بالكآبة والحزن والحداد، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يغتنم كلّ فرصة لإثارة العواطف وإحياء ذكر المأساة في نفوس الجماهير فمن ذلك مثلاً: سمع عليه السلام ذات يوم رجلاً ينادي في السوق (أيها النّاس ارحموني أنا رجل غريب، فتوجّه اليه الإمام عليه السلام وقال له لو قدر لك أن تموت في هذه البلدة فهل تبقى بلا دفن، فقال الرجل: الله اكبر كيف أبقى بلا دفن وأنا رجل مسلم وبين ظهراني أمة مسلمة، فبكى الإمام زين العابدين عليه السلام وقال: وا أسفاه عليك يا أبتاه تبقى ثلاثة أيام بلا دفن وأنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستمر أئمة الهدى عليهم السلام يحثّون شيعتهم على التمسّك بإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام رغم الإرهاب والضغط الذي مارسه الحكام ضدّهم وكانوا عليهم السلام يفتحون أبوابهم للشعراء والمعزّين منذ عصر الإمامين الباقر (٥٧-١١٤هـ) والصادق عليهما السلام حتى عصر الامام علي الرضا (١٤٨-٢٠٣هـ) عليه السلام في عهد الخليفة العباسي المأمون (٨١٣-٨٣٣م) الذي توسّعت فيه شعائر الحسين عليه السلام، وانتشرت مجالس العزاء بتأييد من الإمام الرضا عليه السلام ودعم من المأمون، فكانت دار الإمام الرضا عليه السلام تزدحم بالناس يستمعون فيها إلى رثاء الحسين عليه السلام وكلمات الحث والتشويق والتشجيع من الإمام عليه السلام[21].

وفي سياق متصل، عزّزت حركة التوّابين على إقامة الشعائر الحسينية وتوّسعها وتُعدّ أوّل حركة ثورية ضدّ الحكم الأموي بعد واقعة الطف في القرن السابع الميلادي في الأول من شهر ربيع الثاني عام٦٥هـ بقيادة المختار بن أبي عبيد الثقفي[22]، والصحابي سليمان بن صرد الخزاعي[23] حين

قاموا بأوّل حركة مقاومة ضدّ الحكم الأموي ورفعوا شعار- «يا لثارات الحسين» فأصبح هذا الشعار هتاف جماهيري تطلقه آلاف الحناجر بوجه السلطة الأموية وأخذ يكبر يوماً بعد يوم فشكّل أوّل نواة لإطلاق هذه الشعائر، فكان المختار أوّل من أقام مأتماً في داره في الكوفة إحياءاً لذكرى عاشوراء[٢٤] وكانت المناجاة الحسينية تتعالى في أزقّة الكوفة وبيوتاتها، فيقام الندب وتتحرك المشاعر التي تتحول إلى غضب يدفعهم ويحضّهم على الأخذ بثأر الحسين من قاتليه، كما أرسل بعض النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على الإمام الحسين كما أقام التوابون مأتماً عند قبر الحسين وهم يرثونه ويبكونه ويتضرّعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه[٢٥].

ويبدو أن تلك الحركة هي التي كوّنت النواة الأولى لإقامة مراسيم العزاء في يوم عاشوراء والأربعين، فبعد ان شعر أهل الكوفة بالندم المرير لمقتل سبط الرسول محمدﷺ، فكان بعض المناصرين لأهل البيت يذهبون إلى كربلاء للتجمع حول قبر الحسينعليه السلام في كلّ عام لإظهار الندم وطلب المغفرة لتقاعسهم عن نصرته في واقعة كربلاء، تلك المأساة الدامية التي كونت الجذور العميقة للطقوس والشعائر الحسينية[٢٦]. فكانت هذه المراسيم شرارة الثورات والانتفاضات التي انطلقت ضدّ الظلم، إذ استمدّت منها قوتها وحيويتها وتوالى عقد المجالس الحسينية، فكان المؤمنون في تلك السنوات يجتمعون في شهر محرم من كلّ عام في بيت من بيوت الأئمةعليهم السلام أو في بيت أحد من أنصارهم للبكاء على الحسينعليه السلام واستذكار يومه الدامي، إذ ينشد أحد الشعراء قصيدة في رثاء الحسينعليه السلام ويقدمون العزاء والسلوى لأهل البيتعليهم السلام ثم أخذت هذه المجالس بالاتساع وكان القُرّاء يقرأون المقتل بصوت شجّي يستدرّ دموع المستمعين[٢٧].

ومنذ ذلك الحين أصبحت كربلاء مزاراً يؤمّه الكثير من المسلمين، بالرغم من محاولات الاضطهاد والتنكيل التي قام بها الأمويون ومن بعدهم العباسيون لمنع زيارة قبر الإمام الحسينعليه السلام وتقديم العزاء لأهل البيت، وقد مرّت الشعائر الحسينية بأدوار شتّى على امتداد تأريخها وتعرّضت لظروف قاسية نتيجة السياسات المتعاقبة، فبعد وصول العباسيين للحكم كانوا قد روّجوا لدعوتهم على أساس الأخذ بالثأر للإمام الحسينعليه السلام من بني أمّية وكانت دعوتهم (الرضا من آل محمد) فاستغلّوا نقمة المسلمين وسخطهم على الأمويين نتيجة التنكيل والاضطهاد الذي لاقوه منهم، وما إن اعتلوا العروش حتى نكصوا على أعقابهم لأنهم وجدوا ان ثورة الحسينعليه السلام لم تكن ضد الأمويين فحسب وإنما كانت ضد كلّ الظالمين، فأصبح اسم الحسينعليه السلام يقض مضاجعهم ويُهدّد مصالحهم بصورة مباشرة، فعمدوا إلى محاربة هذا الاسم ومداهمة أي بيت أو مجلس يذكر فيه هذا الإسم والتنكيل بمن فيه فمرّت هذه الشعائر بأقسى من الظروف السابقة، وكانت مدة المتوكل العباسي(٢٠٥-٢٤٧هـ) أقسى مدة مرت بها الشعائر الحسينية، إذ أمر بهدم

قبر الحسين عليه السلام وقطع أيدي زوّاره وارجلهم ورؤوسهم[٢٨].

وقد التزم أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالحفاظ على زيارة الحسين عليه السلام في ظروف صعبة وشاقة وقد كلّفتهم تضحيات غالية، ففي عصر الخليفة العباسي المتوكل فرضت ضريبة مالية قدرها ألف دينار من ذهب على كلّ شخص يرد كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام ولما رأت السلطات العباسية أن هذه الضريبة الباهظة لم تمنع الناس من زيارة الحسين عليه السلام أضافوا اليها ضريبة دموية فكانوا يقتلون من كلّ عشرة زائرين واحداً يُعيَّن من بينهم بطريق القرعة، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعلمون ذلك كلّه ولم يمنعوا الناس من زيارة الحسين عليه السلام لما فيها من مكاسب روحية واجتماعية وسياسية للمؤمنين، بل يحثّونهم على الاستمرار في زيارة قبر الحسين عليه السلام رغم كلّ الصعاب والعقبات ويقولون لهم أن لزائر قبر الحسين عليه السلام بكل خطوة يخطوها حسنة عند الله سبحانه وتعالى[٢٩]، لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فكأنما زار الله في عرشه»[٣٠].

ولم تزل الشعائر الحسينية تزداد وتتسع بما تلاقيه من الدعم والتأييد المعنوي من قبل أهل البيت عليهم السلام والعلماء الأعلام في كلّ الأوساط الشيعية حتى قامت الدولة الحمدانية الشيعية(٣١٧-٣٩٩هـ) فأعطت هذه الشعائر قدراً كبيراً من الدعم والتأييد ثم قامت الدولة البويهية (٣٢٠-٤٤٥هـ) الموالية لأهل البيت عليهم السلام فوسّعوا هذه الذكرى الأليمة واعطوها صفة رسمية تُعطَّل من أجلها الأسواق والأعمال والدوائر الحكومية وتخرج المواكب العزائية بالأعلام السود وشارات الحداد تحت رعاية وإشراف كبار العلماء وأقطاب رجال الدين، فكانت بغداد مثلاً في عهد عضد الدولة الحسن بن بويه الديلمي(٣٥٧-٤٠٤هـ)، تخرج على بكرة أبيها يوم العاشر من المحرم في مواكب عزائية ضخمة يتقدمها رجال الدين والدولة[٣١]، وإذا كان المؤمنون في تلك العصور لم يستطيعوا أن يُعبرّوا عن حزنهم العميق بمأساة كربلاء تعبيراً كاملاً فإن الظروف اختلفت واستطاعوا لأول مرة من إقامة العزاء الحسيني بشكل كامل وعلني في بغداد، إذ خرج الناس إلى الشوارع وأُغْلقت الأسواق ونُصبت المآتم ونظمت المواكب ولبس السواد ووضعت الجرار لسقي الماء، ثم سار الناس حفاة الأقدام حاسري الرؤوس إلى كربلاء لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام[٣٢] في عام(٣٥٣هـ) في أيام معزّ الدولة البويهي(٣٥٧-٣٨٨هـ)[٣٣] الذي كان أوّل من جعل مراسيم العزاء الحسيني عادة تُتبَّع سنوياً في بغداد، وكانت هذه المدة من اهم السنوات في تأريخ نشوء وتطوّر الشعائر الحسينية، لأنها أُقيمت لأول مرة بشكل علني، إذ أصبح الطريق معبداً أمام المؤمنين لإعلان شعائرهم بدون رقيب فكانت تُمارس قبل ذلك بشكل سري ومحدود، إذ بدأت هذه الشعائر تمارس أدوارها منذ عهد البويهيين، إذ أمر معز الدولة البويهي عام (٣٨٤هـ) الناس أن يُظهروا الحزن والنياحة ويلبسوا ثياباً سوداء، وأن تخرج النساء ناشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن[٣٤].

وفي كربلاء خرجت النساء ليلاً وخرج الرجال نهاراً حفاة الأقدام لمواساة الحسين[٣٥]، وما إن جاء السلاجقة (٤٧٦-٦١٥هـ) حتى أعلنوا الحرب على هذه الشعائر واتخذ المؤمنون احتياطاتهم لإقامة العزاء الحسيني غير أن الوضع تغير بعد مجيء الصفويين إلى السلطة، إذ أعطوا للشيعة مطلق الحرية في ممارسة شعائرهم[٣٦]، فعلى أثر وصولهم للحكم في بلاد فارس(١٥٠١-١٧٢٢م) وإعلانهم المذهب الشيعي الإثني عشري مذهباً رسمياً للبلاد، إذ كان ملوكها علويين نسباً ينحدرون من سلالة الإمام السابع موسى الكاظم عليه السلام (١٢٨-١٨٣هـ)، فأُقيمت مراسيم العزاء، ثم تطوّرت خلال القرن التاسع عشر، وانتشرت في جميع أنحاء إيران، وكانوا قد شجَّعوا ممارسة الشعائر والطقوس الدينية ومراسيم العزاء الحسيني وزيارة العتبات المقدّسة في العراق[٣٧]، فأيدوا الشعائر الحسينية ووسعوها ومّثلوا واقعة كربلاء تمثيلاً حياً تحت رعاية وتوجيه علماء الطائفة ومراجع التقليد أمثال العلامة الحلي(٦٤٨-٧٢٦هـ) والمحقق المجلسي(١٠٣٧-١١١١هـ) وغيرهما (رضوان الله عليهم أجمعين).

وهذا التمثيل له جذور في سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، فإنه قد أخذ من حيث الأصل من ظاهرة وردت في مجلس الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام[٣٨]، وأضافوا لتلك الشعائر والطقوس شيئاً من تراثهم الفولكلوري، وطبعوا تلك الشعائر بطابع ديني، فلم تقتصر مراسيم العزاء الحسيني على بقعة محددة من الأرض أو مدّة معين من الزمن، بل كانت قضية الإنسانية في كلّ زمان ومكان، إذ امتدت إلى كثير من الدول الإسلامية نظراً لأهمية هذا اليوم في التاريخ لدى المؤمنين، ومن هذه الدول الإسلامية ايران والهند وباكستان وتركيا وآذربيجان وبنغلاديش، فضلاً عن أن مراسيم العزاء كانت قد انتشرت من إيران إلى الهند وكذلك إلى آذربيجان التركية والأناضوليبدو أن هذه الشعائر والطقوس قد انتقلت من العراق إلى بلاد فارس عن طريق العلماء والخطباء من جهة، وعن طريق الزوّار الفرس والهنود الذين جاؤوا إلى العراق لزيارة العتبات المقدّسة من جهة أخرى، فتأثرت بشكل أو بآخر بمراسيم العزاء الحسيني في العراق[٣٩].

وخلال مدة حكم العثمانيين جرت محاولات عدة للتضييق على مراسيم العزاء الحسيني ولا سيما مدة الوالي داود باشا (١٨١٧-١٨٣١)[٤٠] الذي كان من أشّد الولاة تضييقاً على المؤمنين، وقد شدّد من منعه على إقامة الشعائر الحسينية، لاعتقاده بأنها إحدى وسائل الدعاية الفارسية التي تحاول عن طريقها التغلغل في الأراضي العثمانية، حتى أضطروا إلى إقامة مجالس التعزية في السراديب بعيداً عن العيون والرقباء والأسماع كما تركوا امرأة تدير الرحى في صحن الدار لكي لا يسمع المارة في الشارع صوت مَن يقرأ العزاء أو مَن يحضر مجالس العزاء، إلاّ أن الوضع تغير فبعد الإطاحة بالمماليك وسقوط داود باشا، أصبح علي رضا باشا اللاظ[٤١] (١٨٣١-١٨٤٢) والياً على العراق، إذ تطورّت مراسيم العزاء الحسيني،

وذلك لأن علي رضا كان بكتاشياً متصوّفاً يميل إلى التشّيع وقدّس أهمية أهل البيت عليهم السلام، فسمح بإقامة مجالس العزاء الحسيني التي أخذت بالنمو والتطور تدريجاً، إذ كان هذا الوالي يحضر بنفسه مجالس التعزية التي تقام في البيوت وبشكل علني، مما أعطى دفعاً قوياً لتطورها وانتشارها فبعد أن توجّه بقواته إلى بغداد لخلع داود باشا عام ١٨٣١م توجّه إليه سبعة من وجهاء بغداد والتقوا به في الموصل وأبلغوه إنّ داود باشا منعهم من إقامة المجالس الحسينية، وطلبوا منه أن يسمح لهم بممارسة الشعائر والطقوس العزائية، فوعدهم بذلك وبلغهم بأنه سيحضر شخصياً إلى المجالس التي سيقيمونها[٤٢]، ومما لا شكّ فيه إنّ حضور الوالي علي رضا باشا بنفسه مجلس التعزية، قد شجّع عدداً كبيراً من العوائل لإقامة مجالس التعزية في بيوتهم، وبالتالي أعطى حافزاً قوياً لتطوّر المجالس الحسينية ونموها وانتشارها في العراق.

وسار الولاة العثمانيون من بعده على نهجه في السماح للأهالي بممارسة شعائرهم فيشهر محرم[٤٣]، ثم امتدّت إقامة المجالس الحسينية بعد ذلك إلى المساجد والمدارس الدينية وأضرحة الأئمة، واستمرت الممارسات والشعائر الدينية التي تُقام في عاشوراء والأربعين في العراق من خلال حكم الولاة العثمانيين الذين جاءوا بعد علي رضا باشا، وقد ترسّخت هذه الشعائر وأخذت طابعاً جماهيرياً، فإلى جانب مجالس التعزية أُقيمت مواكب اللطم والتشبيه، غير أن الوالي العثماني مدحت باشا[٤٤] الذي حكم العراق بين (١٨٦٩-١٨٧٢م) حاول منع مسيرة مواكب العزاء وأصدر مرسوماً في محرم عام ١٨٦٩م منع فيه إقامة مسيرات المواكب، وهدّد بمعاقبة كلّ من يقيم مجلس عزاء[٤٥]، إلّا أن مدحت باشا أضطّر إلى إلغاء ذلك المنع في العام التالي، وأعتقد أحد المؤرخين أن سبب الإلغاء يعود إلى أن الثري الهندي إقبال الدولة قد هدّد بسحب المبالغ الضخمة التي ساعد بها مدحت باشا في بناء مدرسة الصنائع في بغداد[٤٦]، وقد استشار مدحت باشا الباب العالي أيضاً في ذلك فكان جواب الباب العالي هو «دعهم يفعلون ما يشاؤون ما داموا لا يؤذون إلاّ أنفسهم»، وأشار إليه بالتساهل بإقامة مواكب العزاء الحسيني[٤٧].

وتقيم كربلاء من كلّ عام مهرجانها السنوي الحزين في بداية كلّ عام هجري، احياء لذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته وأصحابه النجباء في واقعة الطف[٤٨]، فتقام في مدينة كربلاء معالم الحزن والعزاء، إذ تلبس المدينة بشوارعها وساحاتها العامة ومحلّاتها التجارية، لاسيما الصحنين الشّريفين والقباب والمنائر الذهبية حِلّة من السواد، وتُنشر المصابيح الحمراء والخضراء وغيرها ليلاً حتى نهاية شهر صفر وزيارة الأربعين في مدينة كربلاء وتستمر حتى ذكرى وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في النجف الأشرف[٤٩]، فكانت كربلاء هي أوّل المدن الشيعية العراقية التي أُقيمت فيها الشعائر الحسينية لإحياء حادثة الطف، وبذلك أصبحت أحداث كربلاء الدامية والمأساوية تُخرج تقليدياً في كلّ عام

على شكل مسرحي إيقاعي يُقارن بما كان معروضاً بعروض الطقس الديني في الغرب.

حرص أهالي مدينة كربلاء على إقامة المناسبات الدينية، إذ يُعدّ شهر محرم الحرام من الأشهر المقدّسة والجليلة، إذ يستعد أهالي مدينة كربلاء مبكراً لاستقبال هذا الشهر الحزين من خلال إظهار علامات الأسى والحزن واللافتات التي تُمجّد وتُعظّم هذا الشهر الأليم ومكانته عند المسلمين(٥٠)، بما أن مدينة كربلاء المقدّسة هي مركز الواقعة الأليمة والفاجعة الكبرى، فقد أصبحت قبلة أنظار العالم الإسلامي، يزورها في هذه الذكرى آلاف المسلمين لأداء زيارة الإمام الحسين عليه السلام وحضور المجالس الحسينية التي تقام في كلّ أحياء مدينة كربلاء(٥١)، فقد كان لهذه المكانة عمقها الديني في نفوس أهالي المدينة، فتُلقى المحاضرات الدينية، وتُقام المجالس الثقافية التي يستمع فيها الأهالي إلى الموعظة الدينية والتوجيه التربوي الإسلامي الذي يُمثّله شهر محرم الحرام عند شيعة ومحبّي أهل البيت عليهم السلام، وكانت معظم المجالس والمحاضرات تقام في الحسينيات والجوامع، ويحضرها من الرجال والنساء والشباب ووجهاء المدينة وحتى الأطفال ليستمعوا إلى هذه الخطب والمواعظ الدينية، وتُعقد هذه المجالس الحسينية منذ حلول شهر محرم الحرام من قبل العلماء والأشراف والشيوخ، وسائر طبقات المجتمع، تتناول هذه المجالس، مسيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع أهل بيته وأصحابه، حتى استشهاده على أرض كربلاء في عام (٦١هـ/ ٦٨٠م)، في العاشر من محرّم الحرام وأبرز هذه المجالس، (آل الطباطبائي، آل القزويني، آل الشهرستاني، مجلس آل كمونة، مجلس آل الشيرازي) وغيرهم من بيوت أهل العلم والمعرفة كما كانت هناك المجالس تُعقد في بيوت الأشراف مثل (آل طعمة، آل ثابت، آل نقيب)، فضلاً عن ذلك تقام مجالس في دور التجار، وغيرهم من فئات المجتمع الكربلائي، إذ يتبارى الخطباء في تلك المجالس الحسينية من الموعظة الدينية والتوجيه التربوي والاجتماعي والثقافي التي من شأنها تعمق الترابط الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع الكربلائي(٥٢).

وأوّل من عمل على إشاعة التعازي وترسيخها هو الشيخ الشاعر الخطيب محمد نصار النجفي المتوفّى عام (١٨٢٤م) كأول خطباء وشعراء المنبر الحسيني الذي أقام في داره مجلس العزاء الحسيني وقرأ بنفسه التعزية، ونظم قصيدة في الندب والرثاء التي ألقاها وأنشدها بنفسه في المجالس الحسينية، وبقيت قصائده التي كتبها بالفصحى والعامية تتداول في مجالس العزاء الحسيني من قبل القرّاء والخطباء(٥٣)، وتكون المآتم الحسينية أو مجالس العزاء بذكر مأساة أهل البيت عليهم السلام، إذ أُقيمت مجالس العزاء في الشام حينما كانت السبايا هناك، وأيضاً في كربلاء بعد عودتهم إليها في الأربعين، ومازالت مجالس العزاء حتى يومنا الحاضر تقيمها النساء الموالیات النادبات للإمام الحسين، وهن الصورة الحاضرة لنساء الطفوف(٥٤).

وتُسمّى مآتم النساء (بالقراية) أو مجلس عزاء، إذ تأتي النادبات والتي تحمل كلّ منها كتابا مغلفا

بجلد أسود ليتلاءم مع المناسبة الحزينة ويجلسن النادبات وتأتي نساء الجيران ويجلسن حولها على شكل حلقة، وتبدأ (الملّاية أو النادبة) بالقراءة والبقية يرددن خلفها بالصراخ وبعد أن تكمل (الملاية) قراءتها يبدأ أهل الدار بتقديم القهوة، وهناك مآتم يقيمها الرجال في شهر محرم ويضع صاحب العزاء في وسط الدار كرسياً عالياً مغطّى بقماش أسود (المنبر)، ويفرشون الدار من ثم يقوم (الملا) بقراءة مقتل الحسين[٥٥]، ومن ثم يعجّ الحاضرون بالبكاء بعدها يختم القراءة بأبيات شعرية ويدعو للمسلمين ولمؤسس المجلس ويطلب قراءة الفاتحة وإهداء ثوابها إلى أرواح المؤمنين[٥٦].

وقد شارك في إحياء الشعائر الحسينية الأمير الهندي منير الدولة محمد علي شاه الذي قصد كربلاء عام ١٨٤٢م زائراً العتبات المقدّسة يرافقه مجموعة من مرافقيه وخدمه، مع زوجته الأميرة الهندية الحسناء (تاج دار بهو) وقام بتشييد قصر فخم للزّوار الهنود في شارع السدرة، وبنى بجانبه داراً لزوجته الأميرة بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام (دار بهو) لتقيم به مراسيم العزاء الحسيني وتحوّل هذا القصر إلى حسينية يسكنها الهنود الفقراء، واقام به جناحاً خاصاً للعبادة سمّي عند الهنود بـ«إمام باره» وفيه غرفة جميلة مزينة بالمرايا والأحجار الكريمة أطلق عليه اسم «دركاه» وفي هذا البهو أقاموا أوّل عزاء للإمام الحسين عليه السلام ومزجوا معه التشابيه إذ نصبوا في وسط البهو هيكل حصان خشبي يعلوه سرج من الذهب يرمز إلى «حصان شهيد كربلاء الإمام الحسين عليه السلام» ومهداً مصنوعاً من الفضة المرصّعة بالأحجار الكريمة يرمز إلى مهد الطفل الرضيع الذي ذُبح مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ووضع في البهو منبر بديع الصنع من الفضة، وزُين البهو بآلاف من الثريات والمصابيح[٥٧]، وفي يوم عاشوراء والأربعين (العشرين من صفر) في كلّ عام تستعد مواكب العزاء للخروج منذ الصباح الباكر ويرفعون الضريح والمهد ويُسّيرون خلفهما حصاناً خاصاً أبيض اللون مخضّباً بالدماء أُعدّ لهذه الغاية ويُعرف عندهم بـ (ذي الجناح) ويتقدم الموكب حملة الصولجانات الذهبية ويحيطون بموكب عزاء السبايا حاملين الرايات البديعة الألوان وبالقرب منه يسير موكب الطبالة وخلفهم يسير موكب عزاء الأميرة محاطة بالخدم والنساء والرجال لاطمين على الوجوه والصدور وبين حين وآخر ينادي الرادود (ياحسين.. يا حسين)، بينما جماعة أخرى يضربون ظهورهم بالسلاسل الحديد، وعلى هذا المنوال يسير موكب عزاء الأميرة من البهو قاصدين الصحن الشّريف بين زغاريد النساء الهنديات النائحات الناثرات الشعور تتوسطهن الأميرة وهي مكلّلة بالسواد حافية القدمين وهي تهيل على رأسها التراب وتنشد الترانيم والأشعار الدينية الهندية الشجية فيسير الموكب على هذا النحو حتى وصوله إلى مشبك المذبح، ثم يرتقي المنبر أحد الخطباء الهنود فينشد الترانيم الشجية التي تثير أعمق الاثر في نفوس السامعين، وبعد الانتهاء من قراءة الترانيم

والأناشيد الدينية، تتقدّم الأميرة وبيدها قدح مملوء بالحليب الممزوج بالزعفران فتسقي الحصان وبعد ذلك تقوم بسقي الناس المجتمعين والمشتركين من هذا القدح تيمنا وتبرّكاً، ثم يسير الموكب ويطوف بشوارع كربلاء حتى وصوله للمخيم فالروضة الحسينية ثم يعود للإمام، وكذلك كانت الأميرة تقوم بهذه المراسيم في مواسم زيارة الأربعين (مرد الرؤوس)، إذ أنها تقيم أيام شهري محرم وصفر في البهو لإقامة مراسيم العزاء وتلاوة المراثي الحسينية وإطعام الفقراء[٥٨]، ونلاحظ أن بعض الشعائر والطقوس التي تقام في العزاء الحسيني تعود نشأتها إلى هذه الأميرة إذ اقتبس أهالي كربلاء هذه الطقوس وطوّروها.

وذكرت هذه المراسيم والشعائر الخاصة بالمسلمين لدى الرحالة آشر (**oesher**) عام (١٨٦٤م) لدى زيارته إلى مدينة كربلاء المقدّسة وشاهد ما راه قائلاً: (المسلمون يقيمون في كلّ سنة مراسيم العزاء المحزنة تخليداً لبطولة الحسين واستشهاده...من شدّة ما ينتابهم من الحزن والأسى)[٥٩]، فضلاً عن أن زيارة العتبات المقدّسة لدى بعض البلدان مثل الهند والأفغان تكون مثل الحلم لديهم على نحو ما وصفه ادوارد نولد (**edwerd noled**) ١٨٩٢ م بقوله: (زار كربلاء... ولاحظ كثيراً من الزوّار الذين يفدون إليها من أنحاء العالم الإسلامي، وذكر أحد الهنود أنه كان يحلم بتحقق هذه الأمنية زيارة مشهد الحسين منذ سنوات طويلة وعندما عجز عن ذلك بسبب فقره، وعدم تمكّنه من توفير المبلغ اللازم فقد صام عدّة أيام، وفي إحدى الليالي طاف به الإمام أخبره انهسيزور كربلاء والنجف قريبا، وعندما علم أهل قريته بذلك جمعوا له مبلغا طائلاً، وودّعوه عندما سافر بحرارة)[٦٠].

ويتقاطر الزّائرون على كربلاء من مختلف أصقاع المعمورة ومن داخل العراق، فيأتون قبل حلول يوم الأربعين بأيام ويستأجرون الدور الواسعة والخانات الكبيرة والحسينيات لغرض المكوث ثلاثة أيام، وإقامة المآتم والاستعداد للطبخ خلال هذه المناسبة، وكانت محلّة العباسية في مقدّمة المحلّات التي يؤجّر فيها الدور على المواكب الحسينية لوجود الشوارع المتعددة وسعة الدور ثم يتمّ الإطعام على أفراد الموكب، وكانت الرايات الحسينية تُرفرف على واجهات المواكب[٦١].

وقد ظهرت في العقود الأخيرة ظاهرة (المشي إلى كربلاء) من المدن المجاورة وحتى البعيدة قبيل يوم الأربعين بعدة أيام، وذلك لأداء زيارة مرد الرأس الشهيرة ومواساة سيد الشهداء الحسين عليه السلام، وقد اعتاد الناس أن يمشوا المسافات الطويلة من بلدهم استناداً إلى ما ورد في ذلك (الأجر على قدر المشقّة) وروي عن بعض أئمة المسلمين وخلفائهم انهم ساروا على الاقدام لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرّسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتجديد ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام وإثارة الحزن والاسى على الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيما أن ذلك موجب للأجر والثواب[٦٢].

ولهذا نجد الجميع يحثّ الخطى دون كلل وتعب للاستزادة من اقتطاف الأجر الذي تعهّدت له النصوص الشرعية بأنه يثاب على كلّ خطوة يخطوها في طريقه إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومن هذه النصوص رواية أبي الصّامت، قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع عنه ألف درجة»، وفي رواية أُخرى عن علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «يا علي زُر الحسين ولا تدعه. قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟

قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة»[٦٣].

ومن الجدير بالذكر أن نُشير إلى ان جلال الدولة البويهي(٤١٦-٤٣٥هـ) زار مشهد الإمام علي وولده الحسين عليهما السلام وكان يمشي حافي القدمين قبل أن يصل إلى كلّ مشهد منهما نحو فرسخ[٦٤] وكان يفعل ذلك تديناً[٦٥]، وروي ايضاً أنه في عام ١٦٠٢م مشى الشاه عباس الكبير(١٥٧١-١٦٢٩م) على قدميه من أصفهان حتى طوس وهي مسافة تبلغ (٨٠٠) ميل بغية التبرّك بزيارة المرقد الرضوي[٦٦].

وعن الحسين بن محمد القمي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من زار قبر أبي عبد الله بشط الفرات كمن زار الله فوق عرشه[٦٧]، والجدير بالذكر أن زيارة سيّد الشهداء عليه السلام وهي بهذا الثواب العظيم لابدّ لها من تكامل أولي واستعداد ذاتي حتى يوفق الشخص لزيارته فعن الفضيل ابن عثمان عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أراد الله به الخير قذف في قلبه حبّ الحسين عليه السلام وحبّ زيارته، ومن أراد الله به السوء قذف الله في قلبه بغض الحسين عليه السلام وبغض زيارته»[٦٨].

وفي شهر صفر وتحديداً في العشرين منه والذي يُصادف ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام يعمدون إلى إقامة المراسيم الخاصة بها وتسمّى (مرد الرأس) ويمكثون ثلاثة أيام في كربلاء[٦٩]، وإقامة التشابيه[٧٠] وتمثيل واقعة الطف سواء في شهر محرم أم صفر فذكر ذلك الرحالة كوبر (**kober**) عام (١٨٩٣م) قائلاً: «إن التقديس الذي يكنه الكربلائيون أو الحجّاج لاسم الشهيد الحسين، هو أمر لافت للنظر حقاً، ففي شهر محرم تُمثِّل في بلاد فارس والهند بشكل منتظم المأساة الفاجعة للشهيد الحسين، أمام حشود الناس إذ تثير أحزان المشاهدين لتصل إلى حالة من الأسى العميق، وقد شهدت بنفسي على باخرة في دجلة رواية للمأساة من قبل الكربلائيين لمجموعة من الحجاج، إذ أثارت مشاعرهم إلى درجة إنهم جميعهم قد اخذوا ينشجون بالبكاء بحزن صادق»[٧١].

فيتم استذكار وتجديد الحزن والعزاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ويتقاطر آلاف الزوّار على كربلاء وهم على شكل مواكب وقد تأسس موكب عزاء (مرد الرأس) عام ١٩٠٥ على يد السيد حسين عرب نجيفي فكانت تقام مراسيم العزاء في هذا اليوم التي تنظم في مقرات المواكب وبعدها يتجهون إلى مرقدي الإمام الحسين وأخيه

العباس عليه السلام. وهكذا تستمرّ المواكب وحشود الزوّار حتى الصباح بعدها يعودون إلى بيوتهم بعد اداء مراسيم الزيارة[٧٢]، وبعد استكمال مراسيم الزيارة يعمد الزائر إلى أخذ شيء تذكاري من الأسواق المحيطة بالعتبات المقدّسة سواء كانت الصور والحجب أو من البراق النبوي وترب الصلاة.

وقد اعتاد أهالي مدينة كربلاء في تمثيل واقعة الطف في اليوم العاشر من محرم من كلّ عام التي تعرف بـ(التشابيه)، ثم تليها أضخم زيارة تشهدها مدينة كربلاء وهي زيارة الأربعين، إذ تزدحم مدينة كربلاء لكثرة الزوّار الذين يقصدون المدينة لأداء الزيارة، وجرت العادة عند المسلمين منذ زمن بعيد المجيء بمواكبهم في كلّ عام إلى مدينة كربلاء، ومن جميع مناطق العراق وقُدِّر عدد الزائرين في عام ١٩٣٢م بـ(١٠٠٠٠٠) زائر[٧٣]. نظراً لكثرة المواكب التي تقصد مدينة كربلاء ومن جميع مناطق العراق، ومن أجل الحفاظ على النظام العام، فقد اتخذت الحكومة العراقية قبل الزيارة بأيام بعض الإجراءات وتطلّب من الجهات المختصة، زيادة أعداد أفراد الأمن في كربلاء، لحفظ النظام في المدينة، والمحافظة على راحة الزائرين، وتنظم هذا العدد الكبير من المواكب، عبر تنظيم السير وجعل انسيابية دخول وخروج تلك المواكب وبما لا يؤثر على النظام الاجتماعي للمدينة[٧٤].

وخلاصة القول: إن الشعائر هي وسيلة إعلامية وتعبيرية عن أمر حسّي له علاقة وارتباط بالله تعالى، وتأتي الشعائر الحسينية في مقدّمة تلك الشعائر، التي من خصائصها أننا إذا حضرنا مجلساً لإحياء ذكرى شهادة النبي أو الإمام علي أو السيدة الطّاهرة فاطمة أو الإمام الحسن عليه السلام....الخ، فلابد وأن تسمع الخطيب يعرّج على ذكر مصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وذلك لعظيم مصاب سيد الشهداء، فهو قد جمع بمصيبته كلّ مصائب أهل البيت عليهم السلام في يوم استشهاده عليه السلام، وقد أوضحت ذلك مولاتنا زينب عليها السلام بقولها: «وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن....»[٧٥].

مما تقدّم، نجد أن لهذه المدينة منزلة خاصة في نفوس المسلمين ولها أهمية كبيرة في نظر الخاص والعام، فهي مدينة مقدّسة لدى جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم وعلى اختلاف قومياتهم وأوطانهم فنراهم يشدّون الرحال اليها ويتوقون إلى شم ثراها والتبرك بعتباتها والاستشفاء بتربتها، ثم التوجّه إلى الله تعالى في الدعاء والتضرّع وطلب الحوائج وتيسير الأمور.

المبحث الثالث:

المعطيات الاجتماعية لزيارة الأربعين

إن هذه الظاهرة الفريدة هي ليست وليدة الحاضر الراهن وليست نتاجاً لحضارات آنية وعابرة ومنعزلة عن الظروف والشروط الاجتماعية والسياسية التي انتجتها وتعيد انتاجها اليوم. وانما

هي وليدة ارهاصات تراكمت عبر واقع موضوعي امتدّ عمقاً في التأريخ العربي الإسلامي، وتجّذرت في الذاكرة الشعبية وتداخلت فيها عوامل المكان والزمان بحيث كوّنت وعياً تكوينياً امتدّ إلى عمق الحاضر لتظهر في شكل مراسيم وشعائر وطقوس عبّرت وما زالت تُعبِّر عن عمق المشاعر نحو عاشوراء في ذاكرة المسلمين(٧٦).

تُعّد المراسيم المقامة بمناسبة عاشوراء والأربعين من الطقوس والمراسيم الفريدة التي يمارسها شيعة العراق، وقد أدّى مرقد الإمام الحسين عليه السلام في مدينة كربلاء دوراً أساسياً في نشوء هذه الطقوس وتطوّرها، فضلاً عن بروز كربلاء كمركز له حضوره التأريخي والروحي عند الشيعة، بسبب تحوّل هذا المكان إلى موقع مقدس ومهم للزيارات، وكذلك موقعاً رئيساً لاستذكار معركة كربلاء الأليمة وإعادة إحيائها والتفاعل مع أحداثها بصورة مادية ومعنوية.

ويروي الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله بالحث على هذه الشعائر والمراسيم «أن الجزع والبكاء مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين عليه السلام فإنه فيه مأجور»(٧٧)، إن هذه الأحاديث قد جعلت من طقوس العزاء حالة استثنائية بل ويثاب عليه الإنسان أيضاً، كما نجد أن الاحاديث المروية عن ائمتهم قد أصبحت تحثّهم على إقامة مراسيم العزاء في أوقات مختلفة وليس في عاشوراء فقط، وتحثّ الشعراء والنعاة على إثارة شجون المستمعين، من ذلك نستنتج أن مظاهر العزاء على الإمام الحسين عليه السلام لم تقتصر على كونها ممارسة وجدانية فحسب بل أصبحت ممارسة عقائدية عزّزتها أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام.

تأتي خصوصية زيارة الأربعين في استذكار الفاجعة التي جرت على أهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء وما صاحبها من المآسي والآلام وتعريف الناس بجور بني أُمية وأذنابهم، فضلاً عن كونها تُشكِّل إحياء لنهضة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية وتعاليمه الأخلاقية ومبادئه النبوية فإن قضية سيّد الشهداء عليه السلام هي التي ميّزت بين دعوة الحقّ والباطل، ولولا نهضة الحسين ووقوفه بوجه الظلم والطغيان الأموي لكاد الاسلام أن يندثر حتى قيل: (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)، وما قام به الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الإصلاحية كان امتدادا لدعوة الرسول لنشر الإسلام وهو عليه السلام الامتداد الطبيعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنص حديث الرسول: (حسين مني وأنا من حسين، اللهم أحبّ من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)(٧٨).

لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام من عَملهِ الاستشهادي أموراً كانت وما زالت تُمثّل عطاءاً كبيراً لا ينضب للفرد والمجتمع الإسلامي على حد سواء، حتى صارت ديمومة الخط الإسلامي المحمدي الأصيل يدين لهذه الثورة بالشيء الكثير، ولولاها لكانت ثقافة الاسلام وفكره هي ثقافة بني أُمّية، فضلاً عن أنها أجّجت روح الثورة والرفض للظلم وألهبت الروح الكفاحية والنضالية في المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال تقديم الأمام نفسه وأبناءه وأصحابه لأسمى

مراتب التضحية ونكران الذات في سبيل المبدأ لكي يكون منارا لجميع الثائرين[٧٩].

ويظن البعض أن الوظيفة الاجتماعية من تكثيف الشعائر الحسينية تتطلّب الاعتقاد اللائذ بالتضحية من أجل شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وقد امتلكت مجالس العزاء وسائر الشعائر الحسينية، الكثير من العناصر اللازمة لتحويل الأقلية الشيعية إلى كتلة اجتماعية فاعلة قادرة على تنظيم شؤونها الداخلية والحفاظ على تماسكها أمام التحديات التي واجهتها ومن خلال عناصر وحدتها وتماسكها وتنظيمها، استطاعت هذه الطائفة الإسلامية أداء دورها والقيام بمسؤوليتها أمام السّبط الشهيد عليه السلام[٨٠].

تهدف الشعائر والطقوس الدّينية إلى جانب وظائفها الروحية والاجتماعية والنفسية إلى تعميق روح التضامن بين الأفراد الذين ينتمون إلى طائفة معينة، لأن الدين أو العقيدة تؤدّي دوراً أساسياً في تحقيق التآزر والتضامن الاجتماعي، فضلاً عن أن ممارسة هذه الطقوس والشعائر تهدف إلى تقديم الولاء لآل البيت من جهة، وطلب الشفاعة عندهم وغسل الذنوب لديهم للنجاة في اليوم الآخر من جهة اخرى، ولاسيما زيارة الإمام الحسين وتقديم العزاء له، وقد يتعدّى ذلك إلى البكاء الحار واللطم المبرح عنده، بحيث يصبح التعذيب الجسدي عند البعض منهم بسيطاً وتافهاً في نظرهم، بالمقارنة مع حجم المأساة الدامية التي تحملها الإمام الحسين وأهل بيته يوم عاشوراء، وبهذا أكتسب الإمام الحسين دور الشفيع والمنقذ عن طريق استشهاده الذي تضّمن معنى التضحية والجزاء[٨١].

في ضوء ما تقدم لم تكن لمراسيم زيارة الأربعين آثار دينية فحسب بل كانت لها آثاراً اجتماعية واقتصادية ايضاً، فمن الناحية الاجتماعية، كان لها دور كبير في اختفاء الفوارق والحواجز الطبقية الاجتماعية بين مختلف الفئات، فضلاً عن ان طقوس زيارة الأربعين لم تعد طقوساً دينية واجتماعية فحسب، بل ومناسبة اقتصادية جيدة لدى الكثير ممن يبحثون عن فرصة للعمل والحصول على بعض المكاسب التجارية الموسمية، إذ حرص الزائرون على شراء الهدايا لأهلهم وأقاربهم، لاسيما الهدايا التي تعبر عن خصوصية المناسبة والمكان، ذلك عند استكمال مراسيم الزيارة يعمد الزائر إلى اخذ شيء تذكاري من الأسواق المحيطة بالعتبات المقدّسة يحمله معه سواء كانت الصور والحجب ام غيرها ويمتاز الصفارون المتخصصون في صناعة الصفر الذين ينقشون على منتجاتهم الآيات القرآنية ومدائح آل البيت وصور البراق النبوي[٨٢]، فشهدت أسواق كربلاء لاسيما القريبة من مرقدي الإمامين الحسين والعباس عليهما السلام إقبالاً كبيراً من قبل المتبضعين الذين جعلوا هذه الأسواق في قمة موسمها التجاري. وخلاصة القول، كان لمراسيم العزاء الحسيني اكبر الأثر في ظهور الكثير من الشعائر والعبادات والحفاظ عليها التي أصبحت من القضايا المهمة، وعدت من الممارسات الاجتماعية التي لا يمكن

التخلي عنها، حتى أصبحت جزءاً من الموروث الاجتماعي للمدينة.

إن مدرسة الحسين عليه السلام يجب أن تستمر في كلّ مكان وذكـراه يجب أن تقام في كلّ زمان، وقد أظهرت ثورته مصداقاً للثورات التحرّرية في تاريخ العالم كلّه واستشهاده أوضح وأجلى صورة للاستشهاد في سبيل الله تعالى، ذلك لأن الحسين عليه السلام قام بأداء أعظم فريضة من فرائض الإسلام وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقام بأدائها على أصعب مراتبها وأشد صورها وأرفع مستوياتها فالله سبحانه وتعالى احتفظ بيوم الحسين حيّاً خالداً ليكون حجّة على الناس وقدوة للمسلمين.

فلا عجب بعد هذا إذا عرفنا السبب والعلة، إذ يُقال إذا عـرف السبب زال العجب ومنه نعرف أسباب حرص المسلمين عامة على إحياء ذكرى الحسين عليه السلام ونشرها ولفت الأنظار اليها بكلّ الوسائل والشعائر، لأن الحسين عليه السلام أعظم داعية للجهاد في سبيل الله وأظهر مثل للثبات والاستقامة على المبدأ وأرفـع منار على طريق الشعور بالمسؤولية وأدائها.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة نستطيع أن نستنتج مفاهيم عـدّة ورؤى جسدت أربعينية الإمـام الحسين عليه السلام هي كالآتي:

١. إن أهمية مدينة كربلاء المقدّسة تتبلور من خلال ما تحتويه من منزلة عظيمة بحكم العلاقة الروحية التي تربط المسلمين بثراها الطّاهر، إذ يرقد فيه الإمام الحسين عليه السلام وأخوه أبو الفضل العباس عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الأطهار عليهم السلام، فمنذ ذلك الوقت أصبحت هذه المدينة محطّ أنظار المسلمين حتى تبوّأت مكانتها الرفيعة ومنزلتها السامية.

٢. إن الشعائر الحسينية بكافّة أشكالها وجميع أنواعها هي شعارات حضارية راقية، وإذا ما قُورنّت ببقية الشعائر الموجودة لدى غير المسلمين اليوم لرأيناها هي أرقى الشعائر التي يمتلكها أصحاب الأديان والمبادئ الأخرى، وهذه المواكب والشعائر الحسينية المتداولة عند المؤمنين اليوم هي غير جديدة وإنما هي قديمة وعريقة.

٣. إن الأعمال العزائية التي يقوم بها المؤمنون أيام الأربعينية إنما يُعبّرون بها عن دعمهم وتأييدهم للخير والعدل والحقّ، واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل.

٤. من أهم النتائج والآثار لمأساة الحسين وحادثة كربلاء، انتشار التشيّع، وظهور مذهب أهل البيت، أكثر فأكثر وتزايد عدد المؤمنين في العالم الإسلامي، رغم أن انبثاق التشيع كان مقارناً مع انبثاق فجر الإسلام ومنذ أوائل البعثة المحمدية غير أنه كان محدوداً ومحصوراً في نطاق أعيان الصحابة وأعلام المهاجرين والأنصار بالإضافة إلى بني هاشم، أما بعد ثورة الحسين فإنه أي التشيّع أصبح منتشراً في

كافة الأقطار وبين عامة الفئات وهذا دليل على وعيهم الاجتماعي ونضجهم السياسي الكامل حسب ما يؤكّده الباحثون وحسبما هو واضح من ثوراتهم التحرّرية عبر تأريخهم الطويل والمليء بالتضحيات، وكانت مراسيم العزاء تتسع وتتقلّص حسب لون السياسة الحاكمة واجتهاد الحكام وقد ذهبت بسببها ضحايا كثيرة بسبب الجهل بمكانة آل البيت عليهم السلام وعدم تقديرهم لشعائر الودّ والمحبّة لصاحب الرسالة وأهل بيته، وكان (عزاء الحسين) رغم جميع هذه الأحوال قائماً كلّ عام في موسمه من محرم الحرام وإنما يختلف تقلصاً واتساعاً حسب الظروف ولكنه في جميع الأحوال كان يزداد تمكناً في النفوس واستقراراً في القلوب.

٥. لقد أجمع المؤرخون بأن فاجعة كربلاء من أشد الوقائع أثراً في النفوس، ذلك لما وقع على ساحة طف كربلاء يوم العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة لذلك حين يحلّ هذا التاريخ من كلّ عام، ويهلّ هلال محرم الحرام يستعد المسلمون في معظم أنحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية ولا سيما في يوم العاشر من محرم والأربعين منه، إذ يتذكَّر المسلمون فيه هذه المناسبة الأليمة متذكّرين مصارع آل النبي الكرام في كربلاء في حزن عميق وشجن عظيم وإظهار شعائر الحزن والأسى تجاه هذه الفاجعة الدامية التي أثرت في العالم الإسلامي تأثيراً بالغاً سرمدياً لانهاية له منذ ذلك الحين والى يومنا هذا إلى ما شاء الله من أيام الدهر.

الهوامش

(١) محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٢م، المجلد السادس، باب ١٦، ص٤٣؛ عباس القمي، مفاتيح الجنان، تعريب محمد رضا النوري، دار الثقلين، قم، ٢٠٠٣م، ص٥٤٢؛ محمد بن الحسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٩٦٤م، ج١٤، ص٤٧٨.

(٢) ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٩٣٥م، ص١١٦-١١٧؛ محمد بن الحسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ص ٣٤٧.

(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢١٥.

(٤) وهناك أقوال مختلفة في تحديد مدفن رأس الحسين الشريف عليه السلام، غير أن الذي عليه الشيعة هو الرأي القائل إن الإمام السجاد عليه السلام أعاده إلى كربلاء ودفنه مع الجسد. ينظر: علي بن موسى بن طاووس، الملهوف في قتلى الطفوف، دار المرتضى، بيروت، د.ت، ص١١٤؛ الشيخ الصدوق، الأمالي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٢٣٢؛ محمد بن الفتال النيشابوري، روضة الواعظين، غلام محسن المجيدي، منشورات دليل ما، ٢٠٠٢م، ص ١٩٢؛ عبد الوهاب الكاشي، مأساة الحسين بين السائل والمجيب، ط٢، بيروت،

١٩٧٨م، ص١٧٩.

(٥) عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٦) جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المعروف(٦٠٧-٦٩٧م)، وُلد جابر في المدينة المنورة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة في عائلة فقيرة تنتمي لبني الخزرج، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي، وكان أبوه عبد الله من أوّل من بايع النبي محمد(ﷺ) من الأنصار وأسلم بين يديه، وأوّل واقعة سجلها لنا التاريخ الإسلامي عن حياة جابر هي حضوره مع أبيه في بيعة العقبة الثانية التي وقعت في السنة الثالثة عشرة للبعثة، وكان أصغر من شهد البيعة من الأوس والخزرج، ومن الحفّاظ ومكثري الحديث، لم يستطع جابر أن يقاتل مع الإمام الحسين في كربلاء في يوم عاشوراء بسبب كبر سنه. ولكنه كان حسب الروايات أوّل من زار الإمام الحسين في يوم أربعينه في أرض المعركة وعنه تروى أوّل زيارة أربعين للإمام الحسين فمات رضوان الله عليه مسموماً عام ٧٨ه. ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، مطبعة الاتقان، دمشق، ١٩٤٧م ج٣، ص٤٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، القاهرة، د. ت، ج١، ص٣٧٧؛ محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧٨٧؛ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ١٩٢.

(٧) عطية العوفي: أحد رجال العلم والحديث يروي عنه الأعمش، وروي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين(عليه السلام) وهو الذي تشرف بزيارة الحسين(عليه السلام) مع جابر الأنصاري الذي يُعدّ من فضائله أنه كان أوّل من زاره قال أبو جعفر الطبري في كتاب ذيل المذيل:عطية بن سعد بن جُنادة العوفي من جديلة قيس، يكنى أبا الحسن. توفي عام ١١١ بالكوفة، وكان كثير الحديث ثقة. ينظر:عباس القمي، الكُنى والألقاب، ج٣، مطبعة العرفان، صيدا، ص٤٨٩، د.ت.

(٨) عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٩) محمد بن الحسن الطوسي، المصدر السابق، ص ٧٨٨؛ علي بن موسى بن طاووس، إقبال الأعمال، ج٣، تحقيق:الشيخ حسين الأعلمي، ص١٠١؛ محمد بن الحسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٢٥.

(١٠)عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، بشارة المصطفى(ﷺ) لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت، ص ٨٩؛ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٦٥، مؤسسة الوفاء، بيروت، ص ١٣٠، ١٩٩٣م؛ عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٨٠.

(١١)عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٨٠.

(١٢)هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري المدني ولد في السنة الثانية من الهجرة، ولي الكوفة في عهد معاوية، ثم ولي حمص لابن الزبير، وبها قتل وذلك عام أربع وستين أو خمس وستين قتل بقرية بيرين بعد وقعة مرج راهط. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، مركز إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٧م؛ الذهبي، المصدر السابق، د.ت، ص٤١٢.

(١٣)ابن نما الحلي، مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠م، ص٧٩؛ علي بن موسى

بن طاووس، المصدر السابق، د.ت، ص٢٢٥.

(١٤) ابراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني الأبعاد الدينية والاجتماعية- السياسية لمراسم العزاء الحسيني في العراق، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري وقائع الندوة العلمية التي عقدت في لندن، مؤسسة الزهراء الخيرية، الكويت، ١٩٩٦م، ص٧٠٤.

(١٥) مركز كربلاء للدراسات والبحوث، عاشوراء الحسين ماض متألق ومستقبل مشرق، شرح وتعليق لمضامين خطب الجمعة لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، كربلاء، ٢٠١٥م، ص٤١.

(١٦) سورة الحج: الآية ٣٢.

(١٧) الشيخ الصدوق، الخصال، تحقيق علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ج٢، ص٥٤٥.

(١٨) محمد بن الحسن الحر العاملي، المصدر السابق، ج ٢٧، ص ٢٩.

(١٩) مؤسسة الأنوار الأربعة عشر الثقافية، أسرار زيارة كربلاء بحث روائي حول زيارة الإمام الحسين من توجيهات المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي، ترجمة علاء حسين الكاظمي، دار المؤمل، بيروت، ٢٠١٢م، ص١٦-١٨.

(٢٠) محمد باقر المجلسي، المصدر السابق، ج٩٨، باب ١٨، ص٢٣٧.

(٢١) عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٥١.

(٢٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي: (١/ ٦٧هـ- ٦٢٢/ ٦٨٦م) قائد عسكري طالب بدم الإمام الحسين عليه السلام وقتل جمعاً من قتلته ممن كان بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم، سيطر على الحكم بالكوفة ورفع شعار (يا لثارات الحسين) وكان يخطّط لبناء دولة علوية في العراق، وقد قُتل في الكوفة عام ٦٧ للهجرة على يد جيش مصعب بن الزبير دفن في الكوفة قرب مسجدها وكان لثورة المختار دور كبير في نشر التشيّع وتوسيع رقعته. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ج٧، ١٩٨٠م، ص١٩٢.

(٢٣) سليمان بن صُرَد بن جون الخُزاعي صحابي جليل من سادات العرب ووجهاء المؤمنين في الكوفة ولد قبيل البعثة وكان من الموالين لآل البيت عليهم السلام شارك في بعض المعارك التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام إبّان خلافته، وقاد حركة التوابين المطالبين بثأر الإمام الحسين والمتعقّبين لقتلته عام ٦٥هـ في منطقة عين الوردة، فرماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فسقط وقال: (فزت وربّ الكعبة) وكان يبلغ من العمر ٩٣عاماً.ينظر: جمال الدين المزي، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ج١١، ص٤٥٥-٤٥٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٨م، ج٤، ص٢٩٢.

(٢٤) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ج٢، ص١٣٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٢٦) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦م، ص١٧.

(٢٧) هبة الدين الشهرستاني، مختصر نهضة الحسين، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٦م، ص١٧٣.

(٢٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، مج٧، ص٥٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٣٤.

(٢٩) عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٣٠) محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٦، ص٤٥.

(٣١) عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٣.

(٣٢) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة (قسم كربلاء)، دار المعارف، بغداد، ١٩٦٦م، ج٨، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٣٣) معز الدولة البويهي: هو السلطان البويهي أبو الحسن بن بويه الديلمي الملقب بمعز الدولة اول من تملك من سلاطين الدولة البويهية عام ٣٣٤هـ وهي السنة التي دخل معز الدولة إلى بغداد واستلم السلطة الفعلية في العراق، واتخذ من بغداد عاصمة له، أهم ما تميّز به عهده هو النهوض الفكري والثقافي في مختلف حقول العلم والمعرفة، كما أتسم بالعدل والتسامح وهو أوّل ما أنشئ مستشفى في بغداد وأرصد لها أوقافاً جزيلة وأعتق عبيده وتصدّق بمعظم أمواله الخاصة للمشاريع الخيرية. للمزيد ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مج ٧، ص٢٠٥-٢٠٦، ص٢٢٩.

(٣٤) ابن الأثير، المصدر السابق، مج٧، ص٧؛ كامل الشبيبي، الفكر الشيعي حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م، ص٤٥.

(٣٥) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣٦) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد، ١٩٤١م، ص٣٢؛ **Browne, E, A,. Literary Of Persia, Great Pritain, 1999, P, 28**

(٣٧) إبراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني، دراسات حول كربلاء، ص٧١٠-٧١١.

(٣٨) عبد الوهاب الكاشي، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٣.

(٣٩) إبراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني، دراسات حول كربلاء، ص٧١٠-٧١١.

(٤٠) داود باشا: هو آخر ولاة المماليك الذين حكموا مدينة بغداد، هو عبد مملوك، ولد عام ١٧٧٤م، من أسرة كرجية مسيحية في تفليس في جورجيا، جاء إلى العراق في العاشرة من عمره عن طريق شراء بعض النخّاسين، بيع في بغداد، وتدرّج في أرقى المناصب في زمانه، من كاتب إلى أمين اختامثم كتخدا في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ومن ثم أصبح والياً على بغداد بعد وفاة سليمان باشا، إشتهر بغزواته للعشائر المتمرّدة في لواء الدليم كما اشتهر عنه بسالته ودفاعه وصده للغزوات الفارسية التي كانت تنوي احتلال بغداد توفي في عام ١٨٥٨م ودُفن في البقيع. للمزيد ينظر: عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤١-٤٢؛ جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بغداد، ١٩٧١م، ج١، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٤١) ولد علي رضا باشا في طرابزون الواقعة على البحر الأسود عام ١٧٧٩م، ينتمي إلى قبيلة اللاظ أو اللازرعمل متسلما في مغنيسيا وموظفاً في جمرك ازمير، وفي عام ١٨٢٨م عمل كتخذ الرؤوف باشا والي حلب، وفي عام ١٨٢٩م وجهت إليهرتبة الوزارة وولاية حلبثم والياً لديار بكر عام ١٨٣٠م ثم أسندت إليه ولاية بغداد وغيرها من المناصب، اتسم بالقسوة الشديدة التي استعملها ضدّ المماليك إذ قتل منهم مائتي مملوك من بينهم ابن الوالي داود باشا، إلاّ أنه عفا عن داود باشا وجعله يغادر استانبول بسلام، توفي علي رضا عام ١٨٤٥م ودفن في دمشق بجوار بلال الحبشي. للمزيد ينظر: سالنامة ولاية بغداد، ١٢٩٢م، ص٤٦؛ عماد عبد السلام رؤوف، العراق في وثائق محمد علي، بيت

الحكمة، بغداد، ١٩٩١م، ص٦-١؛ رنا عبد الجبار حسين الزهيري، ايالة بغداد في عهد الوالي علي رضا اللاظ (١٨٣١-١٨٤٢م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥م، ص٢٨؛ سليمان فائق، تاريخ بغداد، نقله إلى العربية علاء موسى كاظم نورس، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٠م، ص١٧٩.

(٤٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧١م، ج٢، ص١١٠.

(٤٣) عزرا سمويل ساسون، مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي، مطبعة جرجي عزوري، الاسكندرية، ١٩١٠م، ص١٢؛ علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٠.

(٤٤) مدحت باشا: ولد مدحت باشا (أحمد شفيق) في تشرين الأول عام ١٨٢٢م، أصل أسرته من روسنجق مركز ولاية الدانوب ببلغاريا في استانبول، كان أبوه قاضياً يدعى الحافظ محمد أشرف، عرف منذ صباه بجديته واهتماماته بتحصيل العلوم، وبعد أن أكمل تعليمه تدرّج في سلّم الوظائف، إذ تقلد في ستينات القرن التاسع عشر مناصب إدارية رفيعة، وبرز كرجل دولة معروف في ايالات الدولة العثمانية ومصلحيها المعروفين إذ عُين عام ١٨٤١م بوظيفة قلم مكتوبجي، ثم عين في مناصب كثيرة، ففي عام ١٨٦٠م رُقّي إلى مرتبة الوزارة بإشغاله ولاية نيش في بلغاريا عام ١٨٦١م، ثم تولّى ولاية الطونة عام (١٨٦٤-١٨٦٨م) ثم رئاسة شورى الدولة، ولم يستمر مدحت باشا في منصبه هذا كرئيسٍ لمجلس شورى الدولة طويلاً، فقد قام بتقديم استقالته، فعُيّنَ بعد قبول استقالته والياً على ولاية بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢م)، تُوفّي في السجن في آذار عام ١٨٨٤م، عرف مدحت باشا باصلاحاته ومطالبته المستمرة بتأسيس نظام دستوري عادل في الدولة. ينظر: علي حيدر مدحت، مدحت باشا حياة سياسي خدماتي منفاحياتي، هلا مطبعة سي، استانبول، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٤م، ص٧-١٢؛ **John Murray, The Life of Midhat Pasha Record of His Services, Political, Reforms, privat Document and Reminiscenisscenis cenes, albmarle street, 1903, P. 32; Ali Haydar Midhat, The life of Midhat Pasha, London, 1903.**

خالد محسن إسماعيل، آثار إبراهيم صالح شكر، قلم وزير، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠م، ص٧٠؛ مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، القاهرة، ١٩١٣م؛ قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، بيروت، ١٩٥١م.

(٤٥) رئاسة دائرة الارشيف العثماني، كتاب الباب العالي إلى والي بغداد المرقم ٣٧٣٧٤١٥ في ٥ كانون الثاني ١٣١٨م، وثيقة رقم ٨٢٠.

(٤٦) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ١٩٣٦م، ج١، ص ١٧٩.

(٤٧) علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص١١١.

(٤٨) هي الواقعة التي حدثت بين الإمام الحسين واصحابه وأهل بيته عليهم السلام وبين جيش يزيد بن معاوية، وذلك بعد ان دعا أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام لنصرتهم واستعادة مجدهم وعاصمتهم إبان خلافة الإمام علي عليه السلام بعد أن علموا بإمتناع الإمام الحسين عليه السلام للبيعة ليزيد وتعرّضه لضغط الأمويين ثم مغادرته المدينة إلى مكة، فأتفق أعيان الكوفة على دعوة الحسين ومبايعته وأرسلوا إليه كثيراً من الكتب

التي تحثّه على تلبية الدعوة فقررّ الحسين الخروج فاعترضه جيش يزيد فجرت المعركة الفاصلة التي فقد فيها الإمام الحسين عليه السلام جميع أصحابه وبقى وحيداً في ساحة المعركة فتكاثر عليه الأعداء حتى قتلوه في العاشر من محرم عام (٦١هـ/ ٦٨٠م) في معركة جسّدت الصراع بين الحقّ والباطل والخير والشر. للمزيد ينظر: محمد الصدر، أضواء على ثورة الإمام الحسين، هيئة تراث الشهيد الصدر، النجف الأشرف، ١٩٩٦م، ج٢، ص٧٥-٧٩.

(٤٩) علي عبود حسين، موجز وقائع تاريخية لمدينة الحسين، مطبعة أهل البيت، كربلاء، ٢٠١١م، ص ٢٢٩.

(٥٠) صحيفة أنوار كربلاء، العدد ٢٢، السنة الثانية، أيلول، ٢٠٠٩م.

(٥١) جواد بشارة، جذور المسرح الشعبي الديني في كربلاء المقدسة، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، ص٦٩١-٦٩٩.

(٥٢) إبراهيم شمس الدين الحائري القزويني، مذكرات ١٩٠٠-١٩٨٢م، كربلاء، د.ت، ص٧٧.

(٥٣) علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٠.

(٥٤) كفاح حداد، نساء الطفوف، تحقيق محمد علي الحلو، كربلاء، ٢٠١١م، ص٨٢.

(٥٥) انستاس ماري الكرملي، مزارات بغداد باللهجة العامية والعربية الفصحى (١٨٦٦- ١٩٤٧م)، تحقيق، عبود السامري وطالب البغدادي، الفرات للنشر، ٢٠٠٩م، ص ٩٠- ٩١.

(٥٦) طالب علي الشرقي، النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٧م، ص ٢١٤.

(٥٧) مهنا رباط المطيري، أربعة قرون من تاريخ كربلاء، مطبعة الزوراء، كربلاء، ج٩، ٢٠٠٩م. ص١٢٨.

(٥٨) محمد حسن الكليدار، مدينة الحسين، مطبعة أهل البيت، كربلاء، ١٩٧٠م، ج٤، ص٢٢٧-٢٣١.

(٥٩) جعفر الخياط، مشاهدات جون اشر في العراق، مجلة سومر، بغداد، مج٢١، ١٩٦٥م، ص ١٠٥.

(٦٠) جليل العطية، كربلاء في عيون الرحالة الغربيين، دراسات حول كربلاء، ص ١٣٥.

(٦١) سلمان هادي آل طعمة، الشعائر والموروثات في كربلاء، دار الحجة، بيروت، ٢٠٠٣م ص١١٧.

(٦٢) المصدر نفسه، ص١٧٣.

(٦٣) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، د.ت، ج٣، ص٣٣.

(٦٤) الفرسخ: هو مقياس للطول يقدر بثلاثة أميال (٤٨٢٧م) أو أربعة كيلو مترات. ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص٢٢٦٧.

(٦٥) محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم، ٢٠٠٦م، ص٤٦.

(٦٦) علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص٦٧.

(٦٧) محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، باب ١٦، ص٤٥.

(٦٨) محمد بن الحسن الحر العاملي، المصدر السابق، ج١٤، باب ١٦٤، ص٤٩٦.

(٦٩) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م، ص٣١٠.

(٧٠) وهي إعادة تمثيل واقعة الطف في كربلاء في مكان يُعرف بالدائرة وتمثيل القصة كاملة لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام منذ وصوله إلى العراق وحتى استشهاده البطولي في واقعة الطف بكربلاء، وكانت القصة تُمثِّل في ساحة عامة في مدينة كربلاء ذاتها

ضُربت فيها الخيام ولبست السواد، ويقوم شيخ بتلاوة القصة ويثير شجون الناس بذكر ما لاقاه الإمام الحسين عليه السلام وآله وصحبه الميامين، إذ يقوم بعض الأشخاص بأداء مبارزة ثنائية بشكل بسيط وحركات محدودة مع قراءة أبيات من الشعر أو نص من خطبة للإمام الحسين أو العباس عليهما السلام ويظهر طفل صغير يمثل الطفل الرضيع يطلب جرعة ماء فيقتل وهو عطشاناً مواساة للطفل الرضيع ابن الإمام الحسين عليه السلام الذي قتله حرملة وهو عطشان، ثم يقُتل الإمام الحسين عليه السلام فتكون نهاية المأساة الدامية. ينظر: إبراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، ص٦٨٧و ٧١٤؛ صالح الشهرستاني، المصدر السابق، ص٤٣.

(٧١) سوانسن كوبر، رحلة في البلاد العربية الخاضعة للأتراك من البحر المتوسط إلى بومبي عن طريق مصر والشام والخليج العربي في عام ١٨٩٣م ترجمة: صادق عبد الركابي، الدار الاهلية للنشر، عمان، ٢٠٠٤م، ص ٢٧٠- ٢٧١.

(٧٢) سعيد رشيد زميزم، تأريخ كربلاء قديماً وحديثاً دار القارئ، بيروت، ٢٠١٠م، ص١١٩؛ سلمان هادي آل طعمة، الموروثات والشعائر في كربلاء، ص١١٧-١١٨.

(٧٣) صحيفة العراق، العدد ٣٧٢٢، ٢٨ حزيران ١٩٣٢م.

(٧٤) علي عبود حسين، المصدر السابق، ص ٢٣٣-٢٣٥؛ إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ط١، دار الساقي، ١٩٩٩م، ص٨٠.

(٧٥) عبد الرزاق الموسوي المقرم، مقتل الإمام الحسين أو حديث كربلاء، منشورات الشريف الرضي، قم، ٢٠١٢م، ص٢١٨؛ كفاح حداد، المصدر السابق، ص٨٤؛ مركز كربلاء للدراسات والبحوث، عاشوراء الحسين ماض متألق ومستقبل مشرق، ص٤١.

(٧٦) ابراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني، دراسات حول كربلاء، ص٧٠٥.

(٧٧) محمد بن الحسن الحر العاملي، المصدر السابق، ج١٤، الباب ٦٦، ص٥٠٥.

(٧٨) الشيخ المفيد، الإرشاد، مطبعة الشركة الطلوع، د.ت، ج٢، ص١٢٧.

(٧٩) مركز كربلاء للدراسات والبحوث، عاشوراء الحسين ماض متألق ومستقبل مشرق، ص٨٣.

(٨٠) سلمان هادي ال طعمة، الموروثات والشعائر في كربلاء، ص٧٦.

(٨١) ابراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني، ص٧٠٧.

(٨٢) عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد الدملوجي، صناعاتنا الشعبية، مجلة التراث الشعبي، (د.ع)، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٢٧.

المصادر

القرآن الكريم

أولاً- الوثائق غير المنشورة:

رئاسة دائرة الارشيف العثماني، كتاب الباب العالي إلى والي بغداد المرقم ٣٧٣٧٤١٥ في ٥ كانون الثاني ١٣١٨م، وثيقة رقم ٨٢٠.

ثانياً- الوثائق المنشورة:

سالنامة ولاية بغداد١٢٩٢هـ/ ١٨٧١م.

ثالثاً- الكتب العربية والمعربة:

١. إبراهيم الحيدري تراجيديا كربلاء، وسوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م.

٢. إبراهيم شمس الدين الحائري القزويني، مذكرات ١٩٠٠-١٩٨٢م، ج١، كربلاء، د.ت.

٣. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، القاهرة، ج١، د، ت.

٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، مج٢، و٧، ١٩٨٧م.

٥. ابن خلكان، وفيات الاعيان، دار صادر، بيروت، ج٢، د.ت.

٦. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت، بيروت، ج٤، ١٩٥٨م.

٧. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ٢٠٠٩م.

٨. ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٩٣٥م.

٩. ابن كثير، البداية والنهاية، مركز احياء التراث، بيروت، ج٨، ١٩٩٧م.

١٠. ابن نما الحلي، مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٥٠م.

١١. أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦م.

١٢. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

١٣. انستاس ماري الكرملي، مزارات بغداد باللهجة العامية والعربية الفصحى (١٨٦٦- ١٩٤٧م)، تحقيق، عبود ألسامري وطالب البغدادي، الفرات للنشر، ٢٠٠٩م.

١٤. باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ج٣، د.ت.

١٥. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة (قسم كربلاء)، دار المعارف، بغداد، ج٨، ١٩٦٦م.

١٦. جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بغداد، ج١، ١٩٧١م.

١٧. جمال الدين المزي، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١١، ١٩٩٨م.

١٨. خالد محسن إسماعيل، آثار إبراهيم صالح شكر، قلم وزير، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠م.

١٩. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ج٧، ١٩٨٠م.

٢٠. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد، ١٩٤١م.

٢١. سلمان هادي آل طعمة، الشعائر والموروثات في كربلاء، دار الحجة، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٢. سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م.

٢٣. سليمان فائق، تاريخ بغداد، نقله إلى العربية علاء موسى كاظم نورس، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٠م.

٢٤. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار المعارف، القاهرة، ج٣، د.ت.

٢٥. الشيخ الصدوق الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ج٢، د.ت.

٢٦. صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام، مؤسسة انصاريان للطباعة، قم، ج١، ٢٠٠٣م.

٢٧. طالب علي الشرقي، النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧٧م.

٢٨. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ج١، ١٩٣٦م.

٢٩. عباس القمي، الكُنى والألقاب، مطبعة العرفان، صيدا، ج٣، د.ت.

٣٠. عباس القمي، مفاتيح الجنان، تعريب محمد رضا النوري، دار الثقلين، قم، ٢٠٠٣م.

٣١. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٣٢. عبد الوهاب الكاشي، مأساة الحسين بين السائل والمجيب، ط٢، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٣. عزرا سمويل ساسون، مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي، مطبعة جرجي عزوري، الاسكندرية، ١٩١٠م.

٣٤. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الارشاد، بغداد، ج٢، ١٩٧١م.

٣٥. علي بن موسى بن طاووس، الملهوف في قتلى الطفوف، دار المرتضى، بيروت، د.ت.

٣٦. علي عبود حسين، موجز وقائع تاريخية لمدينة الحسين، مطبعة أهل البيت، كربلاء، ٢٠١١م.

٣٧. عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي، د.ت.

٣٨. قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، بيروت، ١٩٥١م.

٣٩. كامل الشبيبي، الفكر الشيعي حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.

٤٠. كفاح حداد، نساء الطفوف، تحقيق محمد علي الحلو، كربلاء، ٢٠١١م.

٤١. محسن الأمين، أعيان الشيعة، مطبعة الاتقان، دمشق، ج٣، ١٩٤٧م.

٤٢. محمد الصدر، أضواء على ثورة الإمام الحسين، هيئة تراث الشهيد الصدر، النجف الاشرف، ج٢، ١٩٩٦م.

٤٣. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج٩٨، باب ١٨، ١٩٨٣م.

٤٤. محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت، المجلد السادس، باب ١٦، ١٩٩٢م.

٤٥. محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٦. محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، مؤسسة

إحياء الكتب الإسلامية، قم، ٢٠٠٦م.

٤٧. محمد حسن الكليدار، مدينة الحسين، مطبعة أهل البيت، كربلاء، ج٤، ١٩٧٠م.

٤٨. مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، القاهرة، ١٩١٣م.

٤٩. مركز كربلاء للدراسات والبحوث، عاشوراء الحسين ماض متألق ومستقبل مشرق، شرح وتعليق لمضامين خطب الجمعة لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، كربلاء، ٢٠١٥م.

٥٠. مهنا رباط المطيري، أربعة قرون من تاريخ كربلاء، مطبعة الزوراء، كربلاء، ج٩، ٢٠٠٩م.

٥١. مؤسسة الأنوار الأربعة عشر الثقافية، اسرار زيارة كربلاء بحث روائي حول زيارة الإمام الحسين من توجيهات المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي، ترجمة علاء حسين الكاظمي، دار المؤمل، بيروت، ٢٠١٢م.

٥٢. هبة الدين الشهرستاني، مختصر نهضة الحسين، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٦م.

رابعاً–الرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة:

رنا عبد الجبار حسين الزهيري، ايالة بغداد في عهد الوالي علي رضا اللاظ (١٨٣١–١٨٤٢م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥م.

خامساً– الكتب الأجنبية:

1. **Browne, E, A, Literary Of Persia, Great Pritain, 1999.**

2. **Haydar Midhat, The life of Midhat Pasha, London, 1903.**

3. **John Murray, The Life of Midhat Pasha Record of His Services, political, reforms, privat Document andReminiscenisssceniscenes, albmarle street, 1903.**

4. **John Murray, The Life of Midhat Pasha Record of His Services, Political, Reforms, privat Document an Reminiscenisssceniscenes, albmarle street, 1903.**

سادساً– البحوث والمقالات المنشورة:

١. ابراهيم الحيدري، في سوسيولوجيا العزاء الحسيني، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري وقائع الندوة العلمية التي عقدت في لندن الكويت، مؤسسة الزهراء الخيرية، ١٩٩٦م.

٢. جعفر الخياط، مشاهدات جون اشر في العراق، مجلة سومر، بغداد، مج٢١، ١٩٦٥م.

٣. جليل العطية، كربلاء في عيون الرحالة الغربيين، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري.

٤. جواد بشارة، جذور المسرح الشعبي الديني في كربلاء المقدسة، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري.

٥. عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد الدملوجي، صناعاتنا الشعبية، مجلة التراث الشعبي، (د.ع)، بغداد، ١٩٦٨م.

سابعاً – الصحف:

١. صحيفة أنوار كربلاء، العدد ٢٢، السنة الثانية، أيلول، ٢٠٠٩م.

٢. صحيفة العراق، العدد ٣٧٢٢، ٢٨ حزيران ١٩٣٢م.

مقدمة تحليلية

لمنهجية دراسة نهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الدكتور

حيدر قاسم مَطَر التميمي

قسم الدراسات التاريخية / بيت الحكمة / بغداد

An Analytic Introduction to a Methodological Study of Imam Al-Hussein bin Abi Talib's Revolution (Peace be upon him)

Dr. Haidar Qasim Matar
House of Wisdom / Department of Historical Studies

Abstract

The aim of this study is to focus on analyzing the historical narrations in Islamic history literature and explanatory resources about Imam Al-Hussein's revolution; some of which have a relation with the nature of this reformist revolution and its historical dimensions and goals including contemporary and future goals.

This study is one of the studies carried by the strategic scientific project of the Department of Historic Studies – House of Wisdom (Bayt Al-Hikma) in order to modify and rewrite the methodology of history research on the bases of neutral and objective visions as an attempt to establish a new foundation for the process of analyzing narrations and manuscripts as well as contemporary documents.

It may seem to the researchers and students that the issue is very easy as the historical resources which deal with the battle of Al-Taf and the martyrdom of Imam Al-Hussein were written by early historians in (150 A.H. / 780 A.C.) by a narrator from the city of Kofa called Abi Mikhnif who died in (157 A.H. / 774 A.C.). This opinion may be wrong from our methodological viewpoint which is expressed in this study with reference to that narration of Abi Mikhnif.

The analytic methodology may approve or deny this narration when deconstructing its part according to the information it presented or to other additional information associated with this narration especially the oral narrations that were common till the middle of the 2nd century A.H. / 8th century A.C. with reference to Chase Robinson's study.

The findings of this study may state the objectivity of these narration and then help to write an analytic historical study of Imam Al-Hussein's martyrdom for students to read whether at schools or at universities.

الملخَّص

يتركَّز هدف دراستنا هذهِ حول تحليل المرويات التاريخية في المصادر الإسلامية التاريخية والأدبية والتفسيرية عن ثورة الإمامعليه السلام... إلخ، ومنها ما له علاقة بطبيعةِ الثورة الإصلاحية الميمونة وأبعادها وأهدافها التاريخية الماضوية منها والمعاصرة والمستقبلية. ولتندرج دراستنا هذهِ – بتوفيقٍ من الله عز وجل – ضمن المشروع العلمي الإستراتيجي الذي ينأى بهِ قسم الدراسات التاريخية في بيتِ الحكمةَ حول تحديث منهج البحث التاريخي وإعادة كتابة التاريخ برؤىً أكثر حيادية وموضوعية. في محاولةٍ لإرساء دعائم بناءٍ جديد لمنهج تحليل الرواية أو المخطوطة أو الوثيقة المعاصرة كمصدرٍ من مصادر كتابة التاريخ.

وقد يُخيَّل للباحث والدارس أنَّ هذا الأمر هيِّن، إذ أنَّ المصادر التاريخية عن هذا الحَدَث على سبيل المثال قد أتى على كتابتهِ عدد من المؤرّخين الأوائل؛ وأنَّ مقتلاً للإمام الحُسينعليه السلام قد دوِّن بحدود سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م من قبل أحد الإخباريين من أهالي الكوفة، وهو المشهور بأبي مِخنف المتوفَّى في سنة ١٥٧ هـ/ ٧٧٤م، ولعلَّه كان أيضاً شيعياً، وأنَّ هذا الأمر إذن سيُسهِّل عملية كتابة أحداث معركة الطَّف؟ الجواب هو كلا بالتأكيد من وجهة نظر منهجنا في هذهِ المقدمة التحليلية، ولتكن رواية أبي مخنف ذاتها؛ كما سنُبيِّن لاحقاً؛ وكما وقف عليه عدد من الأبحاث الأكاديمية الرصينة. فمنهج التحليل قد يؤدّي بالباحث إلى إمَّا تأييد رواية أبي مخنف مثلاً أو يؤدي إلى بطلانها وعدم صدقيتها بحسب تفكيك أجزائها تبعاً لراويتها أو تبعاً لمعلومات هذا الراوية وروايات أخرى قد دخلت على خطِّ رواية أبي مخنف فكيَّفتها أو عدلتها أو روتها بشكلٍ مخالف للرواية الأصلية، والرواية الشفوية التي تكاد تكون الأصل في نقل جميع الروايات العربية حتَّى قُبيل منتصف القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد هي الرواية المعنية. وهذا الموضوع الخطير المتمثّل في قابلية فهمنا للأحداث التاريخية قد وقف عليه قلَّة ممن تناولوا هذا الموضوع الحساس والمفصلي في تاريخ الأمة الإسلامية وقفةً علمية بأسلوب منهجي رصين، ولعلَّ في مقدمة هذهِ الأبحاث الدراسة المفصلة والممتازة التي قدمها المستشرق الأمريكي المعاصر جيس روبنسون **Chase Robinson**.

إذن فعملية التحليل تتناول كلَّ روايةٍ من روايات مقتل الإمامعليه السلام على وفق هذهِ المنهجية لكي تنقِّي هذهِ الرواية أو هذهِ الوثيقة لتبيان مدى موضوعيتها أو مدى مصداقيتها، ومحصّلة هذا التحليل والتفكيك بعدئذٍ ستُستثمر في المساعدة على كتابةٍ تاريخية غير معهودة في مؤلَّفاتنا التاريخية وفي كتبنا المنهجية التي يقرأها طلبتنا إن كان قبل المرحلة الجامعية والمرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا.

مقدمة تحليلية

لمنهجية دراسة نهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إنَّ التاريخ الإسلامي هو الصورة العملية والوجه التطبيقي للإسلام وتعاليمه في القرون الأولى؛ ولهذا استفرغ أعداء الإسلام كلَّ جهودهم في الدرس والتشكيك فيه قديماً وحديثاً، حتَّى شاع الخطأ وخفي الصواب على كثيرٍ من الدارسين، وأصبحت الروايات الصحيحة غريبة على البعض لقلَّةِ سماعهم عنها ولشهرة وانتشار غيرها.

ولقد أصبحت الحاجة مُلحة في العمل على تنقية تاريخنا من هذهِ الروايات التي ليس لها أصلٌ من الصحة، وإنَّما روَّجها الإخباريون وخلطوها بالروايات الصحيحة، فجاء المتأخرون وأخذوا هذهِ الروايات بقضِّها وقضيضها على أنَّها تاريخنا.

ومن أجل ذلك كثرت الصيحات والمُناداة للعمل على إعادةِ صياغة تاريخنا وتمييز الأصيل من الدخيل، وإلى ضرورة نقد الروايات وتمحيصها على منهجٍ علميٍّ أصيل[1].

لعلَّ خير ما يُوفَّق إليه الإنسان الباحث عن الحقيقة والمعرفة في بطون المصادر والمخطوطات القديمة، دراسة تاريخ العترة الطاهرة من أهل بيت النبوة ومَعدِنِ الرسالة عليهم الصلاة والسلام.

ونحن هنا في محاولةٍ متواضعة للبحث والتحليل في مرويات نهضة الإمام الحُسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام (٤-٦١هـ/ ٦٢٦-٦٨٠م) التي وقعت مُجارياتها على الأرض المباركة أرض واقعة الطَّف المُفجعة على كرور السنين. تلك الأرض التي باركها الله عز وجل بنزيفٍ من دماء شهداء الطَّف، تلك الدماء الزكية دماء الحُسين عليه السلام ودماء الشباب من أبنائهِ وآل بيتهِ الأطهار ودماء باقةٍ من أصحابهِ الميامين الأبطال الذين فازوا بالجنَّة والذين اختلطت دماؤهم مع دماء أهل البيت على ثرى المعركة الدموية، فضحوا بأنفس ما لديهم، أرواحهم الطاهرة، تعبيراً عن الفِداء والوفاء والنُبلِ والشهامة بين يدي أبي عبد الله رضوان الله عليهم، إذ نالوا شرف وأبَّهة المجد وكبرياء العَظَمة والشموخ والجهاد في سبيل إصلاح أمَّة مُحمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن دنَّسها الحُكَّام العتاة القتلة، قتلة أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام، الحُكَّام المغتصبون للسلطة الشرعية من أصحابها الشرعيين المباركين. فسلامٌ على الحُسين وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائهِ وأناخت برحلهِ، عليهِ منَّا أفضل الصلاة والسلام..

يتركَّز هدف دراستنا هذهِ حول تحليل المروّيات التاريخية في المصادر الإسلامية التاريخية والأدبية والتفسيرية عن ثورة الإمام عليه السلام... إلخ، ومنها ما له علاقة بطبيعةِ الثورة الإصلاحية الميمونة وأبعادها وأهدافها التاريخية الماضوية منها والمعاصرة والمستقبلية. ولتندرج دراستنا هذهِ - بتوفيقٍ من الله عز وجل - ضمن المشروع العلمي الإستراتيجي الذي ينأى بهِ قسم الدراسات التاريخية في بيتِ الحكمة حول تحديث منهج

البحث التاريخي وإعادة كتابة التاريخ برؤىً أكثر حيادية وموضوعية. في محاولةٍ لإرساء دعائم بناءٍ جديد لمنهج تحليل الرواية أو المخطوطة أو الوثيقة المعاصرة كمصدرٍ من مصادر كتابة التاريخ.

وقد يُخيَّل للباحث والدارس أنَّ هذا الأمر هيِّن، إذ أنَّ المصادر التاريخية عن هذا الحَدَث على سبيل المثال قد أتى على كتابتهِ عدد من المؤرخين الأوائل؛ وأنَّ مقتلاً للإمام الحُسين عليه السلام قد دوِّن بحدود سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م من قبل أحد الإخباريين من أهالي الكوفة، وهو المشهور بأبي مِخنف[٢] المتوفَّى في سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م، ولعلَّه كان أيضاً شيعياً، وأنَّ هذا الأمر إذن سيُسهِّل عملية كتابة أحداث معركة الطَّف؟ الجواب هو كلا بالتأكيد من وجهة نظر منهجنا في هذهِ المقدمة التحليلية، ولتكن رواية أبي مخنف ذاتها؛ كما سنُبيِّن لاحقاً؛ وكما وقف عليه عدد من الأبحاث الأكاديمية الرصينة.

فمنهج التحليل قد يؤدّي بالباحث إلى إمَّا تأييد رواية أبي مخنف مثلاً أو يؤدّي إلى بطلانها وعدم صدقيتها بحسب تفكيك أجزائها تبعاً لراويتها أو تبعاً لمعلومات هذا الراوية وروايات أخرى قد دخلت على خطِّ رواية أبي مخنف فكيَّفتها أو عدلتها أو روتها بشكلٍ مخالف للرواية الأصلية، والرواية الشفوية التي تكاد تكون الأصل في نقل جميع الروايات العربية حتَّى قُبيل منتصف القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد هي الرواية المعنية.

وهذا الموضوع الخطير المتمثّل في قابلية فهمنا للأحداث التاريخية قد وقف عليه قلَّة ممن تناولوا هذا الموضوع الحساس والمفصلي في تاريخ الأمة الإسلامية وقفةً علمية بأسلوب منهجي رصين، ولعلَّ في مقدمة هذهِ الأبحاث الدراسة المفصلة والممتازة التي قدمها المستشرق الأمريكي المعاصر جيس روبنسون[٣] **Chase Robinson**.

إذن فعملية التحليل تتناول كلَّ روايةٍ من روايات مقتل الإمام عليه السلام على وفق هذهِ المنهجية لكي تنقِّي هذهِ الرواية أو هذهِ الوثيقة لتبيان مدى موضوعيتها أو مدى مصداقيتها، ومحصلة هذا التحليل والتفكيك بعدئذٍ ستُستثمر في المساعدة على كتابةٍ تاريخية غير معهودة في مؤلَّفاتنا التاريخية وفي كتبنا المنهجية التي يقرأها طلبتنا إن كان قبل المرحلة الجامعية والمرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا.

ومن أجل متابعةٍ تاريخية لمسيرة نهضة الإمام الحُسين عليه السلام بدءً بأحداث المدينة قُبيل وفاة معاوية بن أبي سفيان (٢٠ق.هـ-٦٠هـ/ ٦٠٣-٦٨٠م) ومروراً بموقف والي المدينة المنورة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (ت٦٤هـ/ ٦٨٤م) ومروان بن الحكم (٢-٦٥هـ/ ٦٢٣-٦٨٥م) واضطرار الحُسين وآل بيتهِ الأطهار عندما هدَّده الوالي ومروان بضرورة البيعة ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٢٥-٦٤هـ/ ٦٤٧-٦٨٣م) على ترك المدينة متوجهاً إلى مكَّة المكرمة، ومن بعد رحلتهِ عليه السلام باتجاه العراق - الكوفة - فكانت المعركة غير المتكافئة بين جيش بني أمية المؤلَّف في أغلبهِ من أهل الكوفة الذي كان كثير منهم ممن كتب الكتب للإمام ليقودهم ضدَّ آل أمية متعهدين النُصرة

والتأييد، إلاَّ أنَّ البيضاء والصفراء قد أعمت قلوبهم فجعلتهم متخاذلين خائرين موجِهّين سِهَامهم وسيوفهم نحو صدر الحُسين وصدور آل بيتهِ ومن بقي من أنصارهِ. وليس هنالك من مبرِّر لتبرئة الموقف الخائر والمُستَنكر الذي وقفه أهل الكوفة عدا أولئك الذين كان وجهاء الكوفة يخشونهم من الذين قبض عليهم عُبيد الله بن زياد (ت٦٧هـ/ ٦٨٦م) وأودعهم السجن.

وللمسعودي رأيٌ قاطع إزاء من يحاول تبرئة هؤلاء القتلة، قتلة آل بيت رسول اللهﷺ، أنَّهم شأنهم شأن عوَّانة بن الحكم[٤] (ت١٤٧هـ/ ٧٦٤م) إذ أراد من رواياتهِ المُزيّفة تبرئة يزيد بن معاوية من دماء آل بيت النبوّة. فيقول: (وكان جميع من حضر مقتل الحُسين من العساكر وحاربه وتولَّى قتله من أهل الكوفة خاصة؛ لم يحضرهم شامي)[٥].

ملاحظاتٌ منهجية:

هناك ثمَّة العديد من الملاحظات التوضيحية والتكميلية حول المنهجية المُعتمدة في بحوث الأساتذة الأفاضل والباحثين الذين تناولوا موضوع نهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام، حيث سنحاول هنا أن نتناول أهمها وأبرزها من خلال فقراتٍ متتالية:

إنَّ في مقدمة مصادرنا الرئيسة في ذلك الحَدَث التاريخي هو كتاب أبي مخنف كما أورده هشام بن مُحَمَّد الكلبي[٦] (نحو ١١٠-٢٠٤هـ/ ٧٢٨-٨١٩م)، وهو الذي اقتبس منه مُحَمَّد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ/ ٨٣٩-٩٢٣م) أكثره بخصوص مقتل الإمام في تاريخهِ -الرُسُل والملوك- جميع معلوماتهِ عن مقتل الإمام الحُسينعليه السلام. وقد اعتمد على هذهِ الرواية عند الطبري الكثير من المؤرّخين سواء الذين كانوا معاصرين له أو الذين جاءوا من بعدهِ، كابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م)؛ والمسعودي (٢٨٣-٣٤٦هـ/ ٨٩٦-٩٥٧م)؛ وأبي الفرج الأصفهاني (٢٨٤-٣٥٦هـ/ ٨٩٧-٩٦٧م). دون أن نذكر الكتب أو ربما الروايات التي أدلى بها الأصبغ بن نباته التي من الممكن قوله بأنَّها كانت أوّل من ألَّف رواية بصيغة كتاب عن مقتل الإمامعليه السلام، الكتاب الذي لم ينتفع من مقتل أبي مخنف، لأنَّه كان متقدماً في زمان حياتهِ أو كتاب أو رواية جابر بن يزيد الجعفي (ت١٢٨هـ/ ٧٤٦م) وهو عالم شيعي كبير من أتباع أو تلامذة الإمام مُحَمَّد بن جعفر الباقرعليهما السلام (٥٧-١١٤هـ/ ٦٧٦-٧٣٢م)[٧]، وكذلك الرواية أو الكتاب الذي ألَّفه معاوية بن عمار الدُّهني[٨] (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م) من تلامذة الإمام الباقرعليه السلام، أو نصر بن مُزاحم[٩] (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م) مؤلِّف كتاب (مقتل الإمام الحُسين) الذي على الرغم من أهميتهِ البالغة في حفظ كتاب أبي مخنف الأصلي، حتَّى اعتمده أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤-٣٥٦هـ/ ٨٩٧-٩٦٧م) في كتابهِ (مقاتل الطالبيين)، إلاَّ أنَّه قد فُقد مع الأسف. فجميع هؤلاء المؤرخين الروَّاد الذين جاءوا بعد الجيل الأول من مؤرخي الطَّف

بعد معاوية بن عمار الدُّهني كانوا بشكلٍ أو بآخر قد اتخذوا أبا مخنف مصدراً عن نهضة الإمام الحُسين عليه السلام.

ويجدر التنويه هنا عن قصة وصول كتاب أبي مخنف إلى الطبري. فقد كان هشام بن السائب الكلبي تلميذاً لأبي مخنف وقد توفِّي بعد شيخهِ بحوالي ثمانٍ وأربعين سنة، حيث توفِّي سنة (٢٠٤هـ/ ٨٣٠م). ويُذكر أنَّ هشاماً هو الآخر قد صنَّف كتاباً عن مقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، إلاَّ أننا نجهل إن كان موجوداً لدى الطبري أم لا، على الرغم من أنَّه في مراتٍ عدَّة يذكر سنده عن هشام من دون ذكر أبي مخنف!![١٠]. ويمكن لنا أن نخرج بنتيجة مهمة جداً، وهي أنَّ الكتاب الأصلي والكامل لأبي مخنف قد تمَّ إتلافه وضياعه سواء من قبل هشام الكلبي[١١] أو الطبري أم غيرهما، وذلك لِمَا ضمَّ هذا المُصنَّف من معلوماتٍ وشهاداتٍ وروايات من شأنها أن تُطيح بصروح بني أميَّة وبني العباس على السواء، وسياستهم التضليلية لفكر وعقائد المسلمين عامة، هؤلاء الحُكَّام الذين ما كانوا توّاقين لنشر وإشاعة حقيقة مقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في واقعة الطَّف بكربلاء. حتَّى أدرك المؤرخون القيمة الحقيقية لروايات أبي مخنف، كونها كانت تُمثّل مادة خام لم تمتزج بها الأهواء، ولم تلوثها السياسة، خاصةً وأنَّ الفترة التي أرخها كانت فترة أحداث سياسية صاخبة، كثرت فيها التيارات والإنقلابات والثورات، ويُستشف ذلك من خلال عناوين الكتب التي ألَّفها أبو مخنف، فعلى الرغم مما ورد عن المستشرق الألماني الكبير يوليوس فلهاوزن **Julius Wellhausen** (١٨٤٤-١٩١٨م) الذي يقول: (إنَّ الروايات القديمة المتعلِّقة بعصر بني أمية توجد حتَّى اليوم على أوثق ما تكون عليهِ عند الطبري، لأنَّها لم تختلط ولم تتناولها يد التوفيق والتنسيق، والطبري حَفِظَ لنا خصوصاً قطعاً كبيرة جداً من روايات أبي مخنف الراوية المُحقِّق، فحَفِظَ لنا بذلك أقدم وأحسن ما كتبه ناثر عربي نعرفه)[١٢].

يبقى هناك الكثير من الروايات والمعلومات التاريخية المُغيَّبة من هذا المصدر المهم.

وقد كان للمصداقية التي تعامل بها أبو مخنف مع الرواية في النقل، أثرها الواضح عند المؤرّخين الذين جاؤوا بعده، وهذا ما جعل معظم المؤرّخين يعتمدون على رواياتهِ بشكل مُطلق، حيث نرى الطبري وقد اعتمد عليهِ بشكلٍ شبه كامل فيما يتعلَّق بموضوع دراستنا، فكان ما نقله عنه فيما يتعلَّق بواقعة الطَّف كأنَّه مقتل مُصغَّر للذي ألَّفه أبو مخنف، كما كان لأسلوب أبي مخنف المميز في الطرح والابتعاد عن التعصُّب الأعمى الذي اعتاد عليه المؤرخون أكبر الأثر على تهافت المؤرخين على الأخذ برواياتهِ. يقول فلهاوزن: (وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات، هو أنَّه جمع طائفةً كبيرة من رواياتٍ متنوّعة ومن أخبار الشيء الواحد مختلفةً في مصادرها، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكَّد منها من غيرهِ. وأبو مخنف قد توصّل بذلك إلى أن صارت الأشياء الثانوية تتوارى، لأنَّها لا تظهر إلاَّ

مرةً واحدة، كما صارت الأشياء الأساسية لا تزال تزداد بروزاً، لأنَّها تتكّرر في جميع الروايات)[١٣]. ويتضح من كلام فلهاوزن أنَّ أبا مخنف لم يكن مؤرخاً كبيراً فحسب، بل كان أديباً كبيراً كذلك، فالأشياء الأساسية التي تزداد بروزاً هي الثيمة **Theme** كما تُسمَّى في المصطلح الأدبي، التي تدور عليها أحداث الروايات المختلفة ذات المضمون الواحد، ولو تسنَّى لأحدِ النقاد أن يتناول روايات أبي مخنف على نمط التحليل السردي **Narrative Analysis** فسوف يظهر جانب علمي آخر عند أبي مخنف وهو الأدب، حيث لم يسبقه أحد من المؤرخين في تناول الرواية بهذا الشكل الأدبي الرفيع.

أو أنَّ هذا الكتاب قد وصل الطبري فعلاً عن طريق هشام الذي بذل جهده في إعادة صياغتهِ معدلاً معلوماته ومشوَّهاً أخباره خدمةً لأهدافهِ التي تتلخَّص بخدمة مصلحة الدولة العباسية وحُكَّامها. الأمر الذي ساهم وبصورةٍ واضحة إلى زجِّ رواياتٍ أموية وزبيرية لروايةِ أبي مخنف، نظير رواية عوانة بن الحكم وجويرية بن أسماء[١٤] ووهب بن جرير[١٥].

وعلاوةً على مقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي وضعه أبو مخنف، فإنَّ هناك مقاتل أخرى كتبها مؤرخو أهل السُنَّة، أمثال: مُحَمَّد بن سعد البصري والبلاذري والدينوري وابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٧م)[١٦]. والمُلاحظ أنَّ هشاماً لعلَّه قد أضاع كتاب شيخه أو أعدمه، لأنَّ المعروف عن أبي مخنف ميله وميل معلوماتهِ إلى جانب العلويّين، وهو أمر لا يتوافق مع رغبات مسؤوليه من العباسيّين. كذلك ورد عند ابن النديم أنَّ مُحَمَّد بن عمر الواقدي (١٣٠-٢٠٧هـ/ ٧٤٧-٨٢٣م) قد ألَّف كتاباً عن مقتل الإمام الحُسين عليه السلام لا نعرف عنه شيئاً[١٧]. إلاَّ أنَّ تلميذه مُحَمَّد بن سعد له كتاب مثل هذا ولعلَّه كان كتاب شيخه نفسه. ولأبي عبيدة مُعمَّر ابن المثنى[١٨] (١١٠-٢٠٩هـ/ ٧٢٨-٨٢٤م) كتاباً بعنوان: (مقاتل الأشراف)، تناول فيه مقتل الإمام الحُسين عليه السلام، كانت نسخة منه موجودة في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

وبالنسبة إلى كتاب أبي مخنف فإنَّه قد تعرّض للبحث والدراسة من قبل كثير من المستشرقين، حيث دُرس أولاً في عام ١٨٨٣م، من قبل المستشرق الألماني البروفيسور فرديناند فيستنفيلد[١٩] **Heinrich Ferdinand Euestenfeld**(١٨٠٨-١٨٩٩)، بدراستهِ المعنونة: (موت الحُسين بن علي والثأر.. رواية تاريخية من العربية)[٢٠]. ترجم خلالها مقاطع كثيرة من كتاب أبي مخنف. كذلك دَرَست المستشرقة الألمانية أرسولا سزكين **Ursula Sezgin** كتاب أبي مخنف دراسةً عميقة[٢١]، ووجدت أنَّه ليس النسخة الحقيقة التي سلَّمها أبو مخنف إلى تلميذهِ هشام. حيث شكَّكت هذهِ الدراسة بالنسخة التي اعتمدها الطبري عن هشام الكلبي[٢٢]. وهناك في الحقيقة أربع مخطوطات من كتاب مقتل الحُسين لأبي مخنف موزعة على أربع مكتبات في ألمانيا تنتظر التحقيق للتأكد من

صحتها ومطابقتها للمعلومات التي اقتبسها الطبري، كما أشار إلى ذلك المستشرق البريطاني البروفيسور إيان هوارد **Ian Keith Anderson Howard** (١٩٣٩-٢٠١٣) في دراستهِ القيِّمة عن مقتل الإمام الحُسين عليه السلام[٢٣].

روايات أبي مخنف في الأدبيّات التاريخية (الطبري أنموذجاً)

كان أبو مخنف في زمانهِ شيخ المؤرِّخين في الكوفة، وكان من أشدِّ المؤرِّخين اهتماماً بجمع وتدوين أخبار كربلاء وواقعة الطَّف على وجه الخصوص، وقد حاول أن يُحيط بأدقِّ التفاصيل المُرتبطة بهذهِ الواقعة، فشملت أخباره أحداث ووقائع يوم عاشوراء، وما سبقه من إرهاصاتٍ وتمهيدات، وما تلاه من أحداثٍ ووقائع السبي. وقد روى مُحَمَّد باقر القائني: «أنَّه أُعطي قباءه – وهو برد يماني نفيس – ثمناً لكتابةِ أبياتٍ من الشعر منسوبةً لسيد الشهداء عليه السلام»[٢٤]. وهذهِ الرواية –إن صحَّت–تكشف عن حرصهِ الشديد وتطلعه إلى إلتقاط كلِّ شاردةٍ وواردة حول هذهِ الواقعة.

وكما حاول أبو مخنف أن يُحيط بأدقِّ تفاصيل أحداث ووقائع كربلاء، فقد حاول – أيضاً – أن يستند في عملهِ إلى المنابع الأُولى المتمثِّلة في الرواة الأوائل الذين عايشوا الأحداث وباشروها، كعقبة بن سمعان[٢٥] مولى الرباب[٢٦] زوجة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ودلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القَين[٢٧]، وجعفر بن حذيفة الطائي[٢٨]، وعقبة بن أبي العيزار[٢٩]، ويحيى بن هانئ بن عروة المرادي[٣٠]، وغيرهم.

وإذا تعذِّر الاتصال بالراوي المباشر لعدم معاصرتهِ – أو للبُعد المكاني – كان أبو مخنف يتصل بمَن اتصل بالرواة المباشرين (بلا واسطة)، كما اتصل بسليمان بن أبي راشد الأزدي للوصول إلى أخبار حميد بن مُسلم الأزدي[٣١]، أو (بواسطة) كما أخذ أخبار عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين[٣٢]، عن أبي جناب الكلبي، عن عَدِي بن حرملة الأسدي عنهما[٣٣].

من هنا؛ فقد جاءت روايات مقتل أبي مخنف غنيةً في تفاصيلها وإحاطتها بالجزئيات، مسندةً متصلةً موثوقةً في مآخذها ومنابعها؛ ولذا أصبح مقتله من أشهر المقاتل الحُسينيَّة، وأكثرها اعتماداً لدى المؤرِّخين على مرِّ العصور. على الرغم من كون هذا المُصنَّف هو ليس الأقدم أو الأول في مجالهِ، حيث إنَّ أوّل مَن كتب في مقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الأصبغ بن نباتة[٣٤]، ثمَّ جاء بعده جابر بن يزيد الجعفي، ثمَّ جاء بعدهما عمار الدُّهني، وبالتالي فلا يكون أبو مخنف هو أوّل مَن كتب في المقتل الحُسيني، على الرغم مما ورد عند بعض الباحثين[٣٥].

يتكوّن مقتل أبي مخنف المُستخرَج من تاريخ الطبري من (٦٥) حديثاً مُسنداً، رواها أبو مخنف بالمباشرة وبالواسطة عن (٣٩) راوياً، وتتوزع هذهِ الأحاديث المُتناثرة في تاريخ الرُسُل والملوك على

حوادث المعركة وما قبلها وما بعدها، بشكلٍ يُغطّي أكثر التفاصيل، ويُجيب على أغلب التساؤلات التي تشغل الباحث؛ ومن هنا كان بالإمكان إعادة تنسيقها وتشكيلها بحسب التسلسل الزمني للأحداث والخروج بمقتلٍ متكامل أو شبه متكامل.

وحول المنهجية العلمية التي اعتمدها الطبري في الإفادة من مرويات أبي مخنف بما يتعلّق بموضوع الدراسة، وطريقة توظيفها خدمةً لمسار الأحداث التاريخية التي عالجها وعرضها في كتابهِ، نُعيد أولاً ما ورد في إشارتنا السّابقة عن دور وأسلوب الطبري في التعتيم أو التخلّص من كتاب أبي مخنف، هذا الأسلوب الذي عَمَد إلى استخدامهِ لاحقاً أيضاً، فقد قام بمثل هذهِ العملية -على سبيل المثال- عندما تناول ثورة الزنج **Zanj Rebellion** في البصرة (٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٩-٨٨٣م)، إذ اعتمد على كتاب مُحَمَّد بن الحسن[٣٦] المعروف بـ(شيلمة) وكان صاحب علي بن مُحَمَّد (ت٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) قائد الزنج وقد ألَّف كتاباً سمَّاه (أخبار صاحب الزنج)، فنجده يتدخل في أخبار شيلمة ويُزيّفها ويعدّل فيها حيثما يشاء تزلفاً للحُكَّام من أجل نقل تراث العباسيين ومواقفهم من هذهِ الثورة العظيمة[٣٧].

يبدأ الطبري كلامه عن الإمام الحُسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام عندما كان معاوية بن أبي سفيان (١٥ق.هـ-٦٠هـ/ ٦٠٨-٦٨٠م) يحتضر ويريد أن يُوصي من يريده خليفةً للأمة الإسلامية، ابنه يزيد. والروايات التي قدّمها الطبري متعدّدة، منها رواية أبي مخنف عن هشام الكلبي، ورواية ثانية عن هشام الكلبي عن عوانة بن الحكم الأموي النزعة. فهل يعني هذا أنَّ الطبري قد أدخل عوانة في سند أبي مخنف أيضاً؟ والقارئ اللبيب سوف يرى مدى تخبط الطبري البيِّن بين هذهِ الأسناد. ولنضرب مثالاً حول هذهِ الحالة المنهجية، كقوله: (قال هشام بن مُحَمَّد؛ عن أبي مخنف؛ ولِّي يزيد... ولم يكن ليزيد همَّة حين ولي إلاَّ بيعة النفر - هنا يقصد الإمام الحُسين وابن الزبير وعبد الله بن عمر - الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعتهِ، وأنَّه ولي عهده بعده، والفراغ من أمرهم)[٣٨].

ويُلاحظ هنا أنَّ هشاماً أو أبا مخنف قد بيَّنا هدف يزيد المباشر بعد توليتهِ، غير أنَّ الطبري ذاته قبل صفحات عدَّة فقط يُقدّم رواية عن هشام بن مُحَمَّد عن أبي مخنف بشأن وصية معاوية لابنهِ، إذ أوصاه بوصيةٍ قائلاً فيها: (يا بنيَّ، إنِّي قد كَفَيتك الرحلة والتِّرحال، ووطَّأت لك الأشياء، وذلَّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك أعناقَ العرب، وجمعتُ لك من جمع واحد - وقيل: وجمعتُ لك ما لم يجمعه أحد - وإنِّي لا أتخوَّف أن يُنازعك هذا الأمر الذي استتبَّ لك إلاَّ أربعة نفر من قريش: الحُسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، ... وأمَّا الحُسين ابن علي فإنَّ أهل العراق لن يَدَعوه حتَّى يُخرجوه، فإن خرج عليك فظفرتَ بهِ فاصفح عنه فإنَّ له رَحِماً ماسَّة وحقَّاً عظيماً...)[٣٩].

وأمَّا رواية هشام الأخرى فكانت عن عوانة

حول وصية معاوية، والتي سبق أن تردّدنا بقبولها أنها من كتاب أبي مخنف، وهي تعكس مسألةً أخرى تماماً، إذ قال معاوية للضحاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطتهِ - ومُسلم بن عقبة المرّي: «بلِّغا يزيد وصيتي، أنظر أهل الحجاز فإنَّهم أصلك، فأكرم من قَدِمَ عليك منهم، وتعاهد مَن غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تَعزِل عنهم كلَّ يوم عاملاً فافعل، ... وإني لست أخاف من قريش إلاَّ ثلاثة - في رواية هشام عن أبي مخنف السابقة كانوا أربعة - حُسين بن علي، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن الزبير؛... وأمَّا الحُسين بن علي فإنَّه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قَتَل أباه، وخَذَل أخاه، وإنَّ له رحماً ماسَّة، وحقَّاً عظيماً، وقرابةً من مُحَمَّد صلَّى الله عليه وسلم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتَّى يُخرجوه، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه، فإنِّي لو أنِّي صاحبه عفوتُ عنه...»[٤٠]. هذهِ الروايات المتضاربة التي تتناول الموضوع ذاته قد وردت من الطبري، ونقلاً عن مصدرٍ واحد هو أبو مخنف!.

وفي المقابل، فإننا حينما نعود إلى الرواية التي ذكرناها في أعلاه عن الطبري أيضاً: «... والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد: بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أمَّا بعد، فإنَّ معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلَفَه... والسلام»[٤١]. وكتب إليه في صحيفةٍ كأنَّها أذن فأرة: «أمَّا بعد، فخذ حُسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتَّى يُبايعوا؛ والسلام»[٤٢].

المهم إنَّ هذهِ الرواية التي تتضارب أيضاً مع سابقتها التي هي الأخرى قد أوردها الطبري عن هشام بن مُحَمَّد عن أبي مخنف. وجميعها يؤكِّد بما لا يقبل الشّك في أنَّ المنهج الروائي والبحثي الذي اعتمده الطبري في تاريخهِ كان إمَّا تلاعباً من قبلهِ في روايات أبي مخنف أو هشام، أو أنَّ هذا يدل دلالة واضحة على المستوى الفكري الموجَّه لخدمة السلطة الأموية أو حتَّى العباسية.

رواية كتب الكوفيين إلى الإمام الحُسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام. الرواية التي جعلها الطبري عنواناً بارزاً بعد أن انتهى من رواية خروج الإمام من المدينة المنورة إلى مكَّة المكرمة، والعنوان هو: (ذكر الخبر عن مُراسلة الكوفيين الحُسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مُسلم بن عقيل رضي الله عنه)[٤٣]. في الوقت الذي اختار المسعودي (٢٨٣-٣٤٦هـ/ ٨٩٦-٩٥٧م) عنواناً مفصلاً وواضحاً، هو: (ذكر مقتل الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومن قُتل معه من أهل بيتهِ وشيعتهِ)[٤٤]. من جانبٍ آخر معاد فقد اختار ابن كثير عنواناً مغرضاً لا علاقة له بكتب الكوفيين أو بمقتل الإمام عليه السلام، حيث جاء عنوانه الذي عرض من خلالهِ أحداث مقتل الإمام بـ: (قصة الحُسين بن علي وسبب خروجهِ من مكَّة في طلب الإمارة وكيفية مقتلهِ)[٤٥]. وهي (عنوان الطبري وعنوان ابن كثير) عناوين مقصودة للدسِّ وتحريف وحرف نهضة الإمام عليه السلام عن نهجها وهدفها الصريح في إحياء أمَّة جدِّهِ رسول الله عليه السلام. فالروايتان بحاجةٍ إلى مداخلةٍ لإظهار مدى ركاكتهما وعدم فهم

طبيعة ومغزى نهوض الإمام ضدّ يزيد بن معاوية وحكومته الآثمة التي استغلت الحرمات وشوهّت الدين ومفاهيمه وألحقت الأذية الكبرى بصورةِ الإسلام وسمعتهِ وسمعة النبي الأعظمﷺ. إنَّ هذهِ النهضة ليست تعبيراً للنزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم أكثر مما هي ثورة على تفشّي الانحراف والتراجع عن أهداف الإسلام عامة ومبادئهِ السامية التي ناضل رسول اللهﷺ من أجل إقامتها وترسيخها في قلوب ونفوس المسلمين ضدَّ تيار الطلقاء الخارجين والجاحدين والمنافقين. فأين الحُسينعليه السلام وطلب كرسي الزعامة إزاء المفاسد وشيوع معايير الفساد والظلم والابتعاد عن الأخلاق والقيم الخيِّرة التي أراد اللهعزوجل تحقيقها برسالةِ الإسلام الحنيف. والرواية الأولى إنَّما تُدلِّل على أنَّ الطبري وراويتهُ هشام الكلبي قد وجَّها الرواية وجهةً تنحو إلى هدفٍ بانت معالمه على وفق المُلاحظات الآتية، التي حاولنا خلالها تحليل توجهات الخطاب الأموي المعارض لنهج آل بيت رسول اللهﷺ:

إنَّ مسألة الكتب الموجَّهة من الكوفيين للإمامعليه السلام ليس لها علاقة بزمن خروجهِ من المدينة المنورة، إنَّما هي مسألة أقدم في زمان وقوعها من تلك الفترة بكثير بحسب أبي مخنف نفسه. فهي ترجع إلى فترة قُبيل استشهاد الإمام الحسن المُجتبى ابن علي بن أبي طالبعليه السلام (٣-٥٠هـ/ ٦٢٥-٦٧٠م) أو على إثر الاستشهاد. وهذا ما يذكره ابن كثير خلال حديثهِ عن الإمام الحُسينعليه السلام بعد وصوله إلى مكَّة المكرمة، وكيف كان ميل الناس إليه كونه السيد الكبير، وابن بنت رسول اللهﷺ؛ فيقول: «لمَّا بايع الناس معاوية ليزيد كان حُسين ممن لم يُبايع له، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كلُّ ذلك يأبى عليهم، فقَدِم منهم قوم إلى مُحَمَّد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى، وجاء إلى الحُسين يعرض عليهِ أمرهم، فقال له الحُسين: إنَّ القوم إنَّما يريدون أن يأكلوا بنا، ويستطيلوا بنا، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا، ... قال: وقَدِم المُسيَّب بن عتبة الفزاري في عدَّةٍ معه إلى الحُسين بعد وفاة الحسن، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا: قد علمنا رأيك ورأي أخيك، فقال: إنِّي لأرجو أن يعطي الله أخي على نيتهِ في حبّهِ الكفَّ، وأن يعطيني على نيتي في حبِّي جهاد الظالمين. وكتب مروان إلى معاوية: إني لست آمن أن يكون حُسين مرصداً للفتنة، وأظن يومكم من حُسين طويلاً. فكتب معاوية إلى الحُسين: إنَّ من أعطى الله صفقة يمينهِ وعهدهِ لجدير بالوفاء، وقد أنبئتُ أنَّ قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فآتق الله وآذكر الميثاق، فإنك متى تكدني أكدك. فكتب إليه الحُسين: أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلاَّ الله، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك، وما أعلم فتنةً أعظم من ولايتك أمر هذهِ الأمة. فقال معاوية: إنَّ أثرنا يأبى عبد الله إلاَّ شراً. وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه: إنِّي لأظن أنَّ في رأسك نزوَة،

فوددت أنِّي أدركها فأغفرها لك»[٤٦].

جميع هذهِ المعلومات المهمة في مسيرة نهضة الإمام الحُسين عليه السلام قد ألغاها الطبري أو هشام الكلبي من كتاب أبي مخنف الأصلي، ودسَّا رواية في غير صالح الإمام، رواية تأتي بعد تلك التي كانت زمن معاوية لجعلها تتعلَّق بيزيد، وأنَّ والي الأمويين ومروان بن الحكم قد شدَّدا على الإمام للمبايعة أو أن يُضرب عنقه في حال امتناعهِ. وكذلك توجيههما الرواية بالنسبة إلى كتب الكوفيين وأنَّ الإمام كان موافقاً على موقفهم، ففي رأي الإمام «إنَّ القوم إنَّما يريدون أن يأكلوا بنا، ويستطيلوا بنا، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا»، لذا ليس من الصحيح أنَّ الإمام كان بمجرّد وصول الكتب إليه قد وافق على عهود الكوفيين وتعهداتهم وبيان حاجتهم إلى زعامتهِ. وهذه الفكرة ستلغي حينئذٍ الكثير من التفصيلات حول النصائح التي تقدَّم فيها مُحَمَّد بن الحنفية عليه السلام (٢١-٨١هـ/ ٦٤٢-٧٠٠م) أو نصيحة عبد الله بن عباس رحمه الله (٣ق. هـ-٦٨هـ/ ٦١٩-٦٨٧م) أو عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رحمه الله (١٠ق.هـ-٧٣هـ/ ٦١٣-٦٩٢م) ولا نصيحة الزبيري الميل عبد الله بن مطيع[٤٧] (ت٧٣هـ/ ٦٩٢م) ولا نصيحة عبد الله بن الزبير (١-٧٣هـ/ ٦٢٣-٦٩٢م) وما إلى ذلك من الأمور التي تركِّز على أنَّهم نصحوا الإمام عليه السلام بأن لا يستجيب إلى كتب الكوفيين ووعودهم بالنُصرة، فالإمام كان يعرفهم حقَّ المعرفة. إلاَّ أنَّ السؤال المهم هنا هو لماذا عَمَد هشام الكلبي الذي كان يحتفظ بكتاب أبي مخنف ويُعدّ المصدر الأساس له إلى تغييبهِ أو من جانبٍ آخر لماذا عدَّل أو زيَّف الطبري هذا القول المهم بروايةٍ أخرى موتورة جداً كما سترد في أدناه؟. أإنهما أرادا إرضاء الحُكَّام العباسيين من خلال بيان أنَّ الإمام الحُسين عليه السلام كان متردّداً في مشروعهِ الإصلاحي ونهضته ضدّ الحكم القائم، أو من طرفٍ آخر أنَّه كان يُفصح عن اطمئنانهِ الكامل برسائل الكوفيين؟ أم أنَّهما هدفاً إلى تحريف نهضة الإمام وثورتهِ باتجاهٍ معاكس في أنَّها قد تبلورت ونمت في ذهنهِ على أثر مطالبة الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم وتهديدهما الإمام بالقتل إن لم يُبايع يزيد؟ في حين أنَّ الإمام عليه السلام قال صراحةً لمعاوية بعد استشهاد الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام: «إنِّي لأرجو أن يُعطي الله أخي على نيتهِ في حبّهِ الكفَّ، وأن يُعطيني على نيتي في حبِّي جهاد الظالمين». حيث يُفهم من هذا النص أنَّ الإمام الحُسين عليه السلام كان يعدّ مسألة جهاد معاوية وبني أمية من أولويات مشروعهِ الإصلاحي، في وقتٍ يسبق مُراسلة الكوفيّين إياه وتولية يزيد بن معاوية زمام السلطة في دمشق.

لنراجع كلام الطبري وهشام الكلبي فيما دسَّا من معلوماتٍ في غير موضعها الصحيح الذي سبق الإشارة إليه. يقول الطبري: «حدّثني زكرياء ابن يحيى الضرير...، قال: حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القَسري - والذي يُراد بهِ خالد ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري[٤٨] والي الأمويين على العراقين، والذي كان عدواً لدوداً للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بصورةٍ خاصة ولآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورةٍ عامة - قال: حدّثنا

عـمَّار الدُّهني، قـال: قلتُ لأبي جعفر: حدثني بمقتل الحُسين حتَّى كأنِّي حضرته»[٤٩]. ففي هذا السَنَد عدة عيوب أرادها كلٌّ من هشامٍ الكلبي أو الطبري، وهي قطعاً لم ترد عن أبي مخنف: وجود خالد القسري وهو يتحدث بحديث عمار الدُّهني.

ولو بحثنا عن عمار هذا لوجدنا إجماع مصادر الرجال المُعتبرة والموثوقة في الأدبيات التاريخية العربية على أنَّـه كـان شيعي المـذهـب، موثوق الرواية، ولا علاقة له بخالد القسري؛ إن كان المقصود بهِ والي الأمويين. بالإضافة إلى كونهِ من تلامذة وأتباع الإمـام مُحَمَّد بن علي الباقر عليهما السلام (٥٧-١١٤هـ/ ٦٧٦-٧٣٢م)[٥٠].

ومن جهةٍ ثانية نرى محاولة أخرى للطبري الدسَّ في الرواية إخفاءً للحقائق، بقولهِ: «قال: قلت لأبي جعفر»، فالقارئ لأول وهلة يحسب أنَّه الطبري نفسه، كونه دأب على قولهِ «قال أبو جعفر» بمعنى الطبري. والدليل على هذا أنَّه جرَّد أبا جعفر الباقر عليه السلام من لقبهِ «الإمام» أو بيان اسمه الأول. ومهما يكن فلنعد إلى أنَّ الرواية صحيحة وليس فيها أيَّـة شائبة؛ فعمار الدُّهني قال لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني بمقتل الحُسين كأنِّي حضرته.

ولكن القارئ حالما ينتقل إلى جواب الإمام مُحَمَّد بن علي الباقر عليه السلام لا يجد أيَّ شيءٍ عن مقتل الإمـام، وللبرهان على ذلك ننقل نصَّ الطبري كجواب الإمـام لسؤال الدُّهني: «مات معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحُسين بن علي ليأخذ بيعته، فقال له: أخِّرني وأرفُق، فأخَّره، فخرج إلى مكَّة، فأتاه أهل الكوفة ورُسُلهم: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجُمُعة مع الـوالي، فأقدم علينا. وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة؛...»[٥١].

ويستمرّ في ذلـك الحـديـث عـن مُسلم بن عقيل عليه السلام ولا شيء عن مقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، إنَّما تركَّز الحديث واقتصر على مقتل مُسلم فحسب. وبعد أحاديث بعضها لا يمت إلى مُسلم بن عقيل عليه السلام بصلة، يعود فيقول: «رجع الحديث إلى حديث عمار الدُّهني؛ عن أبي جعفر - يقصد الإمام الباقر عليه السلام - ولكن ماذا نقرأ؟ نقرأ ثانيةً عن مُسلم بن عقيل بعد أن ذكره قبل أسطر قليلة[٥٢].

بعدئذٍ يبدأ الحديث عن رحلة الإمام إلى العراق ولكن بسند أو بأسانيد لا تتعلَّق برواية عمار الدُّهني ولا بقول الإمام أبي جعفر عليه السلام.

ويبقى القارئ متحّيراً، فأين قصّة مقتل الإمام عند الإمـام الباقر عليه السلام؟ ولـولا وجـود الرواية الصحيحة في كتب الشيعة لخفي ما قاله الإمام برواية الدُّهني.

فضلاً عن هذا فإنَّ الطبري قد نَسِي العنوان الذي ابتدأ فيه الموضوع، وهو: (ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين... إلخ)[٥٣]، فلم نعد نسمع شيئاً عن هذهِ المُراسلات؟.

ملاحظات حول البيعة ليزيد بن معاوية والتهيئة للثورة الحُسينيَّة:

الحديث بشأن رحلة الإمام الحُسين من المدينة المنورة إلى مكَّة المكرّمة عند الطبري، نقلاً عن هشام الكلبي عن أبي مخنف، ورد على الصّيغة الآتية: «وأمَّا أبو مِخنف فإنَّه ذكر من قصة مُسلم ابن عقيل وشخوصهِ إلى الكوفة ومقتلهِ قصةً هي أشبع وأتمَّ من خبر عمار الدُّهني عن أبي جعفر الذي ذكرناه»(٥٤). يُلاحظ هنا أنَّ الطبري مُصر على عدم ذكر الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام.

ثانياً أنَّه نفسه الذي أورد رواية عمار مشوّهةً ومبتورة؛ إذ أنَّ عماراً قال للإمام أن يُحدّثه عن مقتل الإمام الحُسين لا عن مقتل الشهيد مُسلم بن عقيل، بناءً على قول الطبري أو هشام، فخطأ وبالتالي فإنَّ وزر قصور الرواية إنَّما يتحمَّله هو نفسه أو هشام، فلماذا يتهم رواية عمار بكونها غير مُشبعة أو ناقصة؟. فهو هاهنا يتحدّث عن رحلة الإمام لا عن رحلة مُسلم، إذ يقول: «ما حُدِّثت عن هشام بن مُحَمَّد، عنه - وأظن أنَّه يقصد أبا مخنف - قال: حدَّثني عبد الرحمن بن جُندب، قال: حدَّثني عُقبة بن سمعان مولى الرَّباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة حُسين «وكانت مع سُكينة ابنة حُسين، وهو مولىً لأبيها، وهي إذ ذاك صغيرة»(٥٥). وهنا يجدر بنا التنويه إلى ما جاء في قول الطبري الذي ربما كان مُغرضاً في هذا الخبر، فمتى كان الأئمة الأطهار من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجعلون رجلاً مولىً لزيجاتهم أو لبناتهم على الرغم من كون عقبة(٥٦) كان رجلاً كبيراً بالغاً!. ثمَّ قال: «خرجنا فلزمنا - يقصد الإمام الحُسين وآل بيتهِ - الطريق الأعظم، فقال للحُسين أهلُ بيتهِ: لو تنكَّبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب؛ قال: لا، والله لا أفارقه حتَّى يقضي الله ما هو أحبُّ إليه...»(٥٧). وقد يتبادر إلى الذهن هنا سؤال، وكيف عرف أهل البيت بخروج ابن الزبير عن الطريق الأعظم؟ وإنَّه بحسب رواية الطبري، إذ قال: «وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنَّب الطريق الأعظم مخافةَ الطلب، وتوجَّه نحو مكَّة...»(٥٨). أين الطبري من هذا التناقض البيِّن والصريح في وصف الأحداث ونقل الروايات، فبعد صفحات عدَّة - من صفحة ٣٤١ إلى صفحة ٣٥١ - تتعارض المعلومات وتتباين في الرواية التي جعلها أتمُّ وأشبع؟!.

وفضلاً عن هذا الوهم والتزييف فهناك مُلاحظات أخرى نوردها حول هذا الموضوع. فبينما كان الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في الطريق إلى مكَّة المكرمة استقبله رجلٌ هو عبد الله بن مُطيع الزبيري الميل والهوى. فقال للإمام: «جُعلت فداك أين تُريد؟ قال: أمَّا الآن فإنِّي أريد مكَّة، وأمَّا بعدها فإني أستخير الله، قال: خار الله لك، وجَعَلنا فداك، فإذا أنت أتيت مكَّة فإياك أن تَقرُب الكوفة، فإنَّها بلدةٌ مشئومة، بها قُتِل أبوك، وخُذِل أخوك، واغتيل بطعنةٍ كادت تأتي على نفسهِ؛ إلزَم الحَرَم؛ فإنَّك سيِّد العرب، لا يَعدِل بك والله أهلُ الحجاز أحداً، ويتداعَى إليك الناسُ

من كلِّ جانب؛ لا تفارق الحَرَم فِدَاك عمِّي وخالي، فوالله لئن هلكت لنُسترقَّنَّ بعدك»[٥٩]. عجيبٌ جداً أن يكون عبد الله بن مُطيع يسرد كلَّ هذا للإمام، ولم يتفوّه الإمام عن مقصدهِ بأيِّ أمر. والذي نعتقده أنَّ ما ذُكر على لسان عبد الله جميعه إنَّما هو من تلفيق الطبري أو شيخه هشام الكلبي، أرادا أن يفحما هذا القول هنا لإظهار حالةٍ من التردّد على نهضة الإمام عليه السلام وانعدام التخطيط المُسبق لها. وهذهِ الكلمات نفسها ستكون على لسان ابن عباس وابن عمر وكلَّ من أثنى الإمام عن الثورة. فعبد الله بن مُطيع زبيري الهوى - كما مرَّ بنا - وإنَّه من المُستبعد أن يُدلي بهذهِ النصائح للإمام الذي كان عازماً على إنجاز مهمة حيوية في إصلاح أمَّة جدِّهِ؛ والأنكى من كلِّ هذا أن عبد الله بن مطيع هذا سوف يُعيده الطبري مرةً ثانية إلى أحداث القصة فيلتقي بالإمام قُبيل توجههِ للمعركة. غافلاً أنَّه سبق وأن ذكره قبلاً، وذلك بالتأكيد ليُعيد النصائح ذاتها على الإمام ويُثنيه عن ما كان الإمام عازماً عليه؟.

ومن بين الأمثلة الأخرى التي تدلّ على عدم تذكر الطبري أو هشام الكلبي ما يرويان من رواياتٍ متناقضة ومتضاربة كان القصد من ورائها التدليل مرة إثر أخرى على تردّد الإمام في نهضتهِ التي قام بها ضدَّ سلطة ودولة بني أمية. فيذكر الطبري قوله: «وأنَّ ابن الزبير والحُسين لمّا دُعيا إلى البيعةِ ليزيد أبَيَا وخرجَا من ليلتهما إلى مكَّة - ويُلاحظ هنا أنَّ الطبري قد ذكر في مكان سابق بأنَّ ابن الزبير قد خرج في جنح الليل مع أخيهِ وأنَّ الإمام خرج بعده بيومٍ أو يومين - فلقيهما ابن عباس وابن عمر جائِيَيْنِ من مكَّة، فسألاهما، ما وراءكما؟ قالا: موتُ معاوية والبَيعة ليزيد؛ فقال لهما ابن عمر: اتَّقيا الله ولا تفرِّقا جماعة المسلمين؛ وأمَّا ابن عمر فقَدِم فأقام أياماً، فانتظر حتَّى جاءت البيعة من البُلدان، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عباس»[٦٠]. ففي هذهِ الأسطر القليلة وقع الطبري في أخطاء عدّة:

أوّلها: ورود اسم الوليد بن عتبة، في حين أنَّه عَنْوَن موضوعه قبل أسطر ثلاثة بـ: (ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمروبن سعد).

وثانيها: قوله بأنَّ الإمام الحُسين عليه السلام وابن الزبير كانا سويةً بينما الذي أورده قبل قليل أنَّ الإمام كان مع أهل بيتهِ الأطهار.

وثالثها: قوله عن مبايعة ابن عمر وابن عباس إذ انتظرا حتَّى جاءت البيعة من البلدان. في حين قد نسي قوله في هذا النص نفسه، إذ قال: «وأما ابن عمر فأقام أياماً»، يعني أقام أياماً في المدينة المنورة، فكيف ينسجم هذا مع قوله: «فانتظر حتَّى جاءت البيعة من البلدان»، فالبيعة من البلدان أي الأمصار الإسلامية تذهب إلى دمشق مقر يزيد بينما كانا في المدينة المنورة؟. واذا كان هذا صحيحا فكيف بهِ -الطبري أو شيخه هشام عن أبي مخنف- بعد صفحاتٍ يقول ما نصّه: «قال أبو مخنف: وحدّثني الحارث بن كعب الوالبيِّ، عن عقبة بن سمعان، أنَّ حُسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة - طبعاً كان الإمام الحُسين عليه السلام في مكَّة آنئذٍ - أتاه عبد الله بن

عباس فقال: يا بن عمِّ، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيِّن لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعتُ المسير في أحد يومَيَّ هذين إن شاء الله تعالى... إلخ»[٦١]. ألم يكن ابن عباس رضي الله عنه قد التقى هو وابن عمر بالإمام عندما غادر الأخير المدينة المنورة؟ فكيف إذن تحول ابن عباس ثانيةً وهو قادم من مكَّة إلى المدينة والتقى بالإمام هناك، فنجده الآن في مكَّة حيث يحصل اللقاء الآخر؟

وزيادةً في الاستغراب، فإنَّ الطبري - أو هشام الكلبي أو أبا مخنف - بعد أسطرٍ قليلة يرجع ثانيةً إلى موضوع ابن عباس رضي الله عنه، إذ قال: «قال - المقصود أبو مخنف - فلمَّا كان من العشيِّ أو من الغدِ، أتى الحُسين عبد الله بن العباس - في الرواية السابقة ابن عباس فقط - فقال: يابن عمِّ إنِّي أتصبَّر ولا أصبر؛ إنِّي أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال؛ إنَّ أهل العراق قوم غدرٍ؛ فلا تقربنَّهم؛ أقِم بهذا البلد فإنَّك سيد أهل الحجاز؛ فإن كان أهل العراق يُريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثمَّ أقدِم عليهم... إلخ»[٦٢]. فكيف نقرأ هذا التخبط من هشامٍ الكلبي أو الطبري، وما هو المُراد منه؟ لاسيَّما بعد أن أعلن الطبري صراحةً أنَّ ابن عباس رضي الله عنه قد بايع يزيد وقدَّم له الطاعة والولاء؟. فهل هناك من شكٍّ بأنَّ هشاماً أو الطبري أقحما كلَّ هذا للترويج بشرعية علاقة أبناء العمومة للعباسيين بالعلويين، وإظهار دورهم المغمور في نهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ولنلاحظ قول ابن كثير في هذا المجال، إذ قال: «فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس»[٦٣]. كما نقل ابن كثير روايةً سندها «غير واحدٍ عن شبابة بن سوار، قال: حدّثنا يحيى بن إسماعيل الأسدي، قال: سمعت الشعبي يُحدث عن ابن عمر، أنَّه كان بمكَّة فبلغه أنَّ الحُسين بن علي قد توّجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ، فقال: أين تريد؟ قال: العراق... إلخ»[٦٤]. كيف حدث هذا وابن عمر رضي الله عنه قد التقى بالإمام الحُسين عليه السلام في الطريق بين المدينة المنورة ومكَّة المكرمة!. ثمَّ كيف يتلاءم هذا القول مع القول السابق، أنَّ ابن عمر قد بايع يزيد بن معاوية وهو في المدينة المنورة. أمر محيِّر ونحن نقرأ هذا التخبُّط والعشوائية في رواية الطبري ومن سار على خُطاه.

أمَّا عن عبد الله بن مُطيع الذي سبق أن التقينا بهِ وهو ينصح الإمام بعدم الذهاب إلى الكوفة؛ فإذا بنا نلتقي بهِ ثانيةً ولكن ليس في الطريق بين المدينة المنورة ومكَّة المكرمة بل بالقرب من القادسية[٦٥] التي تقع بالقرب من الكوفة، في طريق وصول الإمام إلى ماءٍ من مياه العرب. وهنا على هذا الماء نجد عبد الله بن مُطيع وهو ينصح الإمام بالكلمات نفسها التي قالها له وهو في الطريق بين المدينة ومكَّة. قال عبد الله: «بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله! ما أقدمك! واحتَمله فأنزله». وبدأ الإمام الحُسين عليه السلام يشرح لعبد الله عن كتب أهل الكوفة. بعد ذلك قال عبد الله الزبيري الهوى والميل: «أذكِّرك الله يا بن رسول الله وحرمة

الإسلام أن تُنتهك؛ أنشدكَ اللهَ في حُرمة رسول الله صلَّى الله عليه وسلم؛ أنشدك الله في حُرمة العرب؛ فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتُلنَّك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً. والله إنَّها لحُرمة الإسلام تُنتهَك، وحُرمةُ قريش وحُرمة العرب، فلا تَفعل، ولا تأتِ الكوفة، ولا تَعرَّض لبني أميَّة؛ قال: فأبى إلاَّ أن يمضي؛ فأقبل الحُسين حتَّى كان بالماءِ فوق زَرُود»[٦٦]. فبحق من يقرأ هذا الهراء برواية أبي مخنف عند الطبري، أو من خلال تلميذ أبي مخنف هشام الكلبي، هل سيجد في هذهِ الرواية من معنىً سوى معنى واحد، وهو التمجيد ببني أميَّة والتشديد على مدى تردد الإمام في نهضتهِ، هذهِ النهضة والثورة العظيمة التي تُوجّت يوم عاشوراء في وادي الطَّف المبارك، هذا التتويج الذي كان أساس كلِّ خيرٍ في هذهِ الأمَّة من هدايةٍ أو إصلاح كالوصول إلى عقيدةٍ صحيحة أو التحرّر من عقيدةٍ منحرفة أو التحرّر من نظامٍ سياسي تجاوز الحدَّ في طغيانهِ... كلَّهُ نابعٌ من هذهِ الوقفة المُظفَّرة للحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وصحبهِ الغُر الميامين رضوان الله تعالى عليهم. وبالتالي فإننا مدعوون إلى رفضٍ كلِّيٍّ لما كتبه الطبري عن هشام الكلبي بصيغةٍ مُحرَّفة عن أبي مخنف، كونها رواية لا تتمتّع بالمصداقية والحيادية بخصوص هذهِ الثورة الخالدة.

إذن فالخلاصة من هذهِ الروايات التي سلَّطت الضوء على أولئك الذين نصحوا الإمام عليه السلام بنفس العبارات، أعتقد أنَّها دخيلة ومبالغ فيها وهي في حقيقتها إمَّا روايات عباسية الميل أو زبيرية الاتجاه كالذي نلمسه من مسألة نصيحة ابن الزبير للإمام قبل خروجهِ من مكَّة المكرمة وما طرحه خليفة ابن خياط من رواية وهب بن جرير الزبيري الميل والهوى[٦٧]، أنَّ ابن الزبير كان دائماً يُشجِّع الإمام على الذهاب إلى الكوفة وأنَّه يُريد من الإمام أن يخرج من مكَّة المكرمة ليخلو له الجو. فقد رأى كيف أنَّ الناس قُبيل الحج وخلاله كانوا يؤيدون الإمام ويتوافدون عليه بينما كانوا لا يُعيرون أهميةً لابن الزبير. فما كان من تلك الروايات إلاَّ محاولة إظهار تردّد الإمام في ثورتهِ وعدم تحديد هدفه وغايته بالضبط.

رحلة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى الكوفة:

أما بخصوص رواية رحلة الإمام من مكَّة المكرمة باتجاه العراق، فهي الأخرى بحاجةٍ إلى دراسةٍ وتحليل على الرغم من وضوحها في العديد من الدراسات الأكاديمية الرصينة[٦٨]. التي اهتمت جميعها تقريباً بدراسة مدى موثوقية وواقعية رواية الطبري بخصوص جغرافية طريق مكَّة المكرمة. هذهِ الرواية المليئة بالتناقضات والتضاربات بشأن المسلك الذي سلكه الإمام نحو العراق؛ وهي رواية تُثير تساؤلاً في ما إذا كان مقصد الإمام الكوفة أم جهة أخرى؟ ولعلَّ الإمام، والله أعلم، لم يكن يبغي الكوفة مباشرةً إنَّما أطرافها من أجل أن يتحقّق من موقف الكوفيين وحتَّى قبل استشهاد مُسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام (ت٦٠هـ/ ٦٨٠م)، فرسالته التي

زوَّد بها مُسلم تتحدّث عن حكمةٍ سياسية ودراية وأنَّ مشاهد موقف الكوفيين قُبيل صفِّين وما بعد صفِّين وموقفهم عندما وصل الإمام إلى الخريبة في البصرة وذهابهِ هو شخصياً إلى الكوفة لتحشيد الدعم لجيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكيف كان موقف أبي موسى الأشعري (٢١ق.هـ.-٤٤هـ/ ٦٠٢-٦٦٥م) ووجهاء الكوفة المُتخاذل.. لا شكَّ أنَّه قائم وحيَّ وواضح عنده، فيُدلي الطبري برواية أبي مخنف كما وردت عن طريق عمار الدُّهني وهي رواية تلاعب أو تدخَّل فيها الطبري أو هشام فوجَّهاها وجهةً غير صحيحة كما نوهنا إلى ذلك في أعلاه، تنص الرواية: «فخرج -يقصد الإمام الحُسين- إلى مكَّة، فأتاه أهل الكوفة ورُسُلهم: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي -طبعاً يُلاحظ أنَّ الرواية مبتورة وناقصة وهي في موضعٍ آخر من الكتاب أوضح-قال: فبعث الحُسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمِّهِ فقال له: سِر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا بهِ إليَّ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم»[٦٩]. إذن فالمهمة الصعبة التي كُلِّف بها مُسلم بن عقيل إنَّما تقتصر على: «فانظر ما كتبوا بهِ إليَّ»!!. ونحن نقول أنَّ الدرس البليغ والكبير الذي خطَّه مُسلم بن عقيل بدمهِ الطاهر في الكوفة، هو الذي كشف للأجيال مساوئ الغدر ومآلات الخيانة، فالنوايا الحسنة التي تحدث بها الإمام الحُسين عليه السلام لأهل الكوفة المُتجحفلين أمامه في كربلاء، وأنَّه امتدادٌ للرسالة السماوية وآيةً للرحمة الإلهية، كان قد تمَّ التمهيد لها داخل الكوفة على يد مُسلم بن عقيل عليه السلام.

والمسعودي من جانبهِ يقول أنَّ الإمام الحُسين عليه السلام: «أرسل بابن عمِّهِ مُسلم بن عقيل إلى الكوفة، وقال له: سِر إلى أهل الكوفة فإن كان حقاً ما كتبوا به عرفني حتَّى ألحق بك»[٧٠]. ولابن كثير رواية استقاها من الطبري أيضاً عن أبي مخنف عن هشام، يقول فيها: «فاجتمعت الرُسُل كلَّها بكتبها عند الحُسين، وجعلوا يستحّثونه ويستقدمونه عليهم ليُبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية، ويذكرون في كتبهم أنَّهم فرحوا بموت معاوية، وينالون منه ويتكلَّمون في دولتهِ، وأنَّهم لما يبايعوا أحداً إلى الآن، وأنَّهم ينتظرون قدومك إليهم ليُقدّموك عليهم -هكذا جاء في النص- فعند ذلك بعث ابن عمه مُسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً وأمراً حازماً مُحكماً بعث إليهِ ليركب في أهلهِ وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يُعاديه، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك...»[٧١]. إذن فالإمام -حاشاه الله تعالى- قد غاب عن فكرهِ ولم يكن ولا للحظةٍ واحدة متيقظاً مُدركاً لضعف إرادة من جاءوا له وهم يحملون الكتب، تلك الكتب الواضحة البيِّنة إن كان زمن وقوعها هذا الزمن أو كما هو مؤكَّد قُبيل استشهاد الإمام الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أو بعد استشهادهِ فهي حقيقة تاريخية بيِّنة؛ ولكن في المقابل ما بال هؤلاء الذين غدروا بتعهّداتهم وأقوالهم ومواقفهم، فحينما أبرز إليهم خَرجاً من الكتب التي كتبوها له، قالوا على لسان الحرِّ الرياحي (ت٦١هـ/ ٦٨٠م)[٧٢]: لا علم لنا

بهذهِ الكتب وبمن بعثها، إنَّا أُمرنا أن نُلازمك ونمنع الماء عنك ولا شأن لنا بهذهِ الكتب. حتَّى يُثار تساؤل على ألسنة وأقلام الطاعنين على نهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام والقول: أنْ لماذا استجاب الإمام لدعوات أهل الكوفة رغم علمهِ بحالهم؟ لنُجيب في المقابل لهدم هذا الإشكال وتقويضهِ، أن لو لم يستجب الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لدعوات أهل الكوفة لأدانه التاريخ ولقال إنَّ الحُسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فرَّط في المسؤولية الإلهية المُناطة بهِ، وذلك لأنَّ الظروف قد تهيّأت له بعد أن راسله الآلاف مِن أهل الكوفة وجمعٌ كبير مِن الوجهاء ورؤساء العشائر، وأكّدوا له أنَّهم على استعدادٍ تام لمُناصرتهِ وأنَّ مدينة الكوفة مُتهيئة لاحتضان ثورتهِ، وأنَّه ليس مِن العسير عليهم طرد الوالي الأموي مِنها.

وحينئذٍ وعندما تسقط مدينة الكوفة وتُنتزع من سلطة الأمويين فإنَّ ذلك يُنتج سقوط القرى والمدن المجاورة لها نظراً لارتباطها سياسياً وأمنياً بولاية الكوفة، بل وحتَّى بلاد فارس والأهواز وبعض المدن الواقعة في مشرق الدولة الإسلامية وقراها التي كانت تابعة سياسياً لولاية الكوفة، بل إنَّ سقوط الكوفة بيَد الثوار يُنتج سهولة الهيمنة على مدينة البصرة والمدن المُجاورة لها، ذلك لتركز الثُقل العسكري والسياسي في العراق آنذاك في مدينة الكوفة.

ومِن هنا يكون إهمال الإمام الحُسين عليه السلام لدعواتِ أهل الكوفة سيُعدّ تفريطاً وتفويتاً لفرصةٍ استثنائية خصوصاً وأنَّ الحُسين يُدرك أنَّ الأمَّة ما كانت لتستجيب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٢٦-٦٤هـ/ ٦٤٧-٦٨٣م) لولا قوّته وسطوتهِ، فإذا ما استطاع أن يوهن هذهِ القوة فإنَّ الحواضر والأمصار الإسلامية سوف تتداعى واحدةً تلو الأخرى، إذ ليس ثمَّة حاضرة مِن الحواضر الإسلامية كانت تكن الولاء الحقيقي ليزيد خصوصاً وللنظام الأموي بشكلٍ عام إذا ما استثنينا بلاد الشام.

خاتمة

وهكذا يتبَّين للمرء مدى التخبّط الذي وقعت فيه رواية أبي مخنف - غير الحقيقية - حينما حّرفها وعدّلها كلٌّ من هشامٍ الكلبي والطبري، فلم تعد رواية متوازنة وموضوعية ومتماسكة. هذهِ النهضة التي مثَّلت حركةً مفصلية في التاريخ الإسلامي والإنساني على حدٍّ سواء، إنَّما سعى الساعون إلى تحريف وتشويه محتواها من خلال بعض الروايات، وفي جانبٍ آخر استهدفوا صورتها الظاهرية وشخصياتها. ليس رواية الرحلة إلى العراق فحسب بل جميع معلومات مقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي مخنف قد نالها ما نالها من التحريف وبثِّ المغالطات المنهجية والأحداث التاريخية المجانبة للواقع.

كذلك فإنَّ مهمة التصدّي للتحريفات الدخيلة على نهضة الإمام الحُسين مهمة صعبة لم يقم بها إلاَّ الندرة من العلماء والمُصلحين المجددين، لما قد يُكلِّف العالم المُصلح ثمناً باهظاً لعلَّ أقلَّه الاتهام

بالجهل في التاريخ الإسلامي. لكن مع هذا، فقد تطرّق عدد من المُحقّقين المتقدّمين لحوادث هذهِ الواقعة وتحليل التحريفات الرائجة فيها، وقد سعى المتأخرون في تنقية هذهِ النهضة والثورة العظيمة من بعض التحريفات، والتي يُشير إليها الأستاذ المُطهّري - بعد بيان معنى التحريف وأنواعه - فيرى أنَّ هناك ثلاثة عوامل دخيلة في تحريف نهضة الإمام الحُسين، وهي: الأعداء للوصول إلى مراميهم؛ المُحبون وميلهم لخلق الأساطير؛ تعليمات أئمة الدين في باب إحياء هذهِ الحادثة والتي أُسيئ فهمها وإدراك معانيها(٧٣).

وأخيراً فإننا في الواقع لم نقف على جميع مفاصل ثورة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ونهضتهِ الجليلة في هذهِ المقدمة التحليلية التي توخينا فيها الاختصار قدر الإمكان. كما تجدر الإشارة إلى أنَّ مسيرة واستشهاد مُسلم بن عقيل عليه السلام التي هي الأخرى يكتنفها الكثير جداً من الاضطراب والتشويه والتزوير. هذهِ الرواية التي نرى أنَّها بحاجة ماسة أيضاً إلى إعادة قراءة وكتابة. ومن الله تعالى التوفيق..

الهوامش

(١) السلمي، محمد بن صامل، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، (الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ)، ص١١-١٣.

(٢) هو: أبو مِخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مِخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة الأزدي الغامدي، توفِّي سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م. كان جده مِخنف بن سليم رضي الله عنه صحابياً ومن أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقُتل وهو يُقاتل إلى جانبهِ في معركة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. راوية، عالمٌ بالسِيَر والأخبار، إمامي، من أهل الكوفة. له تصانيف كثيرة في تاريخ عصرهِ وما كان قبله بيسير، منها: «فتوح الشام»؛ «الردَّة»؛ «فتوح العراق»؛ «الجمل»؛ «صفين»؛ «النهروان»؛ «الأزارقة»؛ «الخوارج والمهلَّب»؛ «مقتل علي»؛ «الشورى»؛ «مقتل عثمان»؛ «مقتل الحُسين»؛ «مصعب بن الزبير والعراق»؛ «أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي» ويُسمَّى أخذ الثار. يُنظر: الطوسي، أبو جعفر مُحمَّد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، الفهرست، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، (قم، منشورات الشريف الرضي، د.ت.)، ص١٢٩-١٣٠؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم الأدباء.. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ج٥، ص٢٢٥٢-٢٢٥٣؛ ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين مُحمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، د.ت.)، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦؛ اليحيى، يحيى بن إبراهيم بن علي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري.. عصر الخلافة الراشدة دراسة نقدية، (الرياض، دار العاصمة، د.ت.)، ص٢٥-٨٧.

(٣) **Robinson, Chase F., Empire and Elites after the Muslim Conquest: The Transformation of Northern Mesopotamia, (Cambridge Studies in Islamic Civilization), Cambridge: Cambridge University Press, 2006.**

وقد اهتم المستشرقون بدراسة شخصية الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وسيرتهِ وثورتهِ اهتماماً ملحوظاً. وللمزيد من التفاصيل حول دراسات المستشرقين حول هذا الموضوع، يُنظر: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، (بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١١م)، ص٣٧٩-٤٠١.

(٤) هو: أبو الحكم عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض الكلبي، مؤرخ، من أهل الكوفة. ضرير. كان عالماً بالأنساب والشعر، فصيحاً. واتهُم بوضع الأخبار لبني أمية. قال ياقوت الحموي: «وعامة أخبار المدائني عنه». له كتاب في: «التاريخ» و«سيرة معاوية». لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر: ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٥، ص٢١٣٣-٢١٣٦؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الدمشقي الشافعي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، نَكت الهميان في نُكت العميان، تحقيق: أحمد زكي بك، (القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، ص٢٢٢.

(٥) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمة الحلبي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ج٣، ص٦٢.

(٦) هو: أبو المنذر هشام بن مُحَمَّد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي، ويُكنَّى (ابن الكلبي)، مؤرخ وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها، كأبيه.كثير التصانيف. من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيف ومائة وخمسون كتاباً، منها: «جمهرة الأنساب»؛ «الأصنام»؛ «نسب الخيل»؛ «بيوتات قريش»؛ «الكنى»؛ «المثالب»؛ «افتراق العرب»؛ «الموءودات»؛ «ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام»؛ «تسمية من بالحجاز من أحياء العرب»؛ «أخبار بكر وتغلب»؛ «أسواق العرب». يُنظر: ابن النديم، أبو الفرج مُحَمَّد بن أبي يعقوب إسحاق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، الفِهرست، تحقيق: يوسف علي طويل، ط٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م)، ص١٥٣-١٥٧؛ الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء مُحَمَّد (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ص٨٤؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٦، ص٢٧٧٩-٢٧٨١؛ ابن خلِّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ج٦، ص٨٢-٨٤؛ اليافعي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)، مرآة الجنان وعِبرَة اليقظان، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢، ص٢٣؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد الحضرمي الأشبيلي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون المُسمَّى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٢٩٠؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، (بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٨، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٧) هو: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله: تابعي، من فقهاء الشيعة، من أهل الكوفة. أثنى عليه بعض رجال الحديث، واتّهمه آخرون بالقول بالرجعة. وكان واسع الرواية غزير العلم بالدين. مات بالكوفة. يُنظر عنه: الطوسي، أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، رجال الكشِّي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، (قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧هـ)، ص١٦٩-١٧٤؛ الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج٢، ص١٠٣-١٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، (حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، ج٢، ص٤٦-٥١.

(٨) هو: معاوية بن عمار بن أبي معاوية خبَّاب بن عبد الله الدُّهني، مولاهم، كوفي - ودُهن من بجيلة - وكان وجهاً في أصحاب الأئمة الأطهار، ومُقدَّماً، كبير الشأن، عظيم المحل، ثقة. وكان أبوه عمَّار ثقةً في العامة، وجهاً يُكنَّى أبا معاوية وأبا القاسم وأبا حُكيم، وكان له من الولد القاسم وحُكيم ومُحَمَّد. روى معاوية عن أبي عبد الله جعفر الصادق وأبي الحسن موسى الكاظم عليهما السلام. يُنظر عنه: النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، رجال النجاشي، ط٦، (قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤١٨هـ)، ص٤١١؛ الطوسي، رجال الكشِّي، ص٢٥٨.

(٩) هو: أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيَّار المنقري التميمي الكوفي، مؤرخ، من غلاة الشيعة. كان عطَّاراً بالكوفة، وولاَّه أبو السرايا سوقها، ثمَّ سكن بغداد. قال ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م): «وهو ثبت، صحيح النقل، غير منسوب إلى هوى». من كتبهِ: «الغارات»؛ «الجمل»؛ «مقتل الحُسين»؛ «أخبار المختار الثقفي»؛ «المناقب»؛ «وقعة صفِّين»؛ «أخبار مُحَمَّد بن إبراهيم وأبي السرايا»؛ «النهروان». يُنظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ بغداد أو (تاريخ مدينة السلام)، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج١٥/ ص٣٨٢-٣٨٣؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٦، ٢٧٥٠؛ آغا بزرك الطهراني، مُحَمَّد محسن بن علي بن مُحَمَّد رضا النجفي (ت١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، (بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج١، ص٣٤٩.

(١٠) يُنظر على سبيل المثال: الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرُسُل والملوك، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، (القاهرة، دار المعارف، د.ت.)، ج٥، الصفحات ٤٠١، ٤٠٩، ٤٤٩، ٤٥٥، وغيرها.

(١١) إنَّ هنالك فريقاً من العلماء - وهم من أهل الحديث الشريف على وجهِ الخصوص - لا يرضَون عن ابن الكلبي، داعمين القول بتضعيفهِ وعدم وثاقتهِ، ولا عمَّن نحا نحوه من التاريخيين والإخباريين، لا لشيءٍ سوى أنَّهم تعرضوا لرواية الآثار دون أن تتوافر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدّر لإملائها. فلا عَجَب إذا رأينا هذا الفريق من العلماء يُجرِّحون أولئك المؤلِّفين ويحطُّون من أقدارهم، لأنَّهم أقدموا على تدوين الآثار ممزوجةً ببعض الأساطير والأقاصيص. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر المصادر التي سقناها في هامش ترجمة ابن الكلبي - هامش

رقم (٦) - إضافةً إلى: ابن عدي، أبو أحمد عبد الله ابن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: مازن بن محمد السرساوي، (الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، د.ت.)، ج١٠، ص٣٣٧-٣٣٨.

(١٢) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية.. من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م)، ص (د).

(١٣) المرجع نفسه، ص (ش).

(١٤) هو: أبو مخارق جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري، المُحدِّث. حَدَّثَ عن: نافع العمري، وابن شهاب الزهري، وعن رفيقهِ مالك بن أنس. توفِّي سنة ثلاث وسبعين ومائة. يُنظر: ابن سعد، مُحَمَّد ابن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ج٩، ص٢٨١؛ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة ابن خياط شباب العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٥م)، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (بغداد، جامعة بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص٢٢٣؛ الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سِيَر أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، (بيروت، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج٧، ص٣١٧-٣١٨.

(١٥) هو: أبو العباس وهب بن جرير بن زيد بن عبد الله ابن شجاع الأزدي البصري. ولد بعد الثلاثين ومائة. روى عن والده فأكثر، وعن ابن عون، وهشام بن حسان، وقُرَّة بن خالد، وعكرمة بن عمار، وشُعبة، وغالب بن سليمان، والأسود بن شيبان، ولاَّم بن أبي مطيع، وهشام الدَّستوائي، وموسى بن علي بن رباح، وصخر بن جويرية، وعدَّة. أمر أحمد بن حنبل بالكتابةِ عنه، وأكثَر عنه في مسندهِ. قال النَّسائيُّ عنه: «ليس بهِ بأس». توفِّي بالمنجشانيَّة على ستة أميالٍ من المدينة المنورة منصرفاً من الحج، فحُمل حتَّى دُفن بالبصرة. قال ابن سعد: «مات وهبٌ سنة ستٍّ ومائتين». يُنظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٩، ص٢٩٩؛ الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستَّة، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، (جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد العكري الدمشقي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٣، ص٣٣.

(١٦) حول الكتب التي وضعت في واقعة الطَّف بمدينة كربلاء، ومقتل الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عام ٦١هـ/ ٦٨١م، يُنظر: آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٢، ص٢١-٣٢.

(١٧) يُنظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٥٨.

(١٨) هو: أبو عبيدة مُعمَّر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، النحوي. من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ/ ٨٠٤م، وقرأ عليه أشياء من كتبهِ. قال الجاحظ: «لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه». وكان إباضياً، شعوبياً، من حفَّاظ الحديث. قال ابن قتيبة: «كان يبغض العرب

وصنَّف في مثالبهم كتباً». ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقدهِ معاصريه. وكان، مع سِعَة علمهِ، ربما أنشد البيت فلم يُقم وزنه، ويُخطئ إذا قرأ القرآن نظراً. له نحو (٢٠٠) مؤلَّف، منها: «نقائض جرير والفرزدق»؛ «مجاز القرآن»؛ «العَقَقة والبررة»؛ «مآثر العرب»؛ «المثالب»؛ «فتوح أرمينية»؛ «ما تلحن فيه العامة»؛ «أيام العرب»؛ «طبقات الشعراء»؛ «المحاضرات والمحاورات»؛ «الخيل»؛ «إعراب القرآن»؛ «مقاتل الأشراف»؛ «القبائل». يُنظر: أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي (ت٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، د.ت.)، ص٤٤-٤٦؛ الزبيدي، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن الأندلسي (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣م)، ص١٧٥-١٧٨؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٦، ص٢٧٠٤-٢٧٠٩؛ ابن خلِّكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٣٥-٢٤٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٦، ص٤٨٣.

(١٩) مستشرق ألماني كبير. ولد في ٣١/ يوليو/ ١٨٠٨م في موندن **Munden** بمقاطعة هانوفر **Hannover**. تعلَّم في مدارس بلدهِ حتَّى سنِّ السابعة عشرة، ثمَّ دخل المدرسة الثانوية في هانوفر. وفي عام ١٨٢٧م دخل فيستنفيلد جامعة غوتنغن **Georg-August-Universität in Göttingen** وحضر دروس إيفالد، العالم الشهير باللغات السامية، خصوصاً العبرية والسريانية، فتابع دروسه عن العهد القديم **The Old Testament** من الكتاب المقدس، ودروسه في اللغات العربية، والفارسية، والسريانية والسنسكريتية. وتخصَّص فيستنفيلد في اللغات الشرقية. ولإتقانها سافر إلى برلين سنة ١٨٢٩م وحضر محاضرات أستاذين شهيرين هما: فريدريش فلكن **Friedrich Wilken** (١٧٧٧-١٨٤٠)، وفرانز بوب **Franz Bopp** (١٧٩١-١٨٦٧). وفي العام التالي، ١٨٣٠م، عاد إلى غوتنغن، فحصل منها على الدكتوراه الأولى في ١٨/ فبراير/ ١٨٣١م، وعُيِّن مدرساً مساعداً **Privatdozent**، فألقى دروساً عن العهد القديم وفي اللغات السامية، واللغة العربية على وجه التخصيص. وصار أميناً لمكتبة جامعة غوتنغن ١٨٣٨م. وعُيِّن أستاذاً مساعداً في كلِّية الآداب بجامعة غوتنغن في ١٨٤٢م، ثمَّ رقِّي أستاذاً ذا كرسي في ١٨٥٣م. أمَّا أعماله العلمية فوفيرة جداً، ولا نظير له في هذهِ الخصوبةمن المستشرقين الألمان غير جوستاف فلوجل **Gustav Leberecht Fluegel** (١٨٠٢-١٨٧٠). يُنظر: المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م)، ص٨؛ بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ص٣٩٩-٤٠٢؛ العقيقي، نجيب، المستشرقون، ط٥، (بيروت، دار المعارف، ٢٠٠٦م)، ص٣٦٧-٣٦٩؛ **Dugat, Gustave, Histoire des orientalistes de l'Europe, Paris: Maisonneuve et Gie, Laibraires Éditeurs, 1870, Pp.273-287.**

(٢٠) **Wüstenfeld, Ferdinand, Der Tod des Ĥusein ben 'Ali und die Rache.. Ein historischer Roman aus dem Arabischen, in: Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, Histrorisch-Philologische Classe 30 (1883), Pp.149-213.**

(٢١) **Sezgin, Ursula, Abu Mikhnaf: ein Beitrag**

zur Historiographie der umaiyadischen Zeit, Leiden: Brill, 1971.

(٢٢) R. B. Serjeant, Ursula Sezgin: Abū Miḥnaf: ein Beitrag zur Historiographie der umaiyadischen Zeit. (xi, 251pp. Leiden: E. J. Brill, 1971. Guilders 68). Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol.38, Issue01-February 1975, Pp.144-145. (preview)

(٢٣) Howard, I. K. A., Events and Circumstances Surrounding the Martyrdom of Al-Husain Ibn Ali, London: CreateSpace Independent Publishing Platform, 2014, p.4.

(٢٤) القائني، مُحَمَّد باقر البيرجندي، الكبريت الأحمر في شروط المنبر، (بيروت، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ج١، ص٤٣.

(٢٥) هو: مولى الرباب بنت امرئ القيس الكلبية زوجة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد صاحب الحُسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكَّة المكرمة ومن مكَّة المكرمة إلى كربلاء، ولم يُفارقه حتَّى قُتِل عليه السلام، ولكنه لم يوفَّق لنيل الشهادة بين يدي الإمام الحُسين عليه السلام، ولم يكن له دورٌ قتالي أصلاً. وبعد انتهاء المعركة وقع في الأسر، فعرضوه على ابن سعد، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبدٌ مملوك. فخلَّى سبيله، وأصبح بعد ذلك من رواة واقعة الطَّف. وقد حرص أبو مخنف على الاتصال بهِ والأخذ منه. هذا ما استفدناه من مواضع عدَّة من: تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، الصفحات: ٣٥١، ٣٨٣، ٣٨٥، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٥٤.

(٢٦) هي: الرباب بنت امرئ القيس بن عدي (ت٦٢هـ/ ٦٨١م)، زوجة الإمام الحُسين السبط الشهيد عليه السلام. كانت معه في وقعة كربلاء، ولما قُتل جيء بها مع السبايا إلى الشام. ثمَّ عادت إلى المدينة فخطبها بعض الأشراف من قريش، فأبت. وبقيت بعد الحُسين سنة لم يُظلها سقف بيت حتَّى بليت وماتت كمداً. وكانت شاعرة، لها رثاء في الحسين. يُنظر: ابن حبيب، أبو جعفر مُحَمَّد بن حبيب بن أمية ابن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، كتاب المَحبَر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.)، ص٣٩٦-٣٩٧؛ كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، (بيروت، مؤسَّسة الرسالة، د.ت.)، ج١، ص٤٣٨-٤٣٩؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص١٣.

(٢٧) روى عنها أبو مخنف خبراً واحداً حول التحاق زوجها زهير بالإمام الحُسين عليه السلام، وهو يرويه عنها مباشرةً. يُنظر: الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٩٦.

(٢٨) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، الصفحات: ٨، ٣٠، ١٧٤، ١٨١، ٣٧٥. وهو: جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوين بن عائذ بن قيس الجرمي، كان مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين، روى عنه أبو مخنف لوط بن يحيى.. يُنظر: الرازي، أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم مُحَمَّد بن إدريس ابن المنذر التميمي الحنظلي (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٩م)، كتاب الجرح والتعديل، (حيدر آباد – الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ج٥، ص٤٧٦؛ ابن حبان، أبو حاتم مُحَمَّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، كتاب الثقات، (حيدر آباد – الدكن، مجلس دائرة المعارف

العثمانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج٤، ص١٠٥.

(٢٩)يُنظر: الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٤٠٣.

(٣٠)ويحيى هذا وإن كان أبوه من رموز الثورة وقياديها إلاَّ أنَّ أُمَّه روعة كانت أخت عمرو بن الحجاج، وكان مشدوداً إلى خالهِ، وكان معه في كربلاء في عسكر عمر بن سعد، وكان معه أيضاً في قتالهِ ضد المختار بن أبي عبيد الثقفي (١-٦٧هـ/ ٦٢٢-٦٨٦م) تحت إمرة عبد الله بن مطيع والي الكوفة من قِبَل ابن الزبير. يُنظر: المصدر السابق، ج٥، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٣١)يُنظر: المصدر نفسه، ج٥، الصفحات: ٥٦، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥١-٤٥٣، ٤٥٥-٤٥٨، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٨١، ٥٨٤، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٦، ج٦، الصفحات: ٩، ١٨، ١٩، ٢٣، ٥١، ٥٨، ٢١٣؛ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن مُحَمَّد الحُسيني (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، اللهوف في قتلى الطفوف، (بيروت، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٧٧؛ فخر الدين، محمد جواد نور الدين، «حميد بن مُسلم الأزدي ومروياتهِ التاريخية.. قراءة نقدية»، مجلَّة حولية المنتدى، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، النجف الأشرف، ٢٠١٢م، ع٩-١٠، ص١٦٧-١٨٦.

(٣٢)وكانا مهتمين بمتابعة أخبار النهضة، كما صرّحا بذلك حيث قالا: «لما قضينا حجَّنا لم يكن لنا همَّة إلاَّ اللحاق بالحُسين في الطريق لننظر ما يكون من أمرهِ وشأنهِ». يُنظر: الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٩٧.

(٣٣)يُنظر أخبارهما في: تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، الصفحات: ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٢٧.

(٣٤)هو: أبو القاسم الأصبغ بن نُباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مُجاشع بن دارم الحنظلي الكوفي من بني تميم. روى عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان من أصحابهِ. قال عنه ابن حجر العسقلاني: «متروكٌ رُمِيَ بالرفض». يُنظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٨، ص٣٤٥؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، (الرياض، دار العاصمة، د.ت.)، ص١٥١.

(٣٥)يُنظر على سبيل المثال: شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحُسين عليه السلام، ط٢، (قم، الدار الإسلامية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٣٣؛ الغروي، محمد هادي اليوسفي، مقدمة تحقيق كتاب: أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي (ت١٥٨هـ/ ٧٧٥م)، وقعة الطَّف، (قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٧هـ.ش.)، ص١٦-١٧.

(٣٦)هو: مُحَمَّد بن الحسن بن سهل المعروف بـ«شيلمة» الكاتب. وشيلمة لقبٌ لمُحمَّدٍ هذا، وأبو الحسن بن سهل هو الوزير المعروف أخو الفضل بن سهل، مات محروقاً. وكان شيلمة أولاً مع العلويِّ صاحب الزنج، ثمَّ صار إلى بغداد وأُومن ثمَّ خلَّط وسعى لبعض الخوارج فحرقه المعتضد بالله الخليفة العباسي (٢٤٢-٢٨٩هـ/ ٨٥٦-٩٠٣م) حياً وكان مصلوباً على عمود خيمة. له من الكتب المُصنَّفة: «كتاب أخبار صاحب الزنج»؛ «كتاب رسائلهِ». يُنظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٥؛ ياقوت الحموي،

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٦، ص٢٤٩٩-٢٥٠٠؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٢٥٩.

(٣٧) حول الروايات التي نقلها الطبري عن مُحَمَّد بن الحسن بن سهل شيلمة، يُنظر: تاريخ الرُسُل والملوك، ج٩، الصفحات: ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٨٠-٤٨٣، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣٨-٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٦...

(٣٨) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٣٨.

(٣٩) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٢٢.

(٤٠) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٢٣.

(٤١) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٣٨.

(٤٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٣٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٧.

(٤٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٥٦.

(٤٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط١١، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ج٨، ص٥٤٥.

(٤٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٧-٥٥٨.

(٤٧) هو: عبد الله بن مطيع بن الأسود بن المطَّلب بن أسد ابن عبد العزى الكعبي القرشي العدوي. من رجال قريش، جلداً وشجاعة. ولد في حياة النبيﷺ وكان على قريش يوم الحرة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة المنورة. ثمَّ سكن مكَّة المكرمة. واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار بن أبي عبيد الثقفي منها، فعاد إلى مكَّة، فلم يزل فيها إلى أن قُتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له. وأُرسل رأسه إلى الشام مع رأسي ابن الزبير وصفوان. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن علي الكناني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٤، ص٢٠٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٣٩.

(٤٨) هو: أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري (٦٦-١٢٦هـ/ ٦٨٦-٧٤٣م)، من بجيلة. أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الأصل، من أهل دمشق. ولِّي مكَّة المكرمة سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م للوليد بن عبد الملك، ثمَّ ولاَّه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م، فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٨م وولَّى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يُحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثمَّ قتله في أيام الوليد بن يزيد. وكان خالد يُرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاءٌ فيه. يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحُسين بن مُحَمَّد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، كتاب الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٥، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ج٢١، ص٣١٥-٣١٦؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد

الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ج٤، ص٤٦٣-٤٦٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص١٥٥-١٥٧؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج٣، ص١٣٠-١٣٢.

(٤٩) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٤٧.

(٥٠) هو: أبو معاوية عمار بن معاوية - ويُقال ابن أبي معاوية ويُقال ابن صالح ويُقال ابن حبان ويُقال ابن خباب - البجلي الدُّهني، بضم الدال المهملة وسكون الهاء وفي آخرها نون، هذهِ النسبة إلى دُهْن بن معاوية ابن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار، وهو بطن من بجيلة، الكوفي. راوٍ ثقة، روى عن سعيد بن جُبير وأبي الطفيل وأبي جعفر الباقر عليه السلام...، وروى عنه الأجلح وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وعنبسة بن سعيد قاضي الري وابنه معاوية وسفيان ابن عيينة وآخرون. توفِّي سنة ٣٣هـ/ ٦٥٤م. قال عنه ابن حجر العسقلاني: «صدوق يتشيَّع». يُنظر: البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، التاريخ الكبير، (حيدر آباد - الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٢هـ)، ج٤، ق١، ص٢٨؛ الرازي، كتاب الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٩٠؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج١، ص٥٢٠؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج١ ص٧١٠؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٧، ص٤٠٦؛ الياسين، عبد العزيز بن مساعد، أعلام بجيلة وخثعم.. وسير بعض الصحابة البجليين، (الكويت، مكتبة دار العروبة، ٢٠٠٨م)، ص٣٠.

(٥١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٤٧.

(٥٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٥٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٧.

(٥٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥١.

(٥٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥١.

(٥٦) يُنظر عنه: الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (النجف الأشرف، مؤسَّسة الإمام الخوئي الإسلامية، د.ت.)، ج١٢، ص١٦٩-١٧٠.

(٥٧) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٥١.

(٥٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٠-٣٤١.

(٥٩) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥١.

(٦٠) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٣.

(٦١) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٣.

(٦٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٣.

(٦٣) كذلك فقد وقف ابن كثير طويلاً على النصائح التي أبداها عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما؛ إلى درجةِ أنَّه أورد روايةً عن سفيان بن عيينة عن ابن عباس نفسهِ، قال وهو يحثّه على عدم الخروج: «لولا أن يزرى ذلك بي وبك لنشبت يدي في رأسك... ولكن لا أخال ذلك مانعك». ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٥٦٠-٥٦١.

(٦٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٦.

(٦٥) القادسية: القادس: السفينة العظيمة. طولها تسع وستون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثُلثا درجةٍ، ساعات النهار بها أربع عشرة ساعة وثُلثان،

وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً(*) وبينها وبين العُذيب أربعة أميال. روى ابن عيينة، قال: مرَّ إبراهيم عليه السلام بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه، فقال: قُدِّست من أرضٍ، فسُمِّيت القادسية. وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطَّاب في سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (طهران، مكتبة الأسدي، ١٩٦٥م)، ج٤، ص٧-٩.

(*)الفرسخ: سُمِّي بذلك لأنَّ صاحبه إذا مشى واستراح بعد ذلك كأنَّه سكن. والفرسخ ثلاثة أميال هاشمية، أي ما يُعادل ١٩٢٥×٣=٥٧٧٥ متراً (أي ٥، ٧٧٥ كيلومترا). وذكر أيضاً أنَّ الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المُرسلة، ويكون بذراع المساحة وهي الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع، وهو مائة وخمسون أشلاً، فيكون الفرسخ ١٢٠٠٠×٤٨، ١١٥سم (الذراع المُرسلة) ويساوي ٥٧٧٤ متراً. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر: الجليلي، محمود، المكاييل والأوزان والنقود العربية، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٥م)، ص٥٢-٥٣.

(٦٦)الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٩٥-٣٩٦.

(٦٧)ينقل خليفة بن خياط عن وهب بن جرير قول عبد الله بن الزبير للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب: «ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك، فوالله لو أنَّ لي مثلهم لذهبت إليهم». أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (الرياض، دار طيبة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٢٣٣.

(٦٨)إنَّ مما يستحق ذكره، هو الدراسة الرصينة التي قدمتها الدكتورة وجدان فريق عناد العارضي المعنونة بـ: (إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية (٨-١٣٢هـ/ ٦٢٩-٧٥٠م)، والتي مثلت رسالتها لشهادة الماجستير. على الرغم من أنَّ هذهِ الدراسة لم يكن اهتمامها منصباً على دراسةٍ تحليليةٍ لنهضة الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام والطريق الذي قطعه من مكَّة المكرمة متوجهاً إلى العراق.

(٦٩)الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٤٧.

(٧٠)المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٦.

(٧١)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٥٤٧-٥٤٨.

(٧٢)هو: الحر بن يزيد بن ناجية بن سعيد التميمي اليربوعي. قائد، من أشراف تميم. أرسله الحصين بن نمير التميمي في ألف فارسٍ من القادسية، لاعتراض الإمام الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في قصدهِ الكوفة، فالتقى بهِ. ولما أقبلت خيل الكوفة، تريد قتل الحُسين وأصحابهِ، أبى الحر أن يكون فيهم، فانصرف إلى الحُسين، فقاتل بين يديهِ قتالاً عجيباً حتَّى قُتل عليه السلام. يُنظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٠٠ وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٥٦٨ وما بعدها؛ القمِّي، عباس بن مُحَمَّد رضا بن أبي القاسم (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، سفينة البحار ومدينة الحِكم والآثار، ط٢، (طهران، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص١٤٦-١٤٧.

(٧٣)المطهري، مرتضى، الملحمة الحُسينية، ط٣، (قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٣، ص٢٣٥-٢٣٦.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد ابن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

(١) الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)

- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء مُحَمَّد (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)

- البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

(٤) التاريخ الكبير، (حيدر آباد - الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٢هـ)

- ابن حبان، أبو حاتم مُحَمَّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)

(٥) كتاب الثقات، (حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)

- ابن حبيب، أبو جعفر مُحَمَّد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)

(٦) كتاب المَحبَر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.)

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن علي الكناني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

(٧) الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)

(٨) تقريب التهذيب، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، (الرياض، دار العاصمة، د.ت.)

(٩) تهذيب التهذيب، (حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)

(١٠) لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، (بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)

(١١) تاريخ بغداد أو (تاريخ مدينة السلام)، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد الحضرمي الأشبيلي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

(١٢) تاريخ ابن خلدون المُسمَّى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)

- ابن خلِّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

(١٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)

- خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط شبَّاب بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)

(١٤) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (الرياض، دار طيبة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)

(١٥) كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (بغداد، جامعة بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)

- الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

(١٦) سِيَر أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، (بيروت، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)

(١٧) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستَّة، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، (جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

(١٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)

- الرازي، أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٩م)

(١٩) كتاب الجرح والتعديل، (حيدر آباد - الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)

- الزبيدي، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن الأندلسي (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)

(٢٠) طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣م)

- ابن سعد، مُحَمَّد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)

(٢١) كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)

- ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

(٢٢) فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، د.ت.)

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الدمشقي الشافعي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

(٢٣) نَكت الهميان في نُكت العميان، تحقيق: أحمد زكي بك، (القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)

(٢٤) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)

- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن مُحَمَّد الحُسيني (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)

(٢٥) اللهوف في قتلى الطفوف، (بيروت، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)

- الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

(٢٦) تاريخ الرُسُل والملوك، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، (القاهرة، دار المعارف، د.ت.)

- الطوسي، أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)

(٢٧) رجال الكشِّي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، (قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧هـ)

(٢٨) الفهرست، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، (قم، منشورات الشريف الرضي، د.ت.)

- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي (ت٣٥١هـ/ ٩٦٢م)

(٢٩) مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، د.ت.)

- ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)

(٣٠) الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: مازن بن محمد السرساوي، (الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، د.ت.)

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد ابن مُحَمَّد العكري الدمشقي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

(٣١) شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)

- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحُسين بن مُحَمَّد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)

(٣٢) كتاب الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٥، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

(٣٣) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط١١، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)

- أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي (ت١٥٨هـ/ ٧٧٥م)

(٣٤) وقعة الطَّف، (قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٧هـ.ش.)

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

(٣٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمة الحلبي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)

- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

(٣٦) رجال النجاشي، ط٦، (قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤١٨هـ)

- ابن النديم، أبو الفرج مُحَمَّد بن أبي يعقوب إسحاق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

(٣٧) الفِهرست، تحقيق: يوسف علي طويل، ط٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م)

- اليافعي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)

(٣٨) مرآة الجنان وعِبرَة اليقظان، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

(٣٩) معجم الأدباء.. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)

(٤٠) معجم البلدان، (طهران، مكتبة الأسدي، ١٩٦٥م)

ثانياً: المراجع العربية والمُعربة

- آغا بزرك الطهراني، مُحَمَّد محسن بن علي بن مُحَمَّد رضا النجفي (ت١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، (بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)

- بدوي، عبد الرحمن

(٢) موسوعة المستشرقين، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)

- الجليلي، محمود

(٣) المكاييل والأوزان والنقود العربية، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٥م)

- الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

(٤) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (النجف الأشرف، مؤسَّسة الإمام الخوئي الإسلامية، د.ت.)

- الزركلي، خير الدين

(٥) الأعلام، ط١٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)

- السلمي، محمد بن صامل

(٦) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، (الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ)

- شمس الدين، محمد مهدي

(٧) أنصار الحُسين عليه السلام، ط٢، (قم، الدار الإسلامية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)

- العقيقي، نجيب

(٨) المستشرقون، ط٥، (بيروت، دار المعارف، ٢٠٠٦م)

- فخر الدين، محمد جواد نور الدين

(٩) «حميد بن مُسلم الأزدي ومروياتهِ التاريخية.. قراءة نقدية»، مجلَّة حولية المنتدى، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، النجف الأشرف، ٢٠١٢م، ع٩-١٠

- فلهاوزن، يوليوس

(١٠) تاريخ الدولة العربية.. من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م)

- القائني، مُحَمَّد باقر البيرجندي

(١١) الكبريت الأحمر في شروط المنبر، (بيروت، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)

- القمِّي، عباس بن مُحَمَّد رضا بن أبي القاسم (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)

(١٢) سفينة البحار ومدينة الحِكم والآثار، ط٢، (طهران، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ)

- كحالة، عمر رضا

(١٣) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، (بيروت، مؤسَّسة الرسالة، د.ت.)

- المطهري، مرتضى

(١٤) الملحمة الحُسينية، ط٣، (قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

- المنجد، صلاح الدين

(١٥) المستشرقون الألمان، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م)

– ناجي، عبد الجبار

(١٦) التشيع والاستشراق، (بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١١م)

– الياسين، عبد العزيز بن مساعد

(١٧) أعلام بجيلة وخثعم.. وسير بعض الصحابة البجليين، (الكويت، مكتبة دار العروبة، ٢٠٠٨م)

– اليحيى، يحيى بن إبراهيم بن علي

(١٨) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري.. عصر الخلافة الراشدة دراسة نقدية، (الرياض، دار العاصمة، د.ت.)

ثالثاً: المراجع الأجنبية (Foreign References)

- Dugat, Gustave

(١) **Histoire des orientalistes de l'Europe, Paris: Maisonneuve et G^ie, Laibraires Éditeurs, 1870.**

- Howard, I. K. A.

(٢) **Events and Circunstances Surrounding the Martyrdom of Al-Husain Ibn Ali, London: CreateSpace Independent Publishing Platform, 2014.**

- R. B. Serjeant

(٣) **Ursula Sezgin: Abū Miḥnaf: ein Beitrag zur Historiographie der umaiyadischen Zeit. (xi, 251pp. Leiden: E. J. Brill, 1971. Guilders 68). Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol.38, Issue01-February 1975.**

- Robinson, Chase F.

(٤) **Empire and Elites after the Muslim Conquest: The Transformation of Northern Mesopotamia, (Cambridge Studies in Islamic Civilization), Cambridge: Cambridge University Press, 2006.**

- Sezgin, Ursula

(٥) **Abu Mikhnaf: ein Beitrag zur Historiographie der umaiyadischen Zeit, Leiden: Brill, 1971.**

- Wüstenfeld, Ferdinand

(٦) **Der Tod des Ĥusein ben 'Ali und die Rache.. Ein historischer Roman aus dem Arabischen, in: Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, Histrorisch-Philologische Classe 30 (1883).**

واقعة كربلاء عام ١٨٤٢

(دراسة تاريخية)

الاستاذ الدكتور

كريم مطر حمزة الزبيدي

كلية التربية - جامعة بابل

مدرس مساعد

فاطمه حسين فاضل المفرجي

كلية التربية - جامعة بابل

The Battle of Karbala in 1842

A Historic Study

Fatima Hussein F. Al-Mufriji
College of Education - University of Babylon

Prof. Dr. Kareem Muttar H. Al-Zubeidy
College of Education - University of Babylon

Abstract

The study of the history of local cities has a great significance through which we can know the detailed history of the country as a whole. The researchers who are concerned with this field should explain all the social, economic and political developments that took place in these cities. We cannot, for example, understand the history of Iraq unless we study the history of each of its cities. The holy city of Karbala is one of the important cities of Iraq and its history, especially during the Ottoman era, is the focus of this study with reference to all the related issues.

The battle of Karbala which took place in 1842 lasted long and witnessed severe incidents because of the horror and brutality that have been used by the government of Baghdad against the residents of Karbala.Ali Ridha Al-Ladh who was the ruler at that time and his army attacked the city, killed many people and looted a lot of things especially the treasure which belong to the holy shrines of Imam Al-Hussein and his brother Imam Al-Abbas (peace be upon them). They also impose their tough rules and exterminated all the opposition movements.

This study sheds light on the reasons and sequences of this battle by reviewing the related resources. It is concluded that the policy of violence followed by the Ottoman state had resulted in a sense of hatred on the part of the people of the urban and rural areas especially in the central and southern Iraq since the government policy was based on sectarianism.

The reign of Ali Ridha Al-Ladh is characterized harsh and unjust which made the Iraqi people look forward to following Mohammed Ali Pasha in order to establish a modern Arabian state which includes Egypt, Ihsaa and the Arabian peninsula as well as to get rid of the rule of Al-Ladh. This situation made Ali Ridha lose the ability to face challenges and led the Britons to reinforce their support to the Ottoman state in order to protect their strategic interests in Iraq.

The reader of the events of 1842 can conclude that the Arabs had hated the Ottomans in general and can notice how sectarian their policy in Iraq was which consequently resulted in many uprisings, complaining and confrontations with the Ottoman army.

الملخص

تكتسب دراسة تأريخ المدن المحلية أهمية كبيرة، لأن في ضوء ذلك يتمّ معرفة التاريخ العام للبلد بصورة تفصيلية، وعلى الباحثين المختصّين بدراسة تاريخ المدن المحلية أن تكون دراستهم شمولية بدءاً بتطوراتها الاجتماعية ومن ثم الاقتصادية والسياسية، لذا فتاريخ العراق العام لا يمكن قراءته بصورة دقيقة دون دراسة التطوّرات العامة في مدنه، ومن هذا المنطلق بدأت الدراسات التاريخية الأكاديمية تبحث عن المدن العراقية.

مدينة كربلاء المقدّسة من المدن المهمة في العراق، ودراسة تاريخها من مختلف جوانبه مسؤولية المؤرّخين لكشف النقاب عنه، لاسيما في العهد العثماني لعدم تغطيته بصورة تفصيلية من لدن الباحثين. وفي هذه الدراسة سلّطنا الضوء على واقعة كربلاء لعام ١٨٤٢، التي كانت لها أصداء محلية ودولية كبيرة استمرت لسنوات عدة نظراً لهولها والوحشية التي استُخدمت فيها من قبل حكومة بغداد في التعامل مع سكان مدينة كربلاء المقدسة.

استطاعت جيوش علي رضا اللاظ أن تدخل المدينة المقدّسة وتفعل بها كلّ المنكرات من قتل وهتك اعراض ونهب وسلب، وهتك حرمة الضريحين الطّاهرين للإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، وبذلك فرضت ارادتها وسيطرتها بالقّوة وانتهت المعارضة الكربلائية لحكومة بغداد العثمانية. في هذه الدراسة سلطنا الضوء على هذه الواقعة المؤلمة، أسبابها ونتائجها، معتمدين على مجموعة من المصادر التي ذكرت أحداث كربلاء لعام ١٨٤٢م. ويبدو واضحاً أن سياسة البطش التي انتهجتها الدولة العثمانية أثارت الكراهية لها من أهالي المدن والأرياف، خاصة في وسط وجنوب العراق. لأن هذه السياسة كانت قائمة على الطائفية.

اتسم عهد علي رضا باشا اللاظ بالحكم القاسي فقد لاقى العراقيون من سياسته التي اتبعها معهم من الظلم، إذ جعلهم يميلون إلى جانب محمد علي باشا المتطلّع إلى بناء دولة عربية حديثة تضمّ مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية، فضلاً عن رغبتهم بالتخلّص من قسوة حكم اللاظ، وأمام الموقف العراقي المساند للوالي محمد علي باشا الذي تمكّن من إخضاع الإحساء والقضاء على الدولة السعودية الثانية، وعدم قدرة علي رضا باشا اللاظ من المواجهة، تقدّمت بريطانيا لمساعدة الدولة العثمانية وحماية لمصالحها في الشرق، وإبعاد الحرب عن العراق في وقت كانت العشائر العربية تسعى للتخلّص من ظلم الحكم العثماني.

إن القارئ لأحداث كربلاء في عام ١٨٤٢م يتوصّل إلى نتيجة دقيقة تتمثّل في كراهية العرب للعثمانيين بصورة عامة، كما يتوصّل إلى السياسة الطائفية التي اتبعتها حكومة اسطنبول في العراق، وكانت النتيجة التذمر والانتفاضات والمجابهة كثيراً مع الجيوش العثمانية.

الأوضاع العامة في العراق قبيل واقعة كربلاء

المحور الأول:

العراق في عهد الوالي علي رضا باشا اللاظ ١٨٣١ـ ١٨٤٢

التمهيد

في سنة ١٨٣١م تقدَّم علي رضا اللاظ بجيشه نحو بغداد، وكانت ظروف بغداد والمناطق المجاورة لها صعبة، فالطّاعون الذي تفشّى في بلاد فارس اتجه نحوها ولم تلبث أن تحوّلت إلى واحدة من البؤر الملتهبة لهذا الموت الأسود، وتضاعفت الوفيات ولم يسلم حتى قصر الباشا داوود[١] من المرض، كما فتك المرض بالقوّة العسكرية الكبيرة التي أعدّها واستند عليها في مواجهة السلطان العثماني بعد رفضه تسليم أموال الولاية إلى الباب العالي، والتي لم يبق منها سوى أربعة جنود فقط من عدد ألف جندي، ولم يبق من فرقة الخيّالة إلّا واحد، فضلاً عن موت خدم القصر إلا السائس[٢]، ولكي تتمّ المأساة فاض نهر دجلة نهاية (نيسان ١٨٣١) م، وحطَّم السِّداد وتسرَّبت المياه إلى بغداد ولم تنحسر إلا في أيار وكان المرض قد أوقف أيضاً، وخلال هذه المدّة ظلّ علي رضا باشا اللاظ مع جيشه على مشارف بغداد ينتظر انتهاء الموت ولم يتحرّك إلّا بعد انتهائه تماماً في بغداد[٣]، فدخلها في ظرف سياسي داخلي صعب، وعلاقات سياسية خارجية متشابكة فكان عليه تدبير الأموال اللازمة لسدّ مصاريف الولاية والإيفاء بالتزاماتها المادية تجاه خزينة استانبول في وقت كانت الولاية ما زالت لم تتعاف من آثار الأوبئة والكوارث الطبيعية، فدفعته حاجته للأموال لا سيما بعد فشله في الوصول إلى خزائن الوالي المملوكي داوود باشا، أن فسح المجال لموظفيه في الحصول على الأموال، فأثقلوا كاهل الشعب بالضرائب حتى رغب الشعب وتمنى العودة إلى أيام المماليك باعتبارهم أرحم من العهد الجديد.

وكان الوالي علي رضا باشا اللاظ قد تسنم بأمر من السلطان العثماني باشوية بغداد ومعها البصرة وشهر زور فضلاً عن باشوية حلب في (٢٧أيلول ١٨٣١م)، مهمّته القضاء على حكم المماليك (١٧٤٩- ١٨٣١)، وإعادة الحكم المركزي العثماني على العراق الذي دعا إليه السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩) م، في وقت كانت بغداد ما زالت تُعاني من كارثتي الطاعون والفيضان فيذكر الرّحالة فريزر الذي زار بغداد في عام ١٨٣٤م، بانخفاض سكّان بغداد إلى (٥٠,٠٠٠) خمسين آلف نسمةبعد ما كانوا (١٥٠,٠٠٠) مائه وخمسين آلف نسمة، إذ مات أغلبهم من وباء الطاعون[٤] والفيضان، فضلاً عن وجود قوة مؤيّدة للمماليك فدشّن علي رضا باشا اللاظ حكم العراق بتدبير مؤامرة تشبه عملية محمد علي باشا في إنهائه للمماليك في مصر والتي تعلّمها من السلطان محمود الثاني حينما قضى على الإنكشارية[٥] في عملية دُبرت عام ١٨٢٦م، فدعا علي رضا باشا اللاظ المماليك إلى اجتماع لسماع

الفرمان السلطاني، وما إن أكمل القراءة حتى أمر جماعته بقتل المماليك الحاضرين، فقتل منهم جمعاً كثيراً[٦]. ويصف لونكريك علي رضا باشا اللاظ بأنه أبدى خلال ولايته على العراق شيئاً من حرية الفكر وراء إعتداله، وكان يتلاءم مع دعاة التقدّم من الأجانب، لأنه كان خلوّاً من التعصّب والاندفاع بالكلية فضلاً عن أخلاقه وحُبّه لعمل الخير، إضافة إلى ميوله الأدبية والعلمية، إلّا أنه كان حاكماً فاشلاً حقّاً فكانت خطّته في حكم القبائل أن يحرك قبيلة على أخرى[٧]، ولم يحظ بالقبول ومن الحوادث التي جرت في عهده ورافضة لحكمه انتفاضة المفتي عام ١٨٣٢م.

انتفاضة عبد الغني جميل[٨] مفتي بغداد

نتيجة لقسوة والي بغداد علي رضا باشا اللاظ، وقسوة رجاله المفرطة في تجريد الناس من ممتلكاتهم، فقد صودرت ممتلكات من كانت لهم علاقة وارتباط بالوالي المملوكي السّابق داوود باشا فاستخدم الجباة القسوة ضدّ النساء من أجل إخراج ما يُخبّئه أزواجهن من الأموال، فضلاً عن مقت الناس من ارتداء علي رضا باشا اللاظ الزى الغربي الذي أغاظ الأهالي وسعرت قلوبهم النار، حتى جاءت حادثة أرملة رضوان أغا، ففجّرت هذه النار بعد أن التجأت إلى بيت المفتي عبد الغني جميل[٩]، ويذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف عن هذه الانتفاضة من خلال حصوله على وثائق رسمية في دار الوثائق القومية في القاهرة، فإذا بها انتفاضة لها جوانب سياسية وعسكرية عميقة وقد توافق قيام هذه الانتفاضة في بغداد بعد نحو عام واحد من دخول الجيش المصري بلاد الشام وانحياز معظم مدن العراق الغربية إلى القيادة المصرية في الشام، وهذه الوثائق الرسمية كان يرسلها رجال المخابرات المصرية إلى قياداتها، ففي تقرير لها من بغداد إلى حلب تاريخه (٣ أيلول ١٨٣٢) م، يحكي التقرير عن هجوم أهل حي الشيخ عبد القادر، ومحلّة قنبر علي ضد الوالي علي رضا باشا اللاظ فواجه الوالي الانتفاضة بالقسوة ويستمر التقرير ليقرّ بأن نصف أهل بغداد مخلصون للباشا والنصف الآخر أعداء له لا سيما نواحي الفرات الأوسط المناوئ للسلطة العثمانية والذي كان ينتظر الدعم المصري للتخلّص من الحكم العثماني[١٠]، فيقول: (إن كلّ البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون لقدوم العساكر المصرية المنصورة)[١١]، وتشير الوثيقة إلى أن الانتفاضة امتدّت إلى مناطق هيت وعانة غربي العراق.

كان من أسباب انتشار الانتفاضة انتهاك جند الوالي حرمة بيت المفتي عبد الغني جميل بحثا عن المرأة، وبعد يأس المفتي من تغيير سياسة الوالي تجاه أهالي بغداد تمّ القبض عليه بتهمة تحريض الأهالي على الثورة والتمّرد على السلطان، فكانت هذه الحادثة الثانية التي سببت الانتفاضة التي جوبهت بقسوة لا متناهية من قبل الوالي علي رضا باشا اللاظ الذي استخدم المدفعية لضرب محلّة قنبر علي التي يسكن فيها المفتي، فدمرت أغلب بيوتها لا سيما بيت المفتي عبد الغني جميل، واحترقت

مكتبته التي تضمّ أكثر من سبعة الآف كتاب[١٢]، فاضطر المفتي إلى الهرب إلى عشيرة عقيل ثم إلى عانة وبقى فيها عاماً كاملاً ثم عاد إلى بغداد، وانتهت الانتفاضة جرّاء القسوة والشدّة وتوجيه الأسلحة كافه بغداد من قبل علي رضا باشا اللاظ فقضى بها على الانتفاضة[١٣]. وكان لانتفاضة عبد الغني جميل الأثر الكبير في السّاحة العراقية فقد حدثت عام ١٨٣٣م، انتفاضة عبد العزيز متسلم البصرة السابق، والتي قضي عليها من قبل علي رضا باشا اللاظ، وكان من المحبطات للانتفاضات الرافضة للتسلّط العثماني وفي الوقت نفسه من المحفّزات ضدّه هي معاودة وباء الطاعون كلّ عام على العراق وحصاده للسكان سنوياً خلال عهد اللاظ، ولم تتعلّم السلطات العثمانية من تجارب الوباء طرق المكافحة له والتخلص منه من خلال الحجر الصحّي للمرضى، فظل يحصد الأرواح بين الحين والحين فكانت ولاية علي رضا باشا اللاظ لا تفرق عن سابقاتها من الولاة ولا من الولاة اللاحقين ظلماً وإهمالاً وقسوة وهذه صفة اتصف بها العهد العثماني[١٤].

تميزّت مدّة حكم علي رضا باشا اللاظ بالفوضى بين العشائر العربية[١٥]، لا سيما عشائر شمَّر وعنزة فكان النزاع بينهما عام ١٨٣٤م، وبعد انتهاء النزاع بين العشيرتين أصبحت المناطق المحيطة ببغداد في حالة من الفوضى وفقدان الأمن لا تطاق، فقد سيطرت عشيرة عنزة على القرى والطرق وأخذ القرويون يتركون قراهم ويلجأون إلى داخل أسوار بغداد للاحتماء بها، مما أربك الأحوال في داخل بغداد فكثر النهب والقتل والسرقة[١٦].

أما في الموصل فقد رجع إلى حكم الولاية نتيجة انتفاضة المفتي عبد الغني جميل والاضطرابات في العراق بسبب يحيى باشا أجليلي بمساعدة القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا[١٧]، فضلاً عن مساندة عشائر شمّر الجربا والعبيد الذين حشدهم لإنهاء ولاية علي رضا باشا في بغداد وتمكّن يحيى باشا بمساعدة عشائر شمَّر الجربا والمصريين على محاصرة بغداد وتهديد علي رضا باشا، فما كان من والي بغداد إلّا أن أثار الفتنة بين عشائر عنزة وشمر الجربا ليشغلهم عن الهجوم تجاه بغداد فاضطر يحيى باشا أجليلي الانسحاب وفكّ الحصار عن بغداد، وبهذا انتهت خطّة فتح بغداد التي خطّط لها يحيى باشا الجليلي وشيخ شمر الجربا صفوق، وأصدر علي رضا باشا اللاظ بيانا نحّى فيه يحيى باشا الجليلي وعزله عن حكم ولاية الموصل، ونصب سعيد آل ياسين بدلاً عنه، وأمر محمد إينجه بير قدار[١٨]، بالسيطرة على ولاية الموصل بعد أن عيّنه والياً على شهرزور، وبعد فشل سعيد آل ياسين في ضبط أحوال الموصل عزله والي بغداد وعين محمد اينجة بير قدار بدلاً عنه وأظهر الأخير كفاءة عالية في القضاء على الحركات الانفصالية التي ولّدها ضعف الوالي السّابق، فضلاً عن إصلاحاته الواسعة في الموصل[١٩].

في وقت كان النفوذ البريطاني في العراق قد أخذ شأنا كبيراً، فقد فسح له المجال منذ العهد المملوكي واستمرّت امتيازاته في العراق والتي حصل عليها من السلطان العثماني محمود الثاني، وكان الهدف

من هذه الامتيازات لجم جماح والي مصر الثائر على السلطان محمد علي باشا، من جانبه علي رضا باشا اللاظ أصدر أوامره في (شباط ١٨٣٥م) إلى مختلف المسؤولين مساعدة بعثة جسني في إنجاز مهمتها كلٌ ضمن دائرة اختصاصه، من أجل تسيير باخرتين لاختبار صلاحية نهر الفرات للملاحة، وهو ترسّخ النفوذ البريطاني في العراق خلال عهد علي رضا باشا اللاظ[٢٠].

اتسم عهد علي رضا باشا اللاظ بالحكم القاسي فقد لاقى العراقيون من سياسته التي اتبعها معهم من الظلم، إذ جعلهم يميلون إلى جانب محمد علي باشا المتطلّع إلى بناء دولة عربية حديثة تضمّ مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية، فضلاً عن رغبتهم بالتخلّص من قسوة حكم اللاظ، وأمام الموقف العراقي المساند للوالي محمد علي باشا الذي تمكّن من إخضاع الإحساء والقضاء على الدولة السعودية الثانية، وعدم قدرة علي رضا باشا اللاظ من المواجهة، تقدمت بريطانيا لمساعدة الدولة العثمانية وحماية لمصالحها في الشرق، وإبعاد الحرب عن العراق في وقت كانت العشائر العربية تسعى للتخلّص من ظلم الحكم العثماني[٢١].

عمل علي رضا باشا اللاظ على كسب ودّ القيادات العربية ومنها مفتي بغداد أبي الثناء الآلوسي[٢٢]، فطلب منه أن يكتب إلى محمد بن عون شريف مكة يطلب منه تجديد ولائه للسلطان العثماني، من جانبه الأمير فيصل بن تركي كان موقفه متذبذباً، فمرّة يميل إلى الجانب العثماني ومرة إلى الجانب المصري، ومرّة يعود مؤيداً لباشا بغداد، في حين أن قوّة محمّد علي كانت فائقة فقد أرسل قواته بقيادة خورشيد باشا التي قضت على الدولة السعودية الثانية، وطلبت الإذن من محمد علي باشا بالسيطرة على بغداد، لذا عيَّن السلطان العثماني محمد اينجة بير قدار بدفع منوالي بغداد اللاظ ليكون والياً على حلب، فكان بير قدار سدّاً منيعاً ضدّ القوات المصرية، فضلاً عن أن محمد علي باشا لم يكن يريد التدخّل في العراق خوفاً من النفوذ البريطاني فيه[٢٣].

وفي نيسان من عام ١٨٤٢م، نقل علي رضا باشا اللاظ إلى الشام وحلّ محلّه في ولاية بغداد محمد نجيب باشا[٢٤] وكان والياً على الشام فوصل بغداد في شهر أيلول من العام نفسه[٢٥]. ومن أشهر الأحداث التي مرّت في ولاية محمد نجيب باشا والتي جوبهت بقسوة شديدة هي واقعة كربلاء ١٨٤٢م.

المحور الثاني:

أسباب واقعة[٢٦] كربلاء ١٨٤٢م

مما تميّزت به عشائر الفرات الأوسط، ومنطقة جنوب العراق بصورة عامة، كرهها للحكم العثماني وعدم الانصياع إليه، وكانت مدينة كربلاء إحدى أهم مناطق العراق مع النجف الأشرف رفضاً للوجود العثماني والحكم المركزي في العراق، وكانتا مؤيدتين للفقهاء والعلماء الذين لهم المكانة والأهمية الكبيرة للشيعة بصورة عامة ولأهل كربلاء بصورة خاصة، فللمراجع الكلمة

النافذة تجاه أهالي كربلاء بل والشيعة على العموم، وكان أهالي كربلاء يدفعون الضريبة للسلطات العثمانية باستمرار حالهم حال الولايات التابعة للدولة العثمانية في العراق، ونتيجة للاستقلالية التي شعر بها أهالي كربلاء فقد أمتنع سكّانها عن دفع الضرائب في عهد الوالي علي رضا باشا اللاظ، بل منع الوالي نفسه من الدخول إلى مدينة كربلاء كزائر، وذلك لمنحه موظّفيه صلاحيات واسعة في تطبيق المركزية العثمانية في العراق، فعمل على توطين العشائر العربية في الفرات الأوسط بطريقة قسرية خلال الستينات من القرن التاسع عشر، فشهدت المنطقة اهتماماً، ووسط هذه الأحداث تمّ اختيار وتنصيب (سعيد عبد الوهاب)، الذي ينتسب إلى عائلة ذات مكانة متميّزة في بغداد، وتمّت الموافقة على تنصيبه والياً على كربلاء[٢٧].

عانت المدن العراقية من سياسة الولاة العثمانيين المستبدين فقد عرف عنهم الاستبداد وعدم التردّد في القتل والانتهاك من أجل الحفاظ على وجودهم كوالي للمدينة، مما ولّد لدى الأهالي تذمراً وازدراء من سياستهم، كما وعانت المدن من الانقسامات والصراعات الداخلية مدّة من الزمن، فكان أبرزها ما حدث في النجف عام ١٨١٥م، عندما انقسمت المدينة إلى معسكرين(الزكرت) و(الشمرت)، واستمر الصراع حتى قيام الحكم الوطني ١٩٢١م[٢٨]، ومنذ عودة الحكم المباشر إلى العراق كان أهالي كربلاء يقاومون أي والٍ عثماني يعيّنه باشا بغداد، وكان حكم المتغلّب لرجال الشيعة في (النجف وكربلاء)، ووصفتا بأنهما كانتا شبه جمهورية، وفي الثلاثينيات من القرن التاسع عشر اضطربت أحوال كربلاء بعد أن زاد عدد الفارين فيها وأصبحت ملجأ للخارجين عن القانون الذين أطلق عليهم اسم (اليارماز)[٢٩]، أي السفهاء[٣٠] فأصبحت عاصية على وزراء بغداد وكان في كربلاء السيد إبراهيم الزعفراني المختلف حول أصله فقد ذكره لوريمر بأنه فارسي مستعرب، بينما ذكره العزاوي بأنه من زعماء الشيخية ترأس على أوباش كربلاء والسفهاء فيها وأطاعه الأراذل المفسدون فتميّزوا بالعصيان من أيام المماليك وكلّ فاسد في العراق يتّجه إلى كربلاء فتمّ عددهم ما قدر بعشرة ألاف مقاتل لذا خاف منهم أهالي كربلاء وحتى حاكم المدينة كان ينصاع إلى أوامرهم[٣١].

في الوقت الذي امتنعت كربلاء فيه عن دفع الضرائب إلى استانبول في عهد ولاية نجيب باشا (١٨٤٢-١٨٤٩م)، المعروف بقسوة إدارته الضريبية والطَّمع الذي وجه موظفي حكومته في عرض العراق وطوله، هدفهم الوحيد جمع المال[٣٢].

فقد خلف نجيب باشا اللاظ في ولاية بغداد وكان والياً على الشّام له المهارة الكافية في ضبط الإدارة وتمشية الأمور فهو من الوزراء الذين اختارتهم الدولة للمهمة، مآثره لا تنكر بلغ في أيامه في ولاية بغداد الظلم والتعسف بالأهالي حّداً فائقاً، كانت أفكاره بالية فلم ينفع بها الدولة ولم ينفع بها الأمة فقد تمسَّك بالطريقة القادرية تمسكاً قوياً صدّه عن النظر في أمور الدولة ومال بكليَّته إلى نقيب الأشراف السيد علي الكيلاني[٣٣].

المحور الثالث:

مجريات الواقعة

بعد أن عرف نجيب باشا امتناع أهالي كربلاء عن دفع الضرائب وعدم تمكّن الولاة السّابقين من القضاء على عصيان (اليارماز)، عزم على أن يعمل ما عجز عنه الولاة السابقون وهو القضاء على السفهاء العاصين من (اليارماز)، وكانت أولى أعماله إرسال إنذار إلى رؤساء الحركة ينذرهم بوجوب الطَّاعة والخضوع وتسليم السلاح خلال شهر واحد ولما لم يستجب الرؤساء إلى إنذاره، قرّر تجهيز جيش بقيادة سعد الله باشا وإرساله إلى كربلاء وعدم الاهتمام بقدسية هذه المدينة، فتوجّه الجيش وحال وصوله إلى أطراف المدينة حاصرت القوات المدينة ثلاثة وعشرين يوماً[٣٤]، وكان رؤساء الحركة قد استعدّوا للمواجهة ومنهم، إبراهيم الزعفراني وطعمه العبد رئيس قبيلة بني سعد، وعلي كشش، والسيد صالح الداماد، ورئيس آل نصر الله، وقد تزعَّمهم السيد عبد الوهاب آل طعمه حاكم كربلاء وكليدار الحرمين الشريفين، وأصرّوا على المواجهة[٣٥].

ومن الجدير بالذكر أن أهالي كربلاء منقسمون إلى قسمين جرّاء الصراع العقائدي بين الشيخيّين وخصومهم فأتخذ نجيب باشا هذه الثغرة ليزيد فجوة الخلاف والشقاق بين الأهالي فأرسل إلى كاظم الرشتي يدعوه لحقن الدماء فاستجاب له وعمل على حثّ الناس على فتح الأبواب للقوات العثمانية فكان هذا سبباً لزيادة الانقسام والشّقاق بين الأهالي[٣٦]، من جانبه سعد باشا كان قد نفّذ أوامر باشا بغداد بفرض حصار شديد على كربلاء ومن ثم قام بقصفها بالعديد من القنابل لإرهاب وتخويف أهلها بعد أن قاوموا مقاومة عنيدة ورفضوا فتح أبواب كربلاء والتسليم للجيش العثماني، وعملوا على تقوية أسوار كربلاء كما واضطرَّهم الوضع الراهن على التعاون مع جماعة (اليارماز) الذين يتزعّمهم السيد إبراهيم الزعفراني، تميّزت هذه الجماعة بالقسوة الشديدة وفرضوا سيطرتهم على كربلاء لقسوتهم[٣٧]، منذ عهد الوالي داوود باشا ولما جاء الوالي علي رضا باشا اللاظ حاول إخضاعهم غير أن الفقهاء دفعوا إلى اللاظ سبعين ألف قران وترك كربلاء وشأنها[٣٨]، ولم يكن علماء وأهالي كربلاء راضين على جماعة (اليارماز)، إلّا أن أوضاع الحصار أجبرتهم على التعاون معهم لدرء الخطر عن المدينة خلال الحصار الذي أمر به الباشا[٣٩].

وكان نجيب باشا قد عسكر في المسبب القريبة من كربلاء ثم أخذ بالاتصال بالقنصل البريطاني والقنصل الفرنسي، وبالوكيل القاجاري من بلاد فارس وبعض الشخصيات القاجارية الساكنين في كربلاء فطلب منهم تسوية الأزمة، أراد بذلك إخلاء المسؤولية عن نفسه لما سيحدث في المدينة المقدّسة إلّا أن الإصرار على المواجهة غلب على اتخاذ الإجراء السليم[٤٠].

عرف عن نجيب باشا كرهه للشيعة بشكل كبير إلى حدّ وضعهم موضع الكفرة والغرباء،

وكانت معاملته معهم قاسية لما يضمر لهم من العداء والضغينة[٤١]، لذلك دارت معارك طاحنة بين القوات العثمانية وبين أهالي كربلاء عام ١٨٤٢م، وحاول أبناء كربلاء التفاوض مع السلطات العثمانية فأرسل السيد عبد الوهاب آل طعمه، كاظم ألرشتي (مؤسّس عقائد الشيخية)، وعلي شاه القاجاري (أحد أبناء فتح علي شاه كان يقيم في كربلاء)، لإقناع قائد الحملة بالانسحاب والكف عن إرعاب الأهالي، إلّا أن المحاولة فشلت لوصول إنذار نجيب باشا بضرب المدينة وعلى أثر ضربها فتح الأهالي النار على الجند ففر سعد باشا مع جنده، مما دعا نجيب باشا إلى استخدام المدافع[٤٢]، وتمّ استدعاء قوّات إضافية وأعد نجيب باشا خطّة الهجوم بعد أن أعدّ قوة كافية تتكوّن من كتيبة الفرسان وعشرين مدفعاً وثلاث كتائب من المشاة إلى القوات المرابطة في المسيب القريبة من كربلاء وبعد إتمام الاستعدادات أمر نجيب باشا في فجر (١٣ كانون أوّل ١٨٤٢م)، وكان اليوم الثاني من عيد الأضحى بقصف أسوار المدينة لفتح ثغرة فيها تُسهِّل مرور الجيش العثماني ففتحت فيه ثغرة واسعة، هنا واجه أهالي كربلاء رجالاً ونساء للدفاع عن المدينة مع العلماء والفقهاء، غير أن التحشد العثماني والتسليح مقارنة مع أسلحة الأهالي التقليدية مكّنت القوات العثمانية من سحق كربلاء بعد معركة طاحنة، فقاسى الأطفال والنساء الهول، وذعر الناس ملتجئين إلى الأضرحة المقدّسة، ومنازل الأغنياء فكان من الأوامر التي أصدرت للجند احترام بيت السيد كاظم الرشتي لا يمسّ بأذى لذا تهافت الناس على السيد طلباً للنجاة فاضطّر إلى أن يضم بيوتاً عدّة إلى بيته لإيواء الأهالي وكذلك نجا من اتجه إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام فنجوا لخروج الكليدار مهدي كمونه وبعض السدنة وهو يطلب الأمان من قائد الجند العثماني بأمر جنده بإيقاف الضرب فنجا من دخل ضريح الحسين عليه السلام إلّا من مات من الازدحام[٤٣]، ومن الأهالي من رموا أنفسهم من فوق أسوار المدينة وضربت القوات العثمانية بشراسة الفارين من الأهالي نحو الأضرحة، إذ لاذوا بضريح الإمام العباس عليه السلام وغلقوا أبوابه، وعند وصول الجند العثمانيين أمر القائد أحد جنوده بقلع أحد الأبواب، ثم هجم الجند على الأهالي المزدحمين في الضريح[٤٤].

وعند مواجهة (اليارماز) الجند المقتحمين بفتح النار عليهم غضبوا ونزلوا إلى الضريح غير مميزين بين جنس أو سن أو محارب أو أعزل، وفتكوا بهم وهم متمّسكون بقفص ضريح العباس عليه السلام حتى لطخت دماؤهم الضريح المقدس[٤٥]، عندها فقد الضابط السيطرة على الجند الذين انتشروا في نواحي كربلاء ودخلوا البيوت[٤٦]، وذبحوا في المدينة عدداً من الأفراد وأُثخنت بالجراح زوجة أمير فارسي لاجيء، وأُصيب أحد أفراد العائلة الفارسية المالكة بجروح، وكان معظم الضحايا من الفقراء، وبعد إكمال النهب والقتل، دخل نجيب باشا إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام وأوقف عمليات القتل في ضريح الإمام العباس عليه السلام ونواحي كربلاء، وحاول تهدئة النفوس بقتل

اثنين أو ثلاثة من الجند بينما لم يحاسب قائد الجند (سعد الله باشا)، الـذي أمر جنده قبل اقتحام كربلاء بمنح (١٠٠) قرش عن كلّ رأس يؤتى به من جماعة (اليارماز) وكان نتيجة ذلك أن قام الجند بقطع رؤوس العديد من الأبرياء وتسليمها إلى سعد الله باشا[٤٧]، ولم تكتف القوات العثمانية بفعلها حتى بعد وصول نجيب باشا فقامت بما لا يتفق مع الأخلاق والدين فسمحت السلطات العثمانية لجنودها بتحويل ساحة (جامع ضريح العباس عليه السلام)، إلى ثكنة عسكرية، وربطت الخيول في أماكن منه ثم أخذوا يعزفون الألحان الشعبية وينشدون الأغاني الخليعة لإثارة نفوس الشيعة العرب، وبذلك أصبحت كربلاء تحت سيطرة نجيب باشا فصرَّح للأهالي بأن الخسائر في الأرواح كانت طفيفة ثم انتقل إلى النجف الأشرف المعروفة بقلّة ولائها للعثمانيين، ولم يقاوم أهالي النجف نتيجة العنف والوحشية التي لحقت بكربلاء، لذا وطَّد نجيب باشا سلطته فيها[٤٨].

المحور الرابع:

الموقف الدولي والإقليمي من واقعة كربلاء ١٨٤٢م

بعد أن وصلت أخبار واقعة كربلاء إلى الخارج أثارت الرأي العام بين مسلمي الدول الأوربية فتقدَّمت بالاحتجاج الرسمي إلى الحكومة العثمانية على هذا تلبية لاحتجاجات المسلمين وشكواهم.

الموقف الروسي:

قامت روسيا بإرسال مبعوثها فارن(farren) إلى كربلاء لدراسة الموقف، جاء في تقرير فارن إن القتلى لا يزيدون على (٥٠٠٠)، آلاف قتيل منهم ثلاثة آلاف داخل المدينة معظمهم من العرب، أما الفرس فقد فرّوا قبل اقتحام القوات العثمانية لها وقُتل من الهنود ثلاث ومن الـروس واحد، وفقد حوالي (٢٠-٣٠)، من البنجابيين ومن أهل كشمير، أما نامق باشا فقد قدّر القتلى في كربلاء حوالي ٢٥٠ قتيلاً، بينما خسر العثمانيون ٤٠٠ قتيل و٢٠٠ جريح[٤٩].

الموقف العثماني:

أرسلت الدولة العثمانية نامق باشا مندوباً لها للاستقصاء عن الحقائق، فقدّر القتلى من الأهالي ما يناهز ال (٢٥٠) وجعل أكثرهم من بلاد فارس بينما قدر خسائر القوات العثمانية بـ(٤٠٠) قتيل و(٢٠٠) جريح ومعنى ذلك عد خسائر الأهالي أقل من خسائر الحكومة، ويبدو من التقارير التي رفعت الهدف منها تقليل الخسائر الفارسية وتقليل الضجّة التي عملتها بلاد فارس[٥٠].

الموقف البريطاني:

لم تشأ بريطانيا أن تقف بعيداً إزاء الوضع المتأزّم فأسرعت بالتدخل في سبيل منع الحرب بين الدولتين (العثمانية والفارسية) وبعد جهود دبلوماسية تألفّت لجنة مختلطة للتحقيق في واقعة

كربلاء اشترك فيها مندوبون عن الدولة العثمانية وبريطانيا وروسيا، فأرسل، كاننج (canning) السفير البريطاني في استانبول مندوباً من قبله إلى كربلاء ليدرس الموقف هناك وكان المندوب هو الليوتنانت **Lieut Colonel Far rant** وكان الكولونيل تايلور الوكيل السياسي البريطاني في بغداد قد هنأ نجيب باشا على فتحه كربلاء دون أن يخبر كاننج بهذه الخطوة، مما جعل من الضروري إرسال مندوب غير تايلور إلى كربلاء ليدرس الموقف لأن تايلور أخذ الجانب العثماني ورضي بفعل نجيب باشا بكربلاء لذ لم يُعدّ صالحا للقيام بالمهمة لرفع تقرير عن هذه المجزرة فكان الليوتنانت من ضمن اللجنة التي تم الاتفاق على متابعتها للواقعة[٥١]. ووصلت اللجنة إلى كربلاء واتصلت بالأهالي وسمعت شهاداتهم، وتمّ رفع التقارير بحجم الخسائر المادية والمعنوية والبشرية إلى حكوماتهم، وبعد رفع التقارير الثلاث ووضع أوجه المقارنة بينها تجلّى أن كلّ واحد من التقارير قدَّم إحصاءات تخدم مصالح بلاده[٥٢].

اصداء الواقعة في بلاد فارس:

حين وصلت أخبار واقعة كربلاء إلى بلاد فارس ذات الأغلبية الشيعية أثارته المجزرةوضجّ الناس وعمهم الحزن والحداد وقيل: إن الشاه محمد كان آنذاك مريضاً فكتم وزراؤه عنه أمر الواقعة ولما علم بعد شفائه تملكه الغضب وأقسم على أخذ الثأر، وغضبت الجماهير وطالبت بإعلان الحرب على الدولة العثمانية حتى أن وزير الشاه (الحاج ميرزا أغاسي) أخذ يستعدّ للحرب رغم نزعته السلمية غير أن الحكومتين الروسية والبريطانية تمكَّنتا من تهدئة الموقف[٥٣]، بوضع تسوية للقضية في صالح الحكومة الفارسية[٥٤]، إن العلاقات بين الدولة العثمانية والفارسية لم تكن على ما يرام بسبب مشاكل الحدود بين الطرفين ولما جاءت واقعة كربلاء زادت الطين بلّه، فكادت الحرب أن تقع وأخذ التجار الفرس يغادرون البلاد العثمانية بسرعة وفي (شباط ١٨٤٣م) كتب القنصل الروسي في تبريز إلى حكومته يقول لها: (بأن الجرائم التركية زادت من التوتر بين بلاد فارس والعثمانيين وهي تُهدِّد بإعلان الحرب)[٥٥].

قدمت بلاد فارس مطالب عِدّة أهمها:

١. يدفع السلطان تعويضاً لمنكوبي كربلاء.
٢. يعلن الباب العالي عدم رضاه عن حملة نجيب باشا.
٣. يعيد نجيب باشا ما تمَّ تخريبه في العتبات المقدّسة.
٤. أن يحكم نجيب باشا بالعدل ويحمي رعايا بلاد فارس في كربلاء.
٥. يُهدَّد نجيب باشا بالعزل إن أساء التصرّف فيما بعد.
٦. تعلن هذه القرارات لجميع السفراء[٥٦] وقد وافقت الدولة العثمانية على هذه المطالب باستثناء المطلب الخاص بنجيب باشا، إذ عدّت ذلك تدخلاً في شؤون الدولة الداخلية، وأيد السفير البريطاني للموقف العثماني وانتهى الأمر بتصفية الأزمة بين الدولتين.

المحور الخامس:

نتائج واقعة كربلاء١٨٤٢م على الصعيد الداخلي والخارجي

تسبّبت واقعة كربلاء بدمار وتخريب للمدينة وأضرار كبيرة لا يمكن معالجتها بسهولة فقد دُمِّرت البيوت ودُمِّر سور المدينة، وخُرِبّت البلاد، ونُهبت المنازل، واستُبيحت الحرمات، وأُريقت الدماء، ولم يكن من السهل إعمارهافالخراب كان شاملاً جامعاً لكلّ النواحي اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ومما يدلّ على ذلك وصف عالم الآثار البريطاني (وليم كنت لوفتس) الذي زار كربلاء عام١٨٥٢م بعد عشرة أعوام من الواقعة أثار التدمير بقوله: فقد تهدّمت الدور للسراي ولم يُعدّ تشيدها فبقيت دلائل للخراب والتدمير وتعرّضت المساجد للخراب والتدمير بصورة خطيرة فظلت أثار القنابل والشظايا واضحة للعيان في قبابها، وجدران البلدة التي تسدّ الفجوات والثقوب الحاصلة فيها ولم يسلم حتى النخيل في البساتين من آثار القصف فبقي عدد كبير منه تبدو الثقوب في جذوعه بارزة للعيان، بينما احترق عدد آخر منه هنا وهناك وتجرَّد من سعفه[٥٧].

الخاتمة

منذ عودة الحكم العثماني المباشر للعراق، بعد نهاية حكم المماليك (١٧٤٩-١٨٣١م)، ومجيء علي رضا اللاظ والياً في بغداد، أصبحت الاوضاع العامة في العراق صعبة للغاية في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية بسبب سياسة الشّدة والضرائب التي انتهجتها حكومة اللاظ، مما ولَّد تذمراً كبيراً بين سكَّان المدن والأرياف على حدٍ سواء.

ونتيجة لقسوة والي بغداد علي رضا باشا اللاظ، وقسوة رجاله المفرطة في تجريد الناس من ممتلكاتهم، فقد صودرت ممتلكات مَن كانت لهم علاقة وارتباط بالوالي المملوكي السابق داوود باشا فاستخدم الجباة القسوة ضدّ النساء من أجل إخراج ما يخبّئها أزواجهن من الأموال، فضلاً عن مقت الناس من ارتداء علي رضا باشا اللاظ الزى الغربي الذي أغاظ الأهالي وسعرت قلوبهم النار.

وتُعدّ مدينة كربلاء المقدّسة في طليعة المدن التي أصابها ضرر بالغ جرّاء السياسة العثمانية المركزية مصحوبة بزيادة الضرائب ومنع الشعائر الدينية لسكّان كربلاء، وفي الوقت ذاته هُيأت للمدينة مجموعة من الشباب الذي صمَّم على مجابهة حكومة بغداد والجيش العثماني.

وعندما رأى الوالي علي رضا أن مدينة كربلاء لم تؤدّ الطّاعة لحكمه، وأن تحذيراته ووعيده لم يغير أفكار أهل كربلاء، قرّر إرسال جيش لهم ومحاصرتهم ومن ثم دخول المدينة وفرض السيطرة العثمانية عليها.

نستشفّ من هذه الواقعة الأليمة أن علي رضا اللاظ وحكومته وجيشه ليس لديهم أدنى انسانية في التعامل مع المدنيّين العُزَّل، وأنهم يحملون حقداً

أسود تجاه السُّكّان وكربلاء بصورة خاصة، وهذا جزء من وسائل الضغط التي تستخدمها الدولة العثمانية ضدّ بلاد فارس، وهو ضمن الصراع الطائفي بين الدولتين.

إن عودة الحكم العثماني المركزي للعراق تطلب استخدام القوّة والبطش ضدّ المعارضة العراقية وفي مختلف المدن العراقية، لاسيما المدن المؤثّرة في العراق، كربلاء والنجف مثلاً، وهذا بطبيعة الحال ولّد تذمراً وسخطاً كبيرين لدى السكّان، ومعارضة مستمرّة للحكم العثماني.

الهوامش

(١) من أكابر وزراء بغداد أبقى ذكراً لاينسى، ولد عام ١٧٧٤م، وهو مملوكي كرجي يقال لهم (أجيق باش) أي (مكشوفون الرأس) جاء إلى بغداد عام ١٧٨٠م، دخل تحت تملك سليمان باشا الكبير له عدّة مواهب، عُينّ مهر دار، ونال وظيفة (خازن) وهي من أكبر وظائف الحكومة، صاهر الوزير، عهد إليه رئاسة مجلس الشورى، وولاية أنقرة، ومشيخة الحرم النبوي، توفّي ودُفن بالبقيع. عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلال ١٧٤٠-١٨٣١م، ج٦، الدار العربية للموسوعات، ص ٣٧٣.

(٢) السَّائِسُ : رائِضُ الدوابِّ ومدرِّبُها ، سَائِسٌ لِلْخَيْلِ: الَّذِي يُعْنَى بِهَا وَيُدَبِّرُ أُمُورَهَا

(٣) الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ط١، دار الوراق للنشر المحدودة، (بيروت:٢٠٠٩م)، ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٤) جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤م، ترجمة:جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، ط١، (بيروت: ٢٠٠٦م)، ص٩٢.

(٥) الانكشارية: هي هيئة عسكرية فريدة حظيت باهتمام من الدولة العثمانية لم تحظ به أي هيئة حكومية أخرى، والانكشارية هي كلمة عربية حرفت عن الكلمة التركية « يني تشاري» « يني نجرى» وترسم بالتركي « يكيجري» وتعني الجند أو الجيش الجديد، محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق:إحسان عبد القدوس، ط١١، دار النفائس، (بيروت:٢٠٠٩م)، ص ١٢٣؛ أماني بنت جعفر صالح الغازي، دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط١، (القاهرة: ٢٠٠٧م)، ص٢٣- ٢٤.

(٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، شركة بهجت المعرفة، ج١، (بيروت: د.ت)، ص ٢٨٩-٢٩٠؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث كتاب يبحث عن تاريخ العراق في العصور المظلمة، ترجمة: جعفر الخياط، ط٤، (بغداد:١٩٦٨م)، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٧) لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٣٩.

(٨) هو جد أسرة آل جميل المعروفة في بغداد، عينه داوود باشا للإفتاء بعد أن دعاه من الشام. المصدر نفسه، ص ٣٣٩.

(٩) رنا عبد الجبار حسين الزهيري، إيالة بغداد في عهد الوالي علي رضا باشا اللاظ ١٨٣١-١٨٤٢م، رسالة ماجستير «غير منشورة» كلية الآداب، (بغداد:٢٠٠٥م)، ص٤٦.

(١٠) عماد عبد السلام رؤوف، مواقف سياسية وعسكرية لعلماء بغداد في العصر العثماني، مقالات، ٢١ شباط ٢٠١٣ على الموقع الكتروني www.alukah net.

(١١)عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١١٣٩-١٢٤٩)هـ (١٧٢٦ - ١٨٢٤)م، منشورات مكتبة ميسر النجماوي، (الموصل:١٩٧٥م)، ص ١٩٤.

(١٢)لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٣٩.

(١٣)علي الوردي، المصدر السابق، ج١، ص٩٨.

(١٤)لونكريك، المصدر السابق، ص٣٣٩.

(١٥)الغرض من الإشارة إلى هذه الاضطرابات والفوضى هو إيضاح الوضع السياسي في العراق وذلك لفهم الدور الذي لعبه الوالي الجديد نجيب باشا في تلك الأوضاع، والعنف والقسوة التي اتبعها في مدن العراق لا سيما كربلاء للقضاء على أية انتفاضة أو ثورة.

(١٦)علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٤-١٠٥.

(١٧)قائد عسكري مصري، ووالي مصر عام ١٨٤٨م، الابن الأكبرلمحمد علي باشا، ولد ونشأ في قوله، وجاء إلى مصر عام ١٨٠٥م، عين دفتر دار في حكومة والده عام ١٨٠٧م، اشرف على مسح الأراضي، حكم صعيد مصر وقاتل المماليك، يتقن الفارسية والتركية والعربية، له إلمام بتاريخ البلاد الشرقية، قاد الحملة المصرية ضد الدولة السعودية الأولى ١٨١٦م، قاد الجيش المصري لصد ثورة اليونان، حارب العثمانيين، وفتح بلاد الشام، انتصر في كوتاهيه عام ١٨٣٣م حتى وصل إلى مشارف استانبول، توفِّي عام ١٨٤٨م، فاطمة حسين فاضل المفرجي، العلاقات العثمانية - الفرنسية ١٨٣٠-١٨٧٦م، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الآداب، (الموصل:٢٠١٣م)، ص٤١.

(١٨)اينجة بير قدار: تعني حامل العلم النحيف، ومحمد باشا، تركي الأصل، من مدينة بار طين في ولاية قسطموني، انخرط في السلك العسكري العثماني، وخدم في مصر والشام، ثم عُيّن على رأس باشوية كركوك قبل أن يكون والياً على الموصل. ذنون الطائي، الاتجاهات الإصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، دار أبن الأثير، (بغداد:٢٠٠٩م)، ص ٩٧؛ لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٣٩؛ حكم محمد اينجة بير قدار الموصل ثمانية أعوام استطاع أن يبني له قوة خاصة في الموصل، وبعد هذه الفترة لم تعد الحكومة العثمانية تسمح لأي حاكم أن يبقى في منصبه أكثر من سنتين، توفّي عام ١٨٤٣م. سارة شيلدز، الموصل قبل الحكم في العراق خلية نحل تصنع بيوتا مخمسه الأضلاع، ترجمة: باحثة الجو مرد، ط١، (الموصل:٢٠٠٨م)، ص ٢٧٥.

(١٩)عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٢٠٥-٢٠٧؛رنا عبد الجبار حسين الزهيري، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٦.

(٢٠)زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، ص ١٥٣-١٥٥.

(٢١)رنا علي عبد الجبار حسين الزهيري، المصدر السابق، ص ١١٥.

(٢٢)من أهم الشخصيات العراقية في عهد اللاظ، ولد في الكرخ عام ١٨٠٢م، من أسرة علوية النسب، أبوه السيد عبد الله أفندي كان مدرس في جامع أبي حنيفة، نشأ نشأة دينية ونبغ في سن مبكر، وفي الثلاثين من عمره أصبح مدرس في عدة مدارس، حتى بلغت دروسه في اليوم أربع وعشرين ساعة، كان من المؤيدين لبقاء داوود باشا، شارك في انتفاضة

المفتي عبد الغني جميل حتى نقم منه اللاظ، علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٣)رنا عبد الجبار حسين الزهيري، المصدر السابق، ١١٨.

(٢٤)نجيب باشا: من أسرة سياسية من استانبول ذات مقام رفيع ومن المقربّين للسلطان، اتصف بالقسوة والذكاء فضلاً عن الشجاعة والحيوية، تولّى ولاية بغداد بعد الوالي علي رضا باشا اللاظ، أنشأ سقاية في جامع براثا، وشريعة نجيب باشا في الاعظمية توفي عام ١٨٥٠م في استانبول. ينظر جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص ٣٥؛ من أبرز الأحداث السياسية في عهد نجيب باشا استمرار التشاحن والصراع بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية وكادت تحدث حرباً لو لا التدخّل الروسي والبريطاني فعرضوا وساطتهما حفاظاً على مصالحهما التجارية ونفوذهما فجرت المفاوضات في مدينة ارضروم عام١٨٤٧م وتم التوصل إلى عقد معاهدة ارضروم الثانية في ١٣أيار ١٨٤٧م والتي بموجبها تنازلت كلّ من الدولتين عن ادعاءاتهم المالية كافة، وتنازلت الدولة العثمانية عن المحمرة ومرساها في شط العرب إلى الصفويين مقابل تنازل الأخيرة عن السليمانية، تمّ الاتفاق بموجب هذه المعاهدة على تشديد الرقابة على الحدود وعدم فسح المجال للمتجاوزين. ينظر سعيد خديدة علو، العلاقات العراقية الإيرانية وأثرها في القضية الكوردية في العراق ١٤تموز ١٩٥٨م- ٨ شباط ١٩٦٣م، ط١، دار سبيريز للنشر، (أربيل:٢٠٠٦م)، ص١٦.

(٢٥)علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢١.

(٢٦)لم تكن هذه الواقعة الأولى والوحيدة وإنما سبقتها عدة وقائع مع القوات العثمانية أحصيت بتسع وقائع كان النصر فيها للكربلائيين، فقد قاسى وعانى أهالي كربلاء من الضربات العثمانية المتتالية وأول هذه الوقائع هي: ١-واقعة القنطرة: قتل فيها من الجند ثمانية عشر ومن الآهلين رجلان، ٢ - واقعة المشمش، سميت بهذا الاسم لان الجند قصدوا نهب ومصادرة هذا المحصول، كما أفسدوا الزرع لذا عم الاقتتال بين الأهالي والجند وقتل وجرح من الطرفين الكثير، ٣ - واقعة ألهيابي، وهي من أهول الوقائع وأشدها هولاً مُلئت الأرض بجثث القتلى أثر معركة استمرّت من الصباح إلى الظهر وانهزم الجند وجرح منهم الكثير ومن جملة الجرحى قائد الحملة الشهير صفوق، وبعد تحقّق الوالي داود باشا من انكسار حملته بقيادة صفوق، عقد لواء الحملة إلى المناخور (أمير الأصطبل) وكان هذا بصيرا بالحرب والطعن فتح الحلة وماردين وبعد أن جمع قواته تقدم إلى كربلاء وسدّ عنها الماء يوماً وأطلق القنابل على المدينة فهاجمه الكربلائيون ففر أصحابه، وهذه الواقعة رقم ٤، أما الواقعة الخامسة ٥-واقعة الأطواب: نسبة إلى المدافع التي دكت كربلاء وقدرت بـ(٤٦) ست وأربعين قذيفة مدفع، وقد قتل وجرح فيها الكثير من أفراد العشائر رغم سخرية الأهالي بهذه القذائف ٦- واقعة المخيم: وهي واقعة عظيمة أيضاً، تبادل فيها الطرفان إطلاق قذائف المدفعية انتهت بنصر الأهالي على الجند ٧ - واقعة الراية: اقتتل الأهالي مع الجند خارج المدينة تمكن الأهالي من النصر وأخذ الخيول والمدافع غنائم، ٨- واقعة بني الحسن: بعد عجز جيش المناخور عن النصر استغاث بالعشائر فأجابته عشيرة بنو الحسن ناكثة بذلك عهدها مع أهل كربلاء وقدم بنو الحسن دخول المناخور كربلاء فتقدّموا أمامه ليلاً بعبور الأنهار وتسلّقوا الجدران، فنشبت الحرب بينهم وبين أهل كربلاء فاخفق

الجميع من النصر سوى الخسائر، ٩-واقعة الأمان، سميت بهذا الاسم لأن أهالي كربلاء اضطروا إلى عقد الصلح مع داود باشا بعد أن قطع عنهم الماء وضيَّق عليهم العيش بقطع طريق كربلاء ونهب السابلة فيه، وقطعوا اتصال كربلاء بغيرها. ينظر، عبد الحسين الكليدار آل طعمه، بغية النبلاء في تأريخ كربلاء، تحقيق: عادل الكليدار آل طعمه، مراجعة: عبد الأمير عزيز القريشي وطارق نافع الحمداني، ط١، دار الكفيل، مركز دراسات كربلاء، (كربلاء المقدسة: ٢٠١٤م)، ص ٥٧-٥٨؛سعيد رشيد زميزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، ط١، دار القارئ، (بيروت:٢٠١٠م) ص٦٥.

(٢٧)محمد جبار إبراهيم الجمال، بنية العراق الحديثة تأثيرها السياسي ١٨٦٩- ١٩١٤م، مراجعة:كمال مظهر أحمد، (بغداد: ٢٠١٠م)، ص ١٥.

(٢٨)م. م. لوريمر، دليل الخليج ج٧مطابع ديوان الشيخ خليفة آل ثاني (الدوحة: د.ت)ص١٩٨٥م؛ عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق ص٨٨.

(٢٩)اليارماز:كلمة تركية تعني بالعربية الذين لا ينفعون لشيء (عديم القيمة)، يقصد بهم الأشرار من المجتمع. ينظر جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤م، ترجمة: جعفر الخياط، ط١، دار العربية للموسوعات، (بيروت: ٢٠٠٦م)، ص١٨١؛لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٨٦.

(٣٠)علاء عباس نعمه، المصدر السابق، ص١٤.

(٣١)عباس العزاوي، المصدر السابق، ج٦، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٣٢)عباس العزاوي المصدر السابق ج٧ ص٧٨؛ جيمس بيليفريزر، المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٣٣)عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلا لين العهد العثماني الثالث ١٨٣١- ١٨٧٢م، ج٧، الدار العربية للموسوعات، (د.م: د.ت)، ص ٩٩.

(٣٤)علي الوردي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣٥)سلمان هادي آل طعمه، المصدر السابق، ج١، ص ١٠٠.

(٣٦)علي الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٨.

(٣٧)لوريمر، المصدر السابق ج٧ ص٢٠٠٠؛ سعيد رشيد زميزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، ط١، دار القارئ، (بيروت:٢٠١٠م)، ص٦٦؛ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٠٩.

(٣٨)العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٨٩؛ لوريمر، المصدر السابق، ج٧، ص١٩٨٦.

(٣٩)علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٠٩؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، ج١، ص ٦٥.

(٤٠)علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٢، ص ١٢٩.

(٤١)سعيد رشيد زميزمالمصدر السابق ص٦٦.

(٤٢)سلمان هادي آل طعمه، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٤٣)علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٢، ص ١٣٠.

(٤٤)عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٩٠-٩١؛ سعيد رشيد زميزم، المصدر السابق، ص٦٦.

(٤٥)لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٩٢-١٩٩٣م.

(٤٦)علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٢، ص١٣٠.

(٤٧)علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٢، ص١٢٨-١٣١.

(٤٨)لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٩٦م.

(٤٩)عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٥٠)علي الوردي، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق،

ج٢، ص ١٣٥.

(٥١) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٥٢) سعيد رشيد زميزم، المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

(٥٣) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٩٣.

(٥٤) الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ط ١، الوراق للنشر، (بيروت:٢٠٠٩م)، ص ٤٨٦؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٢، ص١٣٤.

(٥٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٢، ص ١٣٤.

(٥٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٢، ص ١٣٥.

(٥٧) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٩٧.

المصادر والمراجع

أولاً: الرسائل الجامعية:

١. فاطمة حسين فاضل المفرجي، العلاقات العثمانية - الفرنسية ١٨٣٠-١٨٧٦م، رسالة ماجستير -غير منشورة-، كلية الآداب، (الموصل:٢٠١٣) م.

٢. رنا عبد الجبار حسين الزهيري، إيالة بغداد في عهد الوالي علي رضا باشا اللاظ ١٨٣١-١٨٤٢م، رسالة ماجستير -غير منشورة- كلية الآداب، (بغداد:٢٠٠٥م).

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

١. ألكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ط١، دار الوراق للنشر المحدودة، (بيروت:٢٠٠٩م).

٢. أماني بنت جعفر صالح الغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط١، (القاهرة: ٢٠٠٧)م.

٣. تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر ادريس، بيروت، ٢٠٠٦م.

٤. جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م.

٥. جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م.

٦. جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد في ١٨٣٤م، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٤م.

٧. سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد، ترجمة محمد نجيب ارمنازي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦١م

٨. ----------، تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٢م.

٩. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٠هـ.

١٠. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بيروت، دار الراشد، ٢٠٠٥م.

١١. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان عبد القدوس، ط١١، دار النفائس، (بيروت:٢٠٠٩م)

١٢. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، شركة بهجت المعرفة، ج١، (بيروت: د.ت)

١٣. ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ

العراق الحديث كتاب يبحث عن تاريخ العراق في العصور المظلمة، ترجمة: جعفر الخياط، ط٤، (بغداد:١٩٦٤م)

١٤. عماد عبد السلام رؤوف، مواقف سياسية وعسكرية لعلماء بغداد في العصر العثماني، مقالات، ٢١شباط ٢٠١٣م على الموقع الكتروني www.alukah net.

١٥. عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١١٣٩-١٢٤٩)هـ (١٧٢٦ - ١٨٢٤) م، منشورات مكتبة ميسر النجماوي، (الموصل:١٩٧٥)م.

١٦. سارة شيلدز، الموصل قبل الحكم في العراق خلية نحل تصنع بيوتا مخمسه الأضلاع، ترجمة: باحثة الجو مرد، ط١، (الموصل:٢٠٠٨م)، ص ٢٧٥.

١٧. زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري.

١٨. عبد الحسين الكليدار آل طعمه، بغية النبلاء في تأريخ كربلاء، تحقيق: عادل الكليدار آل طعمه، مراجعة: عبد الأمير عزيز القريشي وطارق نافع الحمداني، ط١، دار الكفيل، مركز دراسات كربلاء، (كربلاء المقدسة: ٢٠١٤م).

١٩. سعيد رشيد زميزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، ط١، دار القارئ، (بيروت:٢٠١٠).

٢٠. محمد جبار إبراهيم الجمال، بنية العراق الحديثة تأثيرها السياسي ١٨٦٩ - ١٩١٤م، مراجعة:كمال مظهر أحمد، بيت الحكمة (بغداد: ٢٠١٠م).

٢١. م. م. لوريمر، دليل الخليج، ج٧، مطابع ديوان الشيخ خليفة آل ثاني، (الدوحة: د.ت).

٢٢. سعيد خديدة علو، العلاقات العراقية الإيرانية وأثرها في القضية الكوردية في العراق ١٤تموز١٩٥٨م - ٨ شباط١٩٦٣م، ط١، دار سبيريز للنشر، (أربيل:٢٠٠٦م).

٢٣. سعيد رشيد زميزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، ط١، دار القارئ، (بيروت:٢٠١٠م).

ثالثاً: البحوث:

علاء موسى كاظم نورس، مدى مسؤلية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ١٩٩٢م.

تجارة لواء كربلاء

خلال عامي ١٩١٠ـ١٩١١م

الأستاذ الدكتور

خالد بن حمود السعدون

كلية الآداب - جامعة الشارقة

The Trade of the Province of Karbala During the years 1910 – 1911

Prof. Dr. Khalid Bin Hmoud Al-Saadoon
College of Arts – University of Sharja

Abstract

This study shows that the trade of the province of Karbala during the years 1910 – 1911 was limited due to the small population of the town on one hand and the location far away from the Tigris, the passage of trade, from the other hand. These two reasons deprived Karbala from the advantage of direct trade with the outside world.

However, what had increased the prosperity of trade is the existence of the holy religious shrines in both Karbala and Najaf since many visitors come yearly. The second factor is that Karbala has borders close to the Arabian Peninsula where many convoys go to and come from Najaf, Hail and Qaseem (in Saudia Arabia).

The business was limited to exporting animal and agricultural products and importing, in return, consuming products, manufactured goods and minerals.

الملخص

تظهر الدراسة ان تجارة لواء كربلاء خلال السنتين ١٩١٠-١٩١١م كانت محدودة النطاق نسبياً من جراء قلّة عدد سكّان اللواء من جانب، ووقوعه في الداخل بعيداً عن طريق الملاحه في نهر دجلة مما حرمه من إمكانية المتاجرة المباشرة مع العالم الخارجي من جانب آخر.

وخفَّف من آثار هذين العاملين وجود المراقد الدينية في مدينتي كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف التي تأتي إليها سنوياً أعدادً كبيرة من الزوّار من خارج العراق وداخله، مما يؤدي إلى تنشيط الحركة التجارية، كما كان ينشطها ايضاً متاخمة اللواء للصحراء مما يسّر التجارة بينه وبين دواخل شبه الجزيرة العربية، إذ كانت القوافل تروح وتغدو بين النجف وحائل والقصيم. وتأثّر النشاط التجاري في اللواء أيضاً بحقيقة اقتصار إنتاجه كلّه تقريباً على منتجات زراعية وحيوانية تصدر بشكلها الخام، وتستورد بدلاً عنها مواد استهلاكية وسلعاً مصنعة كالمعادن.

المقدمة

قليلة هي الدراسات التي تتناول الأوضاع الاقتصادية في المنطقة العربية إبّان خضوعها للحكم العثماني. وأقل منها الدراسات التي اعتمدت على إحصاءات رقمية عند تناولها ذلك الموضوع المهم، فلعلّ هذه الورقة التي تتفحّص تجارة لواء كربلاء تفتح نافذة صغيرة للإطلال عن قرب على بعض تلك الأوضاع معتمدة بدرجة رئيسة على إحصاءات أوردتها وثائق قنصلية أمريكية محفوظة في دائرة الأرشيف الوطني والسجّلات في واشنطن العاصمة

National Archives and Records Administration, Washington, D.C.

كان لواء كربلاء أحد ثلاثة ألوية (سناجق) تُشكِّل ولاية بغداد، ويُقسِّم ذلك اللواء إدارياً إلى أربعة أقضية هي المركز والهندية والنجف والرزازة[١]. وتميزّ هذا اللواء بوجود المراقد الدينية المقدّسة في مدينتي كربلاء والنجف مما يجعله مقصداً لآلاف الزوّار الذين يأتونه سنوياً من داخل العراق وخارجة، فينشطون حركة التجارة فيه، فالتعرف على تجارة ذلك اللواء عن كثب يساعد على تبيّن الآثار الاقتصادية لتلك الزيارة، كما أن توضيح حال التجارة في اللواء قد يصلح مؤشراً على حالها في بقية الألوية العراقية، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفروق القائمة بينهما من حيث المساحة وعدد السكان وطبيعة المنتجات وغيرها.

ومن حسن الصّدف أن القنصل الأمريكي في بغداد قد أفرد في تموز-يوليو ١٩١٢م تقريراً خاصاً عن تجارة كربلاء خلال العامين مدار البحث، وسيكون ذلك التقرير المصدر الرئيس لمادة هذا البحث، إذ ستقارن معلوماته بمعلومات مصادر معاصرة أخرى فضلاً عن بعض الدراسات الحديثة.

وقد بدأ القنصل الأمريكي تقريره بالتعرف باللواء، فذكر أنه أحد ألوية ولاية بغداد، وعاصمته الإدارية مدينة كربلاء الواقعة على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة بغداد، وعلى بعد حوالي عشرين ميلاً إلى الغرب من نهر الفرات. ويوجد في المدينة مرقدا الحسين والعباس ابني علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، وقدَّر القنصل عدد سكان المدينة بثمانين ألف نسمة[٢]. علماً بأن القنصل نفسه قدَّر في تموز-يوليو ١٩١٢م العدد الإجمالي لسكان العراق بمليون وثمانمائة ألف نسمة[٣]. وعلى هذا تكون نسبة سكان مدينة كربلاء من اجمالي سكان العراق حينئذٍ قرابة ٤، ٤٪، ولم يحاول القنصل تقدير عدد سكان اللواء بكامله، ولكن زميله القنصل العام البريطاني في بغداد قدَّر ذلك العدد في السنين الأول من القرن العشرين بحوالي مائتين وخمسة وعشرين ألف نسمة[٤]. وانتقل القنصل الأمريكي في تقريره للقول: إن بين سكّان مدينة كربلاء جالية من الهنود البريطانيين يبلغ عددها حوالي ألف وخمسمائة نسمة، وجالية فارسية أكبر منها عدداً، ولكن العرب يشكّلون أكثرية سكان المدينة. كما أن عدداً ضئيلاً من النصارى واليهود كانوا يُقيمون خارج مدينة كربلاء في أجزاء من

اللواء، وأشار إلى وجود تمثيل قنصلي أجنبي في المدينة حيث كان يقيم فيها قنصل فارسي ونائب قنصل بريطاني ووكيل قنصلي روسي، وواجب هؤلاء جميعاً هو حماية مصالح رعايا دولهم الذين يقصدون كربلاء والنجف لزيارة مراقد الائمة[٥].

ذكر تقرير قنصلي أمريكي أُعد سنة ١٩٠٧م أن عدد زوّار العتبات المقدّسة الدينية القادمين من فارس أو عن طريقها من أواسط آسيا يبلغ حوالي ثمانين ألف زائر سنوياً، وكان أولئك الزوّار يحملون معهم عادة في ذهابهم وإيابهم سلعاً كثيرة بهدف بيعها في المدن والقرى الواقعة على طريقهم[٦].

ولم يفت القنصل الأمريكي في تقريره عن تجارة لواء كربلاء الحديث عن أثر أولئك الزوّار فقال: إن أهم العوامل التي كانت تؤثر في تجار لواء كربلاء هي زيادة أو نقص عدد الزوّار الذين يفدون عليها وما يستطيعون انفاقه من أموال خلال اقامتهم فيها. وأضاف أن أكثر الزوّار كانوا يقدمون براً عن طريق كرمنشاه – بغداد، وقد انخفض عدد الزوّار الأجانب القادمين إلى كربلاء خلال سنة ١٩١١م انخفاضاً كبيراً من جراء انعدام الأمن على هذه الطريق، خاصة في المنطقة الواقعة ضمن الأراضي الفارسية[٧]. وفضلاً عن انخفاض عدد أولئك الزوّار عدا القادمين منهم الذين لا يجلبون معهم إلّا القليل مما كانوا يحملونه عادة من سجّاد وسلع أخرى لغرض بيعها في بغداد والمدن الأخرى الواقعة في طريقهم، وكان ذلك ناتجاً عن تحوّل كثير من الفرس إلى فقراء بسبب اضطراب الوضع في فارس منذ أمد بعيد من ناحية، وعن امتناع الميسورين منهم والذين يجلبون تلك السلع عادة من القدوم لإتمام الزيارة خوفاً من مخاطر الطريق من ناحية أخرى، وانتقل القنصل بعدها للقول إن تجارة اللواء تتأثر أيضاً بواقع فقر أكثرية سكان مدينة كربلاء ذاتها وقلّة عدد سكان القرى المحيطة بها وعوزهم الشديد، فضلاً عن وقوع المدينة على تخوم الصحراء الخالية من السكان تقريباً. وأضاف أن من العوامل التي تحدّ من تجارة اللواء أيضاً ضعف انتاجه المحلي، فباستثناء بساتين النخيل المحيطة بالمدينة والممتدة على طول القناة التي تُحمل إليها المياه من نهر الفرات لا توجد سوى زراعة حبوب وقطن هزيلة[٨].

ولا يشارك مصدر معاصر مطلع القنصل الأمريكي في تهوينه من شان إمكانية الزراعة للواء كربلاء، فيتحدّث عن إنتاجه كميات هائلة من الفواكه فضلاً عن التمور[٩]. وانتقل القنصل الأمريكي في تقريره بعدها للحديث عن الثروة الحيوانية في اللواء فقال: إن الماشية والأغنام تربّى هناك على نطاق ضّيق، وأضاف أن الإنتاج الصناعي في اللواء المتخصّص للتصدير معدوم عملياً، إذ لا يوجد سوى أواني النحاس (الصِّفر) والقليل من التحف والأحذية التي تُرسل خارج مدينة كربلاء المقدّسة، أما باقي الإنتاج الحرفي فيقتصر على تلبية حاجات الاستهلاك المحلي[١٠].

ويبدو هنا أن حديث القنصل هذا يتركز على الصناعة في مدينة كربلاء فقط لا في اللواء كله،

فقد كانت مدينة النجف مركزاً لصناعة مهمة هي نسج وخياطة «البشوت» أي العباءات الصوفية والحريرية ذات الأصباغ الثابتة والمطرّزة بخيوط ذهبية «الزري»، وكان في النجف في مطلع القرن المنصرم مائتا نوع لنسج تلك البشوت وثلاثون دكّاناً لتسويقها[١١].

وانتقل التقرير بعد تلك المعلومات التمهيدية للقول إن القيمة الإجمالية لصادرات لواء كربلاء سنة ١٩١٠م بلغت (٦٨، ٨٧١) دولاراً في حين بلغت قيمة وارداته تلك السنة (٢٧٩، ٢٩٠) دولاراً[١٢]. ويجدر القول هنا إن القيمة الإجمالية لصادرات العراق عبر ميناء البصرة تلك السنة بلغت (٨، ١٠٩، ٩٥٠) دولار، في حين بلغت قيمة الواردات عبر الميناء (١٢، ٨٠٤، ١٣٦) دولار[١٣]. وبهذا تكون حصة لواء كربلاء من القيمة الاجمالية لصادرات العراق تلك السنة قرابه ٠، ٨٪ فقط، وحصته من القيمة الاجمالية للواردات العراقية ٢٪، وفي سنه ١٩١١م بلغت قيمة صادرات اللواء ما مجموع (٨٥، ٦٨٠) دولار، وقيمة وارداته (٤١٧، ١٩٦) دولار[١٤].

فسجَّلت قيمة الصادرات بذلك زيادة عن مثيلتها في السنة المنصرمة بنسبة تجاوزت ٢٤٪، في حين سجَّلت قيمة الواردات نقصاً بنسبة تقرب من ٣٠٪ عما عليه السنة الفائتة. ولعل من أسباب ذلك ما ذكر في قلّة عدد الزوّار القادمين إلى اللواء تلك السنة، ويذكر أن القيمة الإجمالية لصادرات العراق عبر ميناء البصرة تلك السنة بلغت (١٢، ٢٩٢، ٥٢١) دولار، وفي حين بلغت الواردات عبر الميناء (١٣،٨٧٨،٠٠٠) دولار[١٥]. وبذلك تدنّت حصة اللواء من القيمة الإجمالية لصادرات العراق تلك السنة وغدت حوالي ٠، ٦٪ فقط وحصته من القيمة الاجمالية للواردات العراقية قرابة ١، ٥٪.

وكما يلاحظ في الأرقام الماضية كانت تجارة الواردات العراقية تُمثِّل إلى التوسّع، وقد كان ذاك دأبها منذ أواخر القرن التاسع عشر متأثرة بعوامل عدة مثل افتتاح قناة السويس وتطور النقل البحري والنهري مما قلّل من كلفة نقل السلع الأوربية، كما أن ازدياد المداخيل المالية للملاك الزراعي وتجاوز المتعاملين بالمنتجات الزراعية وفّر الأموال اللازمة لعملية الاستيراد الواسع[١٦].

وقد أدّى ذلك الواقع من جانب وقلّة الإنتاج المحلي الموجّه للتصدير في لواء كربلاء من جانب آخر إلى ظاهر الاختلال الكبير في ميزان اللواء التجاري بين قيم الصادرات والواردات، فقد تجاوزت قيمة السلع المستوردة إلى اللواء سنه ١٩١٠م قيمة الصادرات بما نسبته أكبر من ٤٠٠٪، وتقلص الفارق في السنة التالية إلى النصف حيث زادت قيمة الواردات على الصادرات بنسبة تقرب من ٢٠٠٪، ولم يكن مرد هذا التقلّص زيادة في قيمة صادرات اللواء، بل بما بتدني قيمة وارداته تلك السنة، ولكن الإيرادات غير المنظورة المتمثِّلة بما ينفقهُ آلاف الزوّار القادمين إلى اللواء سنوياً كانت تسهم في تعديل كفتي الميزان دون ريب.

وانتقل القنصل الأمريكي بعد ذلك للحديث

في تقريره المشار إليه عن الطريقة المتبعة في إتمام عمليات التصدير والاستيراد من لواء كربلاء، فذكر أن تجار اللواء لم يكونوا يقدمون بتلك العمليات مباشرة، بل عبر تجار مدينتي بغداد والبصرة، إذ يقدم تجّار اللواء الرّاغبين في استيراد سلعة ما من الخارج طلبهم إلى مستوردي بغداد الذين كانت لهم حصة الأسد في هذه العملية عادة، فيتولّون مهمة القيادة بالإجراءات اللازمة للاستيراد، وفيما يخصّ التصدير كان مصدّرو بغداد والبصرة يشترون منتجات اللواء المعدّة للتصدير ويقومون بإرسالها إلى الخارج، وترتّب على ذلك الواقع وجود وكلاء أو مكاتب فرعية لعدد من مستوردي بغداد ومصدّريها في مدينة كربلاء[١٧].

ويتضح من التقارير أن التمور كانت تتصدّر من حيث القيمة قائمة السلع المصدَّرة من اللواء خلال السنتين مدار البحث، فقد وصلت قيمتها سنة ١٩١٠م إلى (٣٥، ٩٦٤) دولار[١٨]. فسجلت بذلك نسبة تجاوزت ٥٢٪ من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء تلك السنة، ويذكر أن قيمة صادرات التمور العراقية من ميناء البصرة خلال السنة ذاتها قد بلغت (٢، ٠٥٦، ٩١٢) دولار[١٩]. وعليه تكون حصة اللواء من القيمة الاجمالية لصادرات التمور العراقية تلك السنة قرابة ١، ٧٪ فقط، وكانت صادرات تمور ولاية بغداد عموماً قد انخفضت قيمتها سنة ١٩١٠م من جرّاء الحظر الجزئي الذي فرضته السلطات الحكومية العثمانية على تصدير التمور من الولاية[٢٠]. أما في سنة ١٩١١فقد ازدادت قيمة صادرات اللواء من التمور بنسبة ٣٥٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة حيث بلغت (٤٨، ٦٠٠) دولار[٢١]. وبذلك ازدادت حصة التمور من القيمة الاجتمالية لصادرات اللواء تلك السنة وغدت أكثر من ٥٦، ٥٪ بالرغم من ارتفاع قيمة صادرات اللواء بمجملها تلك السنة كما مّر، وقد كانت القيمة الاجمالية لصادرات التمور العراقية من ميناء البصرة تلك السنة (٢، ٢٢٤، ٨٨٣) دولار[٢٢]. وبذا تكون حصة اللواء من القيمة الكلية لصادرات التمور العراقية خلال ذلك العام قد ارتفعت فبلغت قرابة ٢، ٢٪.

واحتلت المنتجات الحيوانية المرتبة الثانية من حيث القيمة في قائمة صادرات لواء كربلاء خلال السنتين مدار البحث، حيث مثّلت ما نسبته ٣٥، ٥٪ من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء سنة ١٩١٠م، فقد بلغت قيمتها (٢٤، ٥٩١) دولار، كانت الجلود أهم تلك المنتجات المصدرة، حيث كانت قيمتها (١٤، ٠٩٣) دولار ممثّلة ما نسبته حوالي ٥٧٪ من القيمة الكلية للمنتجات الحيوانية المصدرة. وبلغت قيمة صادرات الصوف من اللواء خلال تلك السنة (٩، ٢٢٤) دولار، فسجّلت بذلك نسبة ٣٧، ٥٪ من القيمة الكلية للمنتجات الحيوانية المصدرة. وكان إسهام المصارين (أمعاء الأغنام) ضئيلاً لم يزد عن (١،٢٦٤) دولار فقط[٢٣]. ويحسن القول هنا من أجل المقارنة أن قيمة صادرات العراق كلّه من الجلود عبر ميناء البصرة تلك السنة

بلغت (٢٦٣،٦٩٤) دولار، وقيمة صادراته من الصوف (١، ٢٣٢، ٧٤٤) دولار[٢٤]. وبذا تكون حصة اللواء من القيمة الاجمالية لصادرات الجلود العراقية تلك السنة حوالي ٥، ٣٪، وحصته من القيمة الكلية لصادرات الصوف العراقي حوالي ٠، ٧٥٪ فقط.

وازدادت قيمة صادرات اللواء من المنتجات الحيوانية سنة١٩١١م بنسبة ٣٣ ٪ تقريباً عما كانت عليه مثيلتها في السنة المنصرمة، إذ بلغت (٣٢، ٧٥٥) دولار، ومثّلت بذلك ما نسبته أكثر من ٣٨٪ من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء تلك السنة. وكانت حصة الجلود من ذلك المبلغ تبلغ(١٨، ٠٥٤) دولار، فتجاوزت بذلك مثيلتها في السنة الفائتة بنسبة ٢٨٪ تقريباً، ومع ذلك انخفض اسهامها في القيمة الاجمالية لصادرات اللواء من المنتجات الحيوانية عما كان عليه في السنة السّابقة فغدا قرابة ٥٥٪، ونتج لذلك ازدياد قيمة بقية الصادرات من المنتجات الحيوانية إذ ازدادت قيمة صادرات الصوف بنسبة ٤٢٪ تقريباً، وبلغت(١٣، ١٢٢) دولارا. مسجلة نسبة ٤٢٪ تقريباً من مجمل قيمة المنتجات الحيوانية المصدرة. وشملت الزيادة ايضاً قيمة صادرات اللواء من المصارين تلك السنة فبلغت (١، ٥٧٩) دولار[٢٥]. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة صادرات العراق عبر ميناء البصرة من الجلود تلك السنة بلغت (٤٥١، ٣٦٠) دولاراً. وبلغت قيمة صادراته من الصوف(١، ٦٧٦، ٨٣٦) دولار[٢٦]. وبذا يكون نصيب لواء كربلاء من القيمة الكلية لصادرات الجلود العراقية تلك السنة قرابة ٤٪ ونصيبه من القيمة الكلية لصادرات الصوف العراقي ٠،٧٨، ولعلّ من المفيد التنويه هنا بالدور الكبير الذي كانت تؤدّيه قلّة من المنتجين الكبار وتجار الجملة في رفع أسعار الصوف العراقي بين آوانه وأخرى[٢٧].

ولا تحوي قائمة صادرات كربلاء خلال هاتين السنتين عدا ما تمّ ذكره إلّا منتجات مصنعة محلياً، كان اكثرها يباع لـزوّار العتبات المقدّسة عادة. وأبرز تلك المنتجات التحف والاواني النحاسية التي بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩١٠م ما مجموعه (٧، ٦١١) دولاراً، فسجّلت بذلك نسبة مقدارها ١١٪ تقريباً من القيمة الاجمالية لصادرات اللواء العامة تلك السنة، ولكن قيمة صادرات التحف والأواني النحاسية انخفضت قيمتها في السنة التالية بنسبة تقرب من ٤٨٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة، حيث بلغت(٣، ٩٣٦) دولار، وتدنّى بذلك إسهامها في القيمة الأجمالية لصادرات اللواء ذلك العام حوالي ٥، ٤٪ فقط، ومن المنتجات المصنعة التي كانت تصدر من اللواء الأحذية التي بلغت قيمة صادراتها (٧٠٥) دولارات فقط سنة ١٩١٠م، وانخفضت في السنة التالية بنسبة ٤٥٪ تقريباً عما كانت عليه، حيث لم تزد عن مبلغ (٣٨٩) دولاراً فقط[٢٨].

ويظهر استعراض بنود قائمة السلع المستوردة إلى لواء كربلاء في السنتين قيد البحث ان السكَّر يتصّدر تلك البنود من حيث القيمة. إذ بلغت في سنة ١٩١٠م ما مجموعه (١٠٠، ٦٠٢) دولار[٢٩].

وسجلت بذلك نسبة مقدارها حوالي ٣٦٪ من القيمة الكلية لواردات اللواء تلك السنة، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات العراق كلّه من السكَّر عبر ميناء البصرة بلغت تلك السنة(٢، ١٨٢، ٢٠٣) دولار[٣٠]. وبذا تكون حصة اللواء من القيمة الكلية تلك حوالي ٤، ٥٪، وهي حصة كبيرة نسبياً إذا ما قورنت مثلاً بقيمة السكّر الذي استوردته ولاية الموصل بألويتها. المتعدّدة خلال السنة نفسها والتي لم تزد عن(٣٠، ٦١٢) دولار[٣١]. أي أن استيراد لواء كربلاء من السكّر بلغت قيمتهأكثر من ثلاثة أضعاف مثيلتها في تلك الولاية، ولو قورنت قائمة واردات لواء كربلاء من هذه الزاوية أيضاً بقائمتي واردات بغداد والبصرة لتبين أن السلعة التي كانت تقف على رأس بنود هاتين القائمتين من حيث القيمة هي الأقمشة والغزول القطنية لا السكّر كما هو الحال في قائمة واردات لواء كربلاء، ولم تورد المصادر المتاحة تفسيراً لذلك الأمر الذي ربما نشأ من كثرة من يفد إلى لواء كربلاء من الزوّار وإقبالهم على شرب الشاي المحلّى بالسكر، فضلاً عما يصاحب مجالس العزاء الكثيرة من تقديم بعض المأكولات التي يدخل السكَّر في إعدادها.

وعلى الرغم من ازدياد كمية السكَّر المستورد إلى ولاية بغداد وبضمنها لواء كربلاء سنة ١٩١١عما كانت عليه مثيلتها في السنة السالفة إلا أن قيمتها قلت، مما يدل على انخفاض سعر السكَّر في مناشئه تلك السنة[٣٢]. وسرى ذلك الواقع نفسه على واردات لواء كربلاء من السكَّر في تلك السنة إذ انخفضت قيمتها بنسبة تقرب من ٢٠، ٥٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة إذ بلغت (٧٨، ٧٣٣) دولارا[٣٣]. ومع ذلك الانخفاض زادت حصّة السكَّر من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة، فتجاوزت نسبتها ٤٠٪، ويكمن السبب في الانخفاض الذي سجلته قيمه واردات اللـواء من السلع الأخـرى بنسبة تفوق نسبة انخفاض قيمة السكَّر المستورد تلك السنة. ويذكر ان القيمة واردات العراق كلّه من السكَّر عبر ميناء البصرة بلغت تلك السنة (٢، ٥٩٦، ٠٠٠) دولار[٣٤]. وبذلك يكون نصيب لواء كربلاء من القيمة الكلية لـواردات العراق من السكَّر تلك السنة قد انخفضت إلى حوالي ٣٪فقط.

واحتلَّت الأقمشة والغزول القطنية المرتبة الثانية من حيث القيمة في قائمة السلع المستوردة إلى لـواء كربلاء خـلال السنتين المعنيتين، فقد وصلت قيمتها سنة ١٩١٠م إلى (٧١، ٧٣٤) دولار[٣٥]. سجّلت بذلك نسبة تتجاوز ٢٦٪، من القيمة الإجمالية لواردات اللواء في تلك السنة، ولقد كانت القيمة الكلية لـواردات العراق من الاقمشة والغزول القطنية تلك السنة عبر ميناء البصرة (٥، ٣٦٩، ٣٧٧) دولار[٣٦]. وبذا تكون حصة لواء كربلاء من تلك القيمة قربة ١، ٣٪ فقط، وفي سنة ١٩١١م انخفضت قيمة واردات اللواء من الأقمشة والغزول القطنية عما كانت عليه في السنة المنصرمة بنسبة ٢٩ ٪ تقريباً، حيث بلغت (٥٠، ٩٥٦) دولار[٣٧]. ومع ذلك ظلّت حصتها من القيمة الإجمالية لـواردات اللواء

ثابتة عند ٢٦٪ بسبب تدني قيمة واردات اللواء الأخرى تلك السنة، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات العراق كلّه من هذه السلعة عبر ميناء البصرة تلك السنة قد بلغت (٥، ٤٨٤، ٣٦٤) دولار[٣٨]. فتدنّى بذلك سهم اللواء من تلك القيمة إلى قرابة ٠،٩٢٪ فقط.

والسلعة التالية في قائمة واردات لواء كربلاء خلال سنة ١٩١٠م كانت النفط الأبيض (الكيروسين)، إذ بلغت قيمتها(١٦,٠٣٨) دولارا[٣٩]. فسجّلت بذلك ما نسبته حوالي ٦٪ من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة.

وكانت القيمة الكلية لواردات العراق من النفط عبر ميناء البصرة تلك السنة (١٣,٧٠٦) دولارات[٤٠]. وبهذا بلغت حصّة اللواء من تلك القيمة العامة أكثر من ١٢٪. ولكن قيمة ما استورد إلى اللواء من تلك السلعة خلال سنة ١٩١١م تدنت بنسبة ٣٩,٥٪ عمّا كانت عليه في السنة المنصرمة فبلغت (٩,٧٢٠) دولارا[٤١].

وتدنّى بالتالي إسهامها في القيمة الاجمالية لواردات اللواء تلك السنة فوصل إلى ٥٪. ويذكر أن القيمة الكلية لما استورده العراق عبر ميناء البصرة من النفط تلك السنة بلغت(٦٦,٠١٧) دولاراً[٤٢]. وبذا تزداد حصة لواء كربلاء من هذه القيمة الكلية لتصل إلى أكثر من ١٤,٧٪. ومن واردات لواء كربلاء ذات القيمة الكبيرة نسبياً الشاي. فقد وصلت قيمة وارداته سنة ١٩١٠م إلى (١٠,٩٣٥) دولار[٤٣]. وسجّلت بذلك نسبة تقلّ من ٤٪ من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة.

في حين كانت قيمة الشاي المستوردة إلى العراق كلّه عبر ميناء البصرة خلال تلك السنة(١١٠,٥٧٥) دولار[٤٤]. وعلى ذلك تكون حصة اللواء من تلك القيمة قرابة ٩,٨٪ وعلى الرغم من ازدياد قيمة الشاي المستورد إلى ولاية بغداد كلّها سنة ١٩١١م بشكل ملحوظ[٤٥] إلّا ان الشاي المستورد إلى لواء كربلاء خلال تلك السنة انخفضت قيمتهُ عما كانت عليه في السنة الماضية بنسبة ٤٤، ٥٪ تقريباً، حيث لم تزد عن (٦، ٠٧٥) دولار[٤٦].

فتدنّى بذلك إسهامها في القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة إلى ٣٪ فقط، يذكر أن قيمة الشاي الذي استورد إلى العراق كلّه عبر ميناء البصرة تلك السنة بلغت (١١٨، ٧٣٤) دولار[٤٧]. وبذا تكون حصة اللواء من تلك القيمة قد تدنّت إلى حوالي ٥٪ فقط.

وكانت المعادن المختلفة جزءاً منقائمة واردات اللواء خلال سنتي الدراسة، فقد بلغت قيمتها ١٩١٠م ما مجموعة (١٠، ٦٧٧) دولار[٤٨]. فمثّلت بذلك نسبة مقدارها حوالي ٤٪ من القيمة الإجمالية لواردات اللواء تلك السنة. وكان نصيب الحديد والأدوات الحديدية من ذلك المبلغ قرابة ٦٧٪، والباقي للنحاس والصفر والرصاص، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات المعادن إلى العراق عبر ميناء البصرة في تلك السنة بلغت

ما مجموعه (٤٥٤,٣٦٦) دولار[٤٩]. وعلى هذا تكون حصة اللواء من القيمة الكلية تلك حوالي ٢,٦٪ فقط، وانخفضت في السنة التالية قيمة واردات اللواء من المعادن عما كانت عليه في السنة السالفة بنسبة ٥٢٪، فلم تتجاوز (٥,١٣٢) دولار[٥٠]. وأدى ذلك إلى تدني إسهامها في القيمة الاجمالية لواردات اللواء تلك السنة ٢,٥٪. كما أدىّ إلى خفض نصيب اللواء من القيمة الكلية لواردات المعادن إلى العراق كلّه تلك السنة حوالي ١٪ فقط، إذ كانت قيمة ما وصل ميناء البصرة من المعادن تلك السنة (٥١٦,٢١٤) دولار[٥١].

واستورد لواء كربلاء خلال سنة ١٩١٠م من القهوة ما قيمته (٣، ٤٧٥) دولار[٥٢]. وهي قيمة ضئيلة لا تناسب ما هو معروف من كون القهوة المشروب الشعبي الأول للسكان العرب حينئذ، ولعل ذلك عائد لوجود مخزون من القهوة لدى تجار اللواء منذ السنة المنصرمة، جعلهم يحجمون عن استيراد المزيد منها، ويذكر أن القيمة الكلية لواردات العراق من القهوة عبر ميناء البصرة تلك السنة كانت(٢٦٦، ٨٦٧) دولار[٥٣]. وبهذا تكون حصة اللواء من تلك القيمة الكلية قرابة ١، ٣٪ فقط، وكانت قيمة واردات القهوة سنة ١٩١١م هي الاستثناء بين بقية بنود قائمة واردات اللواء، حيث تدنّت جميعها إلّا هي. فإنها ازدادت بنسبة تفوق٥٣٪ عما كانت عليه في السنة المنصرمة، حيث بلغت (٥، ٣٤٦) دولار[٥٤]. وترتّب على ذلك ازدياد إسهام القهوة في القيمة العامة لـواردات اللواء تلك السنة إلى ٢، ٧٪ بعد ان كانت تقل عن ١، ٢٥٪ في السنة المنصرمة، وأدى ذلك أيضاً إلى ارتفاع حصة اللواء من القيمة الكلية لواردات العراق من القهوة عبر ميناء البصرة تلك السنة إلى ما يزيد عن ١، ٥٪ إذ بلغت قيمة القهوة المستوردة إلى ذلك الميناء تلك السنة (٣٥٣، ٢٦٣) دولار[٥٥].

إزداد إقبال العراقيين على استهلاك الأنسجة الصوفية المستوردة[٥٦]. لذا كانت الأقمشة الصوفية بنداً آخر من بنود قائمة السلع المستوردة إلى لواء كربلاء خلال سنتي البحث، ففي سنة ١٩١٠م بلغت قيمة ما استورد منها إلى اللواء (٥، ٩٠٥) دولارات[٥٧]. وبذا مثّلت نسبة تقرب من ٢٪ من القيمة العامة لواردات اللواء تلك السنة، وبما أن القيمة الاجمالية لواردات العراق كلّه من الأقمشة الصوفية التي وصلت ميناء البصرة تلك السنة كانت (٢٩٥، ٠٩٩) دولار[٥٨]. فإن حصة لواء كربلاء منها تبلغ ما نسبته٢٪ تقريباً. أما في سنة١٩١١م فقد بلغت واردات اللواء من الأقمشة القطنية (٤، ٠٦٨) دولار[٥٩].

وسجَّلت بذلك تدنياً نسبته حوالي٣١٪ مما كانت عليه السنة المنصرمة، ومع ذلك ظل إسهامها في قيمة الواردات العامة إلى اللواء قرابة ٢٪، ولكن حصتها من القيمة الكلية لواردات العراق من الأقمشة الصوفية تدنّت إلى ما دون ١,٨٤٪ فقط، إذ بلغت تلك القيمة الكلية للأقمشة الواردة عبر ميناء البصرة تلك السنة (٤٣٧,٧٨٩) دولارا[٦٠].

وحوت قائمة السلع المستوردة إلى لواء كربلاء خلال سنتي الدراسة أواني زجاجية وبلورية، بلغت قيمة وارداتها سنة ١٩١٠م مبلغ (٤,٧٦٣) دولاراً[٦١]. فمثّلت بذلك قرابة ١,٧٪ من القيمة العامة لواردات اللواء تلك السنة، ولكن قيمة واردات تلك السلعة إلى اللواء تدنّت سنة ١٩١١م إلى (٤,٣٧٣) دولارا[٦٢].

ومع ذلك فإن أساهمها في القيمة العامة لواردات اللواء تلك السنة ارتفع عما كان عليه في السنة المنصرمة، فبلغت نسبته أكثر من ٢,٢٪، وهذا عائد لانخفاض قيمة واردات بقية السلع بنسبة أكثر قياساً لهذه السّلعة، وكانت واردات ولاية بغداد بمجملها من الأواني الزجاجية خلال سنة ١٩١١ قد بلغت قيمتها (١٣٥,٥٨٠) دولار[٦٣]. وبذا يكون نصيب لواء كربلاء من تلك القيمة حوالي ٧,٥٪.

ولم ينتبه القنصل الأمريكي وهو يعدّ تقريره الآنف الذكر عن تجارة لواء كربلاء إلى نشاط تجاري كبير كان يجري حينئذ في مدينة النجف التابعة لذلك اللواء، إذ كانت تلك المدينة أحد مراكز تجميع الإبل التي كانت تساق بعد ذلك في قطعان كبيرة شمالاً بمحاذاة نهر دجلة حتى مدينة الموصل، وتوجّه من هناك إلى حلب والإسكندرية، وكانت النجف أيضاً مركزاً نشطاً لتجارة القوافل البرية مع حائل والقصيم، حيث كانت تصلها باستمرار بعثة تجارية من حائل[٦٤].

وكان أمير حائل نفسه يزور النجف بانتظام للإشراف شخصياً على صفقات الامتياز[٦٥]، كما كانت جالية من تجار النجف ((المشاهدة)) يقيمون في بعض بلدات شمال نجد لغرض المتاجرة[٦٦].

وفضلاً عن النجف كانت هناك سوق دورية تقام في بدة ((شفاثة)) التابعة إدارياً للواء كربلاء، فيتردّد عليها البدو للقيام بما يسمونه ((المسابلة)) أي الامتياز، وكانت السلع التي تذهب من النجف إلى نجد عبر تلك الطريق تتألّف من الأقمشة القطنية الملونّة والسكر والبن والمواد الحديدية[٦٧].

كما كانت امتدادات مستمّرة من الحبوب تنقل من النجف إلى حائل حين تندر هناك في بعض المواسم[٦٨]. ويتولّى نجديون من ((العقيلات)) عادة مهمة النقل عبر الصحاري العربية[٦٩].

جدول رقم (١)

صادرات لواء كربلاء خلال عامي ١٩١٠ـ١٩٩١(*)

السلعة	القيمة سنة ١٩١٠ بالدولار	القيمة سنة ١٩١١ بالدولار
تمور	٣٥٩٦٤	٤٨٦٠٠
جلود ابقار	١٧٤٩	٢٦٢٤
جلود اغنام	١٢٣٤٤	١٥٤٣٠
مصارين (أمعاء اغنام)	١٢٦٤	١٥٧٩
تحف وأواني نحاسية	٧٦١١	٣٩٣٦
أحذية	٧٠٥	٣٨٩
صوف	٩٢٣٤	١٣١٢٢
المجموع	٦٨٨٧١	٨٥٦٨٠

جدول رقم (٢)

الأقطار المستوردة لأهم صادرات ولاية بغداد وبضمنها لواء كربلاء سنة ١٩١١م مرتبة حسب أكبر قيمة(**)

السلعة	القطر المستورد
تمور	تركيا، الهند، مصر، فرنسا، الصين
جلود	فرنسا، تركيا، بريطانيا، المانيا، الهند، أمريكا
أمعاء	أمريكا، تركيا، المانيا
صوف	بريطانيا، فرنسا، المانيا، أمريكا، تركيا

جدول رقم (٣)

واردات لواء كربلاء خلال عامي ١٩١٠ـ١٩١١(***)

السلعة	القيمة سنة ١٩١٠ بالدولار	القيمة سنة ١٩١١ بالدولار
فحم نباتي	١٠٩٣	٨٧
ساعات يد وحائطية	٢١٨	٤٣٧
قهوة	٣٤٧٥	٥٣٤٦
نحاس وبرونز ورصاص	٣٤٩٩	١٣٩٠
أقمشة قطنية	٦٦٠٤٧	٤٧٤٥٧
غزول قطنية	٥٦٨٧	٣٤٩٩
أواني زجاجية وبلورية	٤٧٦٣	٤٣٧٣
نبله	٦٣٢	٤٣٧
حديد وأدوات حديدية	٧١٦٨	٣٧٤٢
ثقاب (شخاط)	٢١٨٧	١٨٤٧
سلع غير موصفة	٢٠٢٩٠	٩٧٢٠
ورق تعبئة وقرطاسية	١٠٠٦	١٠٢٠
نفط ابيض(كيروسين)	١٦٠٣٨	٩٧٢٠
احجار رحى	٦٩٩٨	١٤٥٨
سكر	١٠٠٦٠٢	٧٨٧٣٢
تمر هند	١٥٣١	١٣١٢
شاي	١٠٩٣٥	٦٠٧٥
اقمشة صوفية	٥٩٠٥	٤٠٦٨
أعمدة وألواح خشبية	١١٦٦	١٢١٥
متفرقات	١٨٥١٩	١٣٦٠٧
المجموع	٢٧٩٢٩٠	١٩٦٤١٧

جدول رقم (٤)

مناشئ أهم السلع المستوردة إلى ولاية بغداد وبضمنها لواء كربلاء سنة ١٩١١ م مرتبة حسب القيمة الاكبر(****)

السلعة	بلد المنشأ
فحم نباتي	الهند
قهوة	بريطانيا، الهند، فرنسا، المانيا
اقمشة قطنية	بريطانيا، الهند، النمسا، المانيا، فرنسا
غزول قطنية	الهند، النمسا، بريطانيا
أواني زجاجية	تركيا، النمسا، المانيا
حديد وأدوات حديدية	بلجيكا، بريطانيا، الهند
ثقاب (شخاط)	بريطانيا، بلجيكا
ورق تعبئة وقرطاسية	النمسا، الهند، بلجيكا
نفط	الولايات المتحدة الامريكية، روسيا
سكر	بلجيكا، النمسا، فرنسا، المانيا، بريطانيا، الهند
شاي	الهند
اقمشة صوفية	بريطانيا، النمسا
نحاس	بريطانيا، بلجيكا، الهند

الهوامش والمصادر

(١) جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠١م، ص١٢٤.

(٢) National Archives and Records Administration, Washington, D.C. (Here aftter Nara), Rg 84, File No, 681, "Report an the trade of Karbala", be am Com, Baghdad, dated (Here after No, 681).

ولكن (لوريمر) يذكر أن عدد سكان مدينة كربلاء لوحدها كان مطلع القرن العشرين خمسين ألف نسمة، راجع: لوريمو، ج.ج.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ترجمة ونشر ديوان أمير قطر، الدوحة، د.ت.، ج٣، ص ١٢١٠، وتذكر دراسة حديثة أن هدد سكان مدينتي كربلاء والنجف كان حينئذ يبلغ حوالي ثمانين ألف نسمة، راجع نقاش، شيعة العراق، قم ١٩٩٨م، ص٢٦-٢٧.

(٣) Nara, RG 84, "Annual trade Report of the Baghdad Consular District in 1911", by Am. com, bag, dated 30/7/1911).

وقد قدرَّت التخمينات البريطانية عدد سكان العراق كلّه سنه ١٩٠٥م بـ(٢، ٢٥٠، ٠٠٠) نسمة، راجع: محمد سلمان حسن، التطوّر الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي، بيروت، ١٩٦٥م، ج١، ص٤١.

(٤) لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٣٨-١٠٣٩.

(٥) Nara, RG 84, NO, 681.

(٦) NARA, rg, 84, "Foreign Trada Opportunltles" by Am. Con bag, dated 5/10/1907.

(٧) اضطراب الأوضاع الداخلية في فارس منذ قيام الانقلاب الدستوري سنة ١٩٠٦م وغدت مناطق غرب فارس المتاخمة للعراق خلال السنوات التالية ميداناً للصراع بين قوات الحكومية الدستورية وأنصار الحكم الملكي المطلق، راجع: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، بيروت ١٩٩٨م، ص٦٧٥-٦٨٢.

(٨) كارل بركلمان، المصدر السابق، ص٦٧٥-٦٨٢.

(٩) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١٠) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١١) لوريمر، المصدر السابق، ج٥، ص١٧٢٥.

(١٢) NARA, RG 84, NO, 68L .

(١٣) NARA, RG 84, "ANNUAL Trade Report OF Baghdad Consular Districr For THE 1910, BY AM, COM, BAG, dated 18/4/1912, (Hereafter Annual... 1910).

(١٤) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١٥) NARA, RG 84, annual... 1911

(١٦) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص٢١٥.

(١٧) NARA, RG 84, NO, 68L.

(١٨) Ibid.

(١٩) NARA, RG 84, ANNUAL..1910.

وروي أنها بلغت (٤٤٣، ٢٣٣) جنيها، أي (٢، ٢٥٤، ١١٢) دولاراً، راجع: حسين محمد القهواني، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤م، البصرة ١٩٨٠م، ص٤٥١.

(٢٠) NARA, RG84, Annual...1910.

(٢١) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٢) NARA, RG84, Annual... 1911.

(٢٣) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٤) NARA, RG84, Report on the Trade of Bassrah during the year 1910: by AM. Consular Agent, Bassrah, dated 23/5/1911. (heneafter Report... Bos...1910).

(٢٥) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٦) NARA, RG84, Annual... 1911.

وذكر أن قيمة صادرات الجلود العراقية من ميناء البصرة تلك السنة بلغت(٥٣، ٠٧٠) جنيها، أي (٩٢٠، ٧٥٣) دولار. راجع: القهواتي، المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٢٧) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص١٤٨-١٤٩

(٢٨) NARA, RG84, NO. 68L.

(٢٩) Ibib.

(٣٠) NARA, RG84, Report... Bas...1910... .

(٣١) NARA, RG84, file No. 600, No. 73, Trade Report of the city of Mosul, by Am.Bag, daled 1/2/1913

(٣٢) NARA, RG84, foreign trade of Baghdad

consular District in 1913. By AM. Vice com. Bag.. Dated 12/6/1914.(Hereafter foreign…1913).

(٣٣) NARA, RG84, Annual… 1911

(٣٤) NARA, RG84, Annual… 1911

(٣٥) NARA, RG84, NO. 68L.

(٣٦) NARA, RG84, Report… Bas…1910…

(٣٧) NARA, RG84, NO. 68L

(٣٨) NARA, RG84, Annual… 1911

(٣٩) NARA, RG84, No.68L

(٤٠) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٤١) NARA, RG84, No.68L

(٤٢) NARA, RG84, Annual… 1911

(٤٣) NARA, RG84, No.68L

(٤٤) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٤٥) NARA, RG84, Foreign…. 1913

(٤٦) NARA, RG84, NO. 68L.

(٤٧) NARA, RG84, Annual…1911 والقهواتي، المصدر السابق، ص٤٥٣.

(٤٨) NARA, RG84, No. 68L

(٤٩) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٥٠) NARA, RG84, No. 68L

(٥١) NARA, RG84, Annual… 1911

(٥٢) NARA, RG84, No.68L

(٥٣) NARA, RG84, Report… Bas…. 1910

(٥٤) NARA, RG84, No.68L

(٥٥) NARA, RG84, Annual… 1911

(٥٦) NARA, RG84, Forelgn…1913

(٥٧) NARA, RG84, No.68L.

(٥٨) NARA, RG 84, Annual….1910.

(٥٩) NARA, RG84, No. 68L

(٦٠) NARA, RG 84, Annual….1911.

(٦١) NARA, RG84, No. 68L.

(٦٢) Ibid.

(٦٣) NARA, RG 84, Annual….1911.

(٦٤) لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص٩٩٨.

(٦٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢٥.

(٦٦) مضاوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والجديد، لندن، ٢٠٠٢م، ص٨٧.

(٦٧) لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص٩٩٨.

(٦٨) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢٥.

(٦٩) عن دور العقيلات التجاري في المنطقة راجع: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، نجديون وراء الحدود، لندن، ١٩٩١م.

* NARA, RG 84, Flle No. 600, No.68 L.

** NARA, RG 84, Annual….1911

*** NARA, RG 84, FIL, NO. 600, NO 68L.

**** NARA, RG 84, Annual….1911

الحراك المدني في المجتمع الكربلائي

دراسة تاريخية

الدكتور

ماهر حميد مجيد

المعهد التقني - كربلاء

The Civil Society Movements in Karbala

A Historic Study

Dr. Mahir Hameed Majeed

Dean of the Institution of Technology / Karbala

Abstract

This paper discusses the history of the civil society movements in the city of Karbala as an analytical study of the different formations of the organizations, institutions and associations. It also reveals the effect of these movements on the social life as well as the political and economic changes occurred in this city.

In order to achieve the aim of this study, the researcher has explained the concept of the civil society, its basic roles and its various formations. Then, a historic review is introduced about the most significant organizations, events and foundation circumstances.

Throughout this study, the researcher sheds light on the political positions of these movements towards the political and military conditions at that time in order to analyze its consequences and impact on the different aspects of life in Karbala.

It is concluded that the civil society had an important role in the social construction of any society. Secondly, the integrative work of Karbala society had a positive impact on the mature civil experiences achieved by the people of Karbala that had its important effect on the Iraqi society as a whole.

الملخص

يناقش هذا البحث حركة المجتمع المدني لمدينة كربلاء في تأريخها، الحديث على الغالب، من خلال دراسة تحليلية لتشكيلاته المختلفة من منظمات ومؤسّسات وجمعيات، وكيف كان لها الأثر المتنوّع على الحياة الاجتماعية لمجتمع مدينة كربلاء، ودوره في أحداث التغييرات السياسية والاقتصادية في المدينة.

ولتحقيق هذا الغرض البحثي فقد تطرَّق البحث إلى مفهوم المجتمع المدني وماهية أدواره الأساسية وتشكيلاته المتنوّعة، ثم استعرض تأريخياً اهمّ تلك التشكيلات في مدينة كربلاء وأهم الأحداث التي مرَّت بها وظروف تأسيسها.

وقد تناول البحث أهمّ المواقف التاريخية لتلك التشكيلات ازاء الأحداث السياسية والعسكرية التي مرّت بها المدينة، ومن ثم دراسة أثرها على مختلف نواحي الحياة في المدينة.

وقد خلص هذا البحث إلى استنتاجات تُبيِّن اهمية دور المجتمع المدني في البناء الاجتماعي لأي مجتمع، ومدى اندماج المجتمع الكربلائي في عمل تشكيلات المجتمع المدني المختلفة والذي كان له الاثر البالغ في النضج المدني الذي تعيشه المدينة وأهميتها الاجتماعية ضمن النسيج العراقي العام.

المقدّمة

كلمة مجتمع، لغة، مشتقّة من فعل جمع يجمع، واصطلاحاً هو مكان الاجتماع، ويُعبَّر عنه على أنه الحالة الحاصلة من اجتماع قوم لهم مصالح يشتركون فيها[١].

وطبيعة الإنسان اجتماعية ومدنيّة بالفطرة، نظراً لتميزه النُّوعي عن جميع الكائنات الحية، بعقله، ووعيه وقدرته على التجريد والاستنتاج الذهني، وقدرته على التفكير والنطق اللغوي، ونقل الأفكار والمعاني والآراء عن طريق استخدام اللغة كوسيلة اتصال بين النّاس بعضهم ببعض، وشعوره النفسي، وبالعقل والتعلّم، فإنه من غير الممكن أن يعيش هذا الإنسان في معزل عن أخيه الإنسان.

فالإنسان كائن اجتماعي على حدّ قول أرسطو، والإنسان مدني بالطبع، كما قال ابن خلدون[٢].

وقبل هذا وذاك، فقد ذكر القرآن الكريم تلك الطبيعة الاجتماعية للانسان في محكم كتابه الكريم حين قال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

وهذه الطبيعة الاجتماعية الفطرية للإنسان تُحتّم عليه أن يكون متفاعلاً في بوتقة اجتماعية ذات أُطر ثقافية ومعرفية مشتركة، ويقتضي هذا التفاعل أن تكون تلك البوتقة ذات قيم وأهداف معيّنة، وذات تنظيم وترتيب عملي، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه في مفهومنا الحديث بـ(المنظمة).

ويمكن تعريف المنظمة على أنها (هيكل من الفعاليات المتداخلة والموجّهة لتحقيق هدف معيَّن[٤]، في حين يُعرِّفها (Stephen) على أنها (تكوين اجتماعي منظّم بوعي، له حدود واضحة المعالم يعمل على أساس دائم لتحقيق هدف معين أو مجموعة أهداف)[٥].

أما (Dessler) فيعرِّفها على أنها (عبارة عن الإدارة الوظيفية، وتعني ادارة مجموعة من الوظائف المتنوّعة)[٦].

وتتنوّع المنظمات تبعاً لتنوع أهدافها وأُسس تشكيلها، ويمكن تصنيفها حسب الأنواع الآتية[٧]:

١ـ المنظّمات العامة:

تعود ملكيتها في الغالب للدولة، وفي حالة وجود ملكية مشتركة تخضع أنشطتها لقوانين وأنظمة تهدف إلى خدمة المواطنين، فتقدّم سلع أو خدمات، وتكون أسعارها عادة أقلّ من أسعار منظمات القطّاع الخاص في مثل هذه الخدمة أو السلع، ومثال ذلك:

الوزارات والمؤسسات والهيئات المستقلّة التي تُعنى بتوفير وتوزيع المياه، والكهرباء، والهاتف، وإنشاء الطرق ومدّ الجسور، وتنظيم الانتخابات وغيرها.

٢ـ منظّمات الأعمال:

عادة ما تكون ملكيتها بيد القطاع الخاص، وتعود منفعتها لأصحاب المنظّمة والقائمين عليها، وتشمل كافة النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، باستثناء النشاطات التي تحتكرها وتُشرف عليها الدولة مباشرة.

٣ـ منظّمات المجتمع المدني:

وهي منظّمات ذات صبغة خاصة بسبب مجال نشاطها وطبيعة أهدافها، وتضمّ منظمات العمل الاجتماعي الخيري في مجال الخدمة الاجتماعية التطوّعية والتعاونية، وكذلك النوادي، والنقابات، والمنظّمات الدولية ذات الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

و بما أن موضوع هذا البحث يتمحور حول النوع الثالث من أنواع المنظمات، فإنه لا بدّ من توضيح أشمل لمفهوم المجتمع المدني، ولكن بعد التعرّف على مشكلة البحث وأهمّيته وفرضيّته.

مشكلة البحث وأهميته

تتمحور مشكلة البحث حول مدى تأثير التشكيلات الاجتماعية المنظّمة في صناعة الأحداث التاريخية في المجتمع الكربلائي، وما هو حجم تلك التنظيمات وفاعليتها، وما هي الشرائح الاجتماعية التي تفاعلت معها، وما هي أبرز مواقفها تجاه الأنظمة الحاكمة، وما هو مدى تسليط الضوء من قبل المؤرّخين على تلك التشكيلات، وأخيراً، ما هو امتدادها الحاضر في المجتمع الكربلائي؟.

فرضية البحث:

يفترض البحث أن للتشكيلات الاجتماعية التي شهدها مجتمع كربلاء دوراً بارزاً في تنظيم المجتمع الكربلائي وإحداث الحراك اللازم لتجرئته على المطالبة بحقوقه وعدم خضوعه للاحتلالات البغيضة إو الأنظمة الديكتاتورية الحاكمة، وأن التنظيمات الاجتماعية عموماً ضرورة اجتماعية لإدامة الحيوية والفاعلية في المجتمع

المبحث الأول:

مفهوم المجتمع المدني

يرى عباس فاضل محمود[٨] بأن مفهوم المجتمع المدني، كمفهوم أيديولوجي، من المفاهيم الحديثة نسبياً والتي برزت بصورة واضحة على الساحة السياسة والاجتماعية خاصة في الدول الأوربية على وجه الخصوص مع بداية عقد الثمانينات من العقد المنصرم، غير أن جذوره التاريخية والفلسفية كوجود حقيقي على أرض الواقع من خلال هياكل تنظيمية محدّدة تعود إلى أبعد من ذلك التاريخ بكثير، بوصفه أهم الآليات والوسائل الحديثة التي تُنظِّم العلاقة بين الدولة والمجتمع على وفق الصيغ الديمقراطية التي تقوم على الاحترام والتسامح والتعاون ونبذ العنف

والإقصاء والتهميش الاجتماعي والسياسي بين الاثنين من أجل الوصول إلى حالة من السّلم المجتمعي وهو ما تسعى إليه الحكومات عبر عدّة طرق ووسائل حضارية ومنها أطروحة المجتمع المدني. إلّا أن الإشكالية التي عادة ما تُثار حول هذا المفهوم هو أنه غربي النشأة وأن معالمه الرئيسة تشكّلت في إطار المنظومة المعرفية الغربية من خلال نتاجات المفكّرين الأوربيّين في القرنين الثامن والتاسع عشر ومن ثم لايمكن التعامل معه في المجتمعات الإسلامية إلّا بعد التأصيل له نظرياً وعملياً، وبإمكاننا تجاوز هذه الاشكالية إذا ما نظرنا إلى المجتمع المدني كآلية أو صيغة عملية تضمن حقّ المواطن في التعبير عن رأيه بحرية والدفاع عن مصالحه ضمن إطار مؤسّسي منظّم هو المجتمع المدني.

وثمة تجاوز آخر إلى مثل هذه الإشكالية عندما نُحللّ الواقع التاريخي لمجتمعاتنا الإسلامية والذي تضمّن ذكراً وجودياً حقيقيا لمنظّمات المجتمع المدني والتي كانت لها أدوارها وتأثيراتها الحقيقية في المجتمع.

ولعلّه من أهم وظائف المجتمع المدني التي تمكّنه من القيام بدوره المذكور هي ما يمكن تلخيصها في النقاط الآتية [٩]:

١. وظيفة تجميع المصالح.

٢. وظيفة حلّ الصراعات والنزاعات المجتمعية وحسمها.

٣. زيادة الثروات وتحسين الأوضاع الاقتصادية، والاهتمام بالطّاقات الثقافية المبدعة وتنميتها.

٤. إفراز القيادات الجديدة في المجتمع.

٥. صناعة ثقافة المجتمع وترسيخها.

ومن خلال ما سيتم استعراضه تاريخياً عن المجتمع المدني في مدينة كربلاء ستتّضح جلياً تلك الأدوار الأساسية وكيف قامت بها التشكيلات المختلفة للمجتمع المدني الكربلائي.

ومن خلال ما تمّ استعراضه، يمكن استخلاص العوامل المشتركة أو العناصر الأساسية لتشكيل منظّمات المجتمع المدني، فبناء على ما ورد عن مؤسسة الكومنولث[١٠]، فإن منظّمات المجتمع المدني تتميّز بأربع خصائص رئيسة هي:

١. تُشكَّل على أساس تطوعي من قبل المواطنين: هناك عنصر المشاركة التطوّعية في المنظمة، بما في ذلك المتطوّعين من الموظفين ومن أعضاء مجلس الإدارة.

٢. الإستقلالية: تعمل منظمات المجتمع المدني ضمن ووفق قوانين الدولة، لكنه يتمّ السيطرة عليها من قبل مؤسّسيها ومن قبل أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين أو المعينين ولا تتحكّم الحكومات في طبيعة عملها مالم تتعارض مع الدستور العام للدولة، وهي بذلك تُسمّى منظّمات غير حكومية. ويعتمد الوضع القانوني للمنظمة غير الحكومية على حرية تشكيل الجمعيات – الذي هو أحد حقوق الإنسان الأساسية.

٣. غير ربحية: لا تهدف المنظمات غير الحكومية إلى تحقيق مكاسب خاصة أو أرباح، إذ تستطيع توليد الإيرادات، فقط من أجل مواصلة ومتابعة مهمّتها. من الممكن أن يتقاضى موظفو المنظمات غير الحكومية أجوراً ورواتب مقابل العمل الذي يؤدونه، لكن أعضاء مجلس الإدارة لا يتلقون عادة أية أجور، ولكن يستردوا قيمة ما أنفقوه وصرفوه.

٤. لا تخدم المآرب والأغراض أو القيم الخاصة والذاتية - يجب أن تكون أهداف وغايات المنظمات غير الحكومية تطوير وتحسين أوضاع وظروف الناس، وتناول القضايا الحساسة والحاسمة للمجتمع بأسره أو لقطاعات معينة.

المبحث الثاني:

خصائص المجتمع الكربلائي

بما أن المجتمع الكربلائي وكيفية تفاعله داخل بوتقة منظمات المجتمع المدني تاريخياً هو موضوع البحث، كان لا بدّ من التعرّض إلى أهم الخصائص العامة للمجتمع الكربلائي والتي تُعدّ ذات ثبات نسبي طبقاً للقواعد المجتمعية التي تأسّست عليها المدينة، فمدينة كربلاء لم تكن شيئاً ذو بال قبل مجيء الإمام الحسين عليه السلام لها مع أهله وأصحابه عام (٦١هـ)، واستشهادهم جميعا في السنة ذاتها على أرضها في موقعة الطف الأليمة، ولولا أن الجسد الشّريف للإمام الحسين عليه السلام قد دُفن فيها لما سُكنت ولما شهدت إقبالا عالياً في الهجرة والاستقرار فيها للتبرّك بمجاورة المرقد الشّريف، فتكونّت المدينة على هذا الأساس، وأصبحت ذات أهمية كبرى كما يرى ذلك كبار المؤرّخين لها كالسيد محمد حسن مصطفى الكليدار والسيد عبد الرزاق عبد الوهاب آل طعمة والسيد عبد الصاحب نصر الله وآخرين[١١].

ولهذه المدينة هويّة خاصة وثابتة، هي هوية الثورة الحسّينية التي استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وأبرز خصائصها هي التحرّر من العبودية لغير الله تعالى، والتحرر من طاعة أهل الظلم والطغيان والانحراف، والعزّة التي لا تقبل الذلة، فمثل هذه الخصائص أصبحت الصبغة العامة للمجتمع الكربلائي، ومن افرازات هذه الصبغة كانت المنظّمات والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية التي سعت في مجملها إلى المحافظة على تلك الخصائص.

و في نظرة ذات مقاربة واقعية يمكن إيجاد أوجه التشابه الكبيرة بين خصائص المجتمع الكربلائي والخصائص الأربع الرئيسة لتشكيل منظمات المجتمع المدني والمذكورة آنفاً، وعلى النحو الآتي:

١. الطوعية، فالمجتمع الكربلائي قد نشأ على اساس خدمة زائري مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام منذ القدم والى يوم الناس هذا، فمواكب الخدمة وبذل الطعام والشّراب للزائرين عمل تطوّعي يُشارك فيه غالبية أهل المدينة المقدّسة وجوارها، ، وهذه الروّح الطوعية تؤهّلهم للانخراط في العمل

المجتمعي الهادف والمنظّم في التشكيلات المختلفة للمجتمع المدني.

٢. الاستقلالية، فمجتمع كربلاء تكون في صورته الاجتماعية بعدما قدم إليها واستشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام كما ذكر آنفاً، وهو بذلك ينهل مبادئه وقيمه من مبادئ وقيم الإمام الحسين عليه السلام، والتي ترفض في مجملها الخضوع للحاكم والتسليم له بذلّة، فكان ذلك ديدن أهل المدينة، وقد كلّفهم ذلك العشرات من الغزوات والغارات عبر تاريخها الطويل، وكل ذلك طلباً منهم لاستقلالية الفكر وحرية التعبير، وهذه الاستقلالية كانت مُحفّزهم الأكبر للانخراط في العمل المجتمعي المدني.

٣. اللاربحية، فمجتمع كربلاء دأب كما ذكر في الفقرة الأولى على خدمة الناس طواعية، يبتغي بذلك الأجر والثواب وحسن التواصل مع الناس، وهم بذلك آثروا على أنفسهم التربّح المشروع من النّاس، وهذا من تاريخ تاسيس المدينة والى يوم الناس هذا، فاليوم يرى المراقب حشوداً مليونية تفد على المدينة من مختلف الجنسيات وتُقيم فيها زهاء الشّهر وتأكل وتشرب وتبيت دون أن تدفع ديناراً واحداً.

وبمقارنة بسيطة مع مدن السياحة في العالم، فإن مثل هذه الزّيارات المليونية تكون فرصة عالمية للتربّح والاتجار، غير أن الكربلائيين، والمقصود بهم كلّ مَن يسكن مدينة كربلاء بغض النظر عن أصله ومشربه، يؤثرون على أنفسهم، وقد يكون ذلك تفسير انخفاض المستوى الاقتصادي العام للمدينة، فهي لم تشهد عبر تاريخها الطويل أوضاعا اقتصادية مرفّهة أو رؤوس اموال ضخمة مقارنة بما قد حصل في مدن عراقية أخرى كبغداد أو البصرة أو الموصل أو حتى مدينة النجف الأشرف.. وهذه اللاربحية سهّلت كثيراً تقّبل المجتمع الكربلائي لعمل منظّمات المجتمع المدني فيه.

٤. عمومية المصلحة، فكما أن الإمام الحسين عليه السلام لعموم المسلمين، بل لعموم الأحرار في العالم، كانت كربلاء بأهلها وثرواتها وخدماتها لكلّ الناس، فلا تكاد أن تجد فيها مدخِّراً لمصالح ذاتية، بل يتمّ تغليب المصلحة العامة على الخاصة كسمت عام في المدينة، وتكاد أن تكون هذه الخصيصة هي الركن الرشيد لعمل منظمات المجتمع المدني.

المبحث الثالث:

أهم تشكيلات منظمات المجتمع المدني العاملة في التاريخ الكربلائي

نظرا لارتباط أهم أعمال المنظّمات المؤسّسة في كربلاء بالأحداث المهمة والبارزة التي وقعت في المدينة، ووفقا لسنة تأسيسها أو تشكيلها، فسيتم عرض تلك المنظمات وفق مراحل زمنية مقسَّمة وحسب ما يأتي:

المطلب الأول:

مرحلة ما قبل تأسيس الدّولة العراقية الحديثة في عام ١٩٢١م

لم يكن لمنظّمات المجتمع المدني وجود بعيد التاريخ قبل تأسيس الدّولة العراقية الحديثة في عموم العراق، فضلاً عن كربلاء، إذ كانت التشكيلات المؤثّرة فعلياً في المجتمع الكربلائي هي الحوزات العلمية والمدارس العلمية والفكرية والتي تميزَّت بكثرتها في التاريخ الكربلائي، ولكن بعد تصاعد دعوات التحّول إلى المدنية في ظل هيمنة الدولة العثمانية برز أوّل ظهور رسمي وحقيقي لمنظمات المجتمع المدني، وخصوصاً في مدينة كربلاء المقدّسة، ويتطّرق هذا البحث إلى منظَّمتين أساسيتين تشكَّلتا خلال تلك الفترة، وهما:

أولاً: جمعية الإتحاد والترقّي

تأسّست في كربلاء عام ١٩٠٨م، وكانت امتدادا لـ(جمعية الإتحاد العثماني) والتي تأسّست في تركيا[١٢] عام ١٨٨٩م، وقد كان الغاية منها مكافحة الاستبداد التركي وأن لا تكون كربلاء مستعمرة أو ولاية عثمانية. وقد انتسب إليها عدد كبير من أبناء المدينة بحسب سعيد زميزم[١٣]، إذ كان هدف الجمعية ترسيخ الرفض الاجتماعي لـلإدارة العثمانية، وهو هدف اجتماعي قبل أن يكون سياسي، وقد نجحت الجمعية في ذلك، حيث اندمج نشاطها في كربلاء مع نشاطها في سائر الولايات الأخرى الخاضعة للحكم العثماني آنـذاك، وعندما حـدث الانـقـلاب على الدولة العثمانية وسقوط آخر سلاطينها عبد الحميد الثاني في ١٩٠٩م، كان الأثر الاجتماعي واضحاً، إذ لم تنبثق من داخل كربلاء أيّ معارضة تُذكر للانقلاب، ولم تظهر أي دعـوات منادية بعودة الامبراطورية العثمانية كما يحدث عادة بعد نجاح الانقلابات والثّورات عبر التاريخ.

ثانياً: الجمعية الوطنية الإسلامية

وهي جمعية سريّة تألفت على أثر قيام الشيخ محمد تقي الحائري بالزعامة الدينية[١٤]. هدفها الأسـاس هو مناوئة الاحتلال البريطاني وبث الدعاية الوطنية والتوفيق بين رؤسـاء عشائر الـفـرات الأوسـط وزعـمائـه في كـلّ من النجف الأشرف والحلّة والمشخاب والشامية والرميثة والسماوة لإزالة ما أحدثته سياسة الاستعمار من ضغائن وأحقاد، وهو هدف اجتماعي بامتياز. وكان لها دور فاعل في إشعال نار الثّورة العراقية الجبارة في عام ١٩٢٠[١٥].

كما تقدَّمت هذه الجمعية لانتخاب أحد أنجال الشَّريف حسين بن علي ملكاً على العراق[١٦].

لقد أرست هذه الجمعية مبدأ العمل المجتمعي المنظَّم الهادف إلى توحيد الجهود البشرية وتوحيد الصف لتحقيق هدف ما.

المطلب الثاني:

مرحلة الحكم الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)م

في هذه الفترة أُنشئت الدولة العراقية الحديثة، وحدثت خلالها تطورّات سياسية واجتماعية كبيرة، فأصبح للمجتمع دولته، ودستوره، وجيشه الوطني وشرطته، وساد شعور عام بالسيادة والاستقلالية، ولو بشكل جزئي، ولكنه أفضل بكثير من العيش تحت تسلط العثمانيين أو الانكليز. لذلك كان من الطبيعي أن تنشأ وتتشكّل خلال هذه الفترة الكثير من الجمعيات والمنظمات المدنية، غير أنها قد تشكّلت بعد عقدين على الأقل من تأسيس الدولة، أي بعد استقرار الدولة كدولة، بمؤسّساتها الخدمية والتعليمية والأمنية والصحّية وغيرها، وقد يكون ذلك اتجاها اجتماعيا صحيحا، كي لا تُزاحم المؤسسات الاجتماعية بقيّة مؤسّسات الدولة في أداء عملها خلال فترة تشكّلها وتأسيسها، بل تكون مكملة لعملها بعد اكتمال تكوينها الهيكلي ومعرفة مواطن القوة والضعف فيها بشكل واضح.

و يمكن ذكر أهم تلك المنظّمات المدنية المتشكّلة خلال هذه الفترة في قادم السطور:

أولاً: رابطة الشباب العربي

و تُسمّى أيضاً (جمعية ندوة الشباب العربي)، تأسّست سنة ١٩٤١ م، ترأسها المحامي محمد مهدي الوهاب آل طعمة، والغاية من إيجادها نشر الثقافة العامة ورفع المستوى الأدبي ومكافحة الأمية. ومن منجزاتها عقد الحفلات والتمثيليات وإنشاء مكتبة عامة وإصدار صحيفة باسم (الندوة)، كما أنها عقدت مؤتمرات وطنية في مناسبات مختلفة وكان يشترك فيها العشرات من الأدباء والشعراء ومن مختلف مدن العراق[١٧].

لقد أعطت هذه الجميعة للمجتمع الكربلائي أبعاداً وطنّية، بل وعربية، في التفكير والتقرير، وساعدت على نشر الوعي بالقضايا المجتمعية على الصعيدين الوطني والعربي، وعملت على تعزيز الشعور بالانتماء العابر للحدود الجغرافية لدى أبناء المدينة.

ثانياً: رابطة الفرات الأوسط

تأسّست عام ١٩٥٦م، وامتدّت بعملها حتى عام ١٩٥٩م[١٨]، وكانت عبارة عن جمعية أدبية تهدف إلى زيادة الوعي الثقافي بين الشباب الكربلائي، وقد أسّسها الشاعر مرتضى الوهاب مع مجموعة من معاصريه، كان ما يُلقى في ندوات الرابطة من أشعار ومحاضرات تُنشر في الصحف والجرائد العراقية آنذاك، بل وحتى اللبنانية، مثل مجلّة العرفان اللبنانية، وهذا يدل على أن صوت الجمعيات والمنظّمات المدنية العراقية كان لها صدى ثقافي وإعلامي أوسع من الوسط العراقي، وهو بالتالي يُمثّل الصّدى الكربلائي خارج الحدود العراقية.

ثالثاً: الجمعية الخيرية الإسلامية

تأسّست هذه الجمعية في كربلا عام ١٩٥٧م بعدما حصلت على موافقة وزارة الداخلية،

وهي بذلك تُعدّ أوّل جمعية كربلائية تعمل بشكل مجاز ورسمي، وكانت هويتها الرئيسة ثقافية تربوية وإرشادية خيرية، كما كان لها نظامها الداخلي المستقل، وقد شغل السيد صدر الدين الشهرستاني منصب أوّل رئيس لها[١٩]، وكانت لها نشاطات مهمة وخاصة في المناسبات الدينية إضافة إلى إصدار بعض النشرات، منها رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية، وهي نشرة اسلامية جامعة، ورئيس تحريرها هو الشيخ عبد الحسن البيضاني، ومجموع ما صدر منها ستة أعداد فقط.. توجد أعداد منها في مكتبة المتحف العراقي[٢٠].

لقد أسّست هذه الجمعية للعمل المدني المنظم من خلال امتلاكها لنظام داخلي وإجازة رسمية بالعمل، فقد وجّهت المجتمع إلى واقع أكثر وعياً وتنظيما من ذي قبل.

كما شهدت هذه المرحلة ظهور جمعيات وفروع لجمعيات عراقية داخل كربلاء كانت ذات نشاط محدود، ولكنها ساعدت على نشر الوعي العام بثقافة المجتمع المدني في مدينة كربلاء، ويذكر المؤرخّون منها فرع جمعية تشجيع المنتجات الوطنية الذي تأسّس عام ١٩٣٤م[٢١]، وفرع جمعية مشروع الفلس الذي تأسّس عام ١٩٣٦م[٢٢]، وفرع جمعية حماية الطفل المتأسّس في ١٩٤١م[٢٣]، والجمعية الخيرية الشبيرية التي تأسّست عام ١٩٤٩م، والجمعية التعاونية الاستهلاكية المحدودة وجمعية بناء المساكن التعاونية المحدودة اللتان تأسّستا في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي وقبيل ثورة عام ١٩٥٨م بحسب مواقع الكترونية غير معتمدة.

المطلب الثالث:

مرحلة الحكم الجمهوري غير الديمقراطي في العراق (١٩٥٨ـ٢٠٠٣م)

بعد أن قام عبد الكريم قاسم بانقلابه في ١٤ تموز عام ١٩٥٨م، دخلت الدولة العراقية في مرحلة جديدة، حيث تحوّلت من الملكية إلى الجمهورية، وأصبح طابع الانقلابات العسكرية هو سيّد الموقف حتى حُسم من قبل السلطة البعثية الدكتاتورية التي توجّت صدام حسين في شبه انقلاب عام ١٩٧٩م، ثم انتهى هذا العصر في سقوط النظام عام ٢٠٠٣م وتحوّل الدولة إلى مرحلة الحكم الديمقراطي.

إن أرز ما تميَّزت به تلك المرحلة هو عدم الاستقرار السياسي الذي ألقى بظلاله على الحالة الاجتماعية، وبالتالي كان من الصعب أن تتشكَّل الجمعيات والمنظمات الاجتماعية إلّا بما يتوافق مع الرؤية السياسية الحاكمة، هذا في ما قبل حكم البعث.

أما بعد حكم البعث فكان من المستحيل تقريباً تشكيل المنظمات المدنية بسبب سطوة الفكر الواحد وشوفينية الحزب الحاكم.

ولكن المرحلة الجمهورية اللاديمقراطية في العراق لم تخل من ظهور بعض المنظمات المدنية، والتي كان لها دورها المهم وخصوصا في المجتمع الكربلائي، وبالتالي يمكن ذكر بعض منها وكما يأتي:

أولاً: ندوة الخميس

تأسَّست عام ١٩٦٧م. وهي جمعية أدبية أُقيمت في دار السيد سلمان هادي آل طعمة[٢٤]، وأُلقيت فيها بحوث قيّمة ونُوقشت خلالها عدة نتاجات موسمية. وكانت تعقد امسياتها مساء كلّ يوم خميس. وقد انضمّ إليها معظم أدباء كربلاء الشباب وأدباء العراق، وقد استمرّت عاماً واحداً وكان لها نشاط ملحوظ.

يتبيَّن من هذه الجمعية أنه لم تكن هناك جرأة مجتمعية كافية خلال تلك الفترة على تأسيس الجمعيات والمنظمات المدنية، فكانت هذه الجمعية بمبادرة شخصية من السيد سلمان الطعمة وبجهود ذاتية وبدون إجازة رسمية، فهي بالتالي مجرّد ملتقى يلتقي فيه الأدباء والكتاب كلّ يوم خميس في دار السيد سلمان الخاصة به ويتبادلون الشعر والمعرفة ولغاية ساعات متأخرة.

و اختيار يوم الخميس هو أفضل ما يُبعد الأنظار عن أي نشاط قد لا تستسيغه السلطة الحاكمة خصوصاً في محافظة كربلاء، حيث إن الآلاف من الزائرين ومن مختلف المدن العراقية يفدون كلّ يوم خميس من بعد الظهيرة وحتى الساعات المتأخِّرة من الليل لزيارة الإمام الحسين عليه السلام فتكون المدينة في زحام اعتيادي، ولا تتمّ ملاحظة التجمّعات غير المجازة أو المشروعة باي حال من الأحوال.

كما يظهر من هذه الجمعية أنها قد تأسَّست بعد مرور تسع سنوات على الثورة الجمهورية، وهذا يُبيِّن أيضاً أن المجتمع لم يجد الفرصة الكافية لتشكيل المنظمات المدنية في ظل حالة من عدم الاستقرار السياسي.

ثانياً: جمعية الثقافة الوطنية

تأسَّست عام ١٩٧٠ م. وهي جمعية سياسية، وكان أوّل رئيس لها عبد الجبار عبد الحسين الخضر، وقد كان مشرفاً تربوياً وله انتماء لحزب البعث، ساهمت بإقامة الأمسي الشعرية والندوات الفكرية، واستقدمت العديد من شعراء وكتّاب ومثقفي البلد، ولكنها لم تخرج عن الاطار البعثي في أدبياتها وثقافتها[٢٥].

و كغيرها من الجمعيات، لم تستطع تجاوز شريحة النخبة الأدبية والثقافية في كربلاء إلى بقية شرائح المجتمع والتي كانت في حاجة ماسة إلى الحراك المدني لمواجهة الثقافة البعثية التي فُرضت على الكبير والصغير، الرجل والمراة، الغني والفقير، المثقّف والجاهل، والتي استطاعت أن تُغّير الكثير من العادات والسلوكيات لدى المجتمع.

ثالثاً: جمعية النهضة الإسلامية

تأسَّست سنة ١٩٧٠م، ومقرّها في مدرسة العلامة ابن فهد الحلي، كان هدفها نشر الثقافة العربية وإقامة أماسي ثقافية. وقد أصدرت مجلة (صوت الإسلام)، وترأسها الشيخ عبد اللطيف عبد الحسين، وكان أيضاً معروفاً بانتماءه لحزب البعث.

كانت هذه الجمعية محاولة أخرى كمحاولة جمعية الثقافة الوطنية، غير أنها تخصَّصت في نشر

الثقافة الإسلامية على الطريقة البعثية. وقد تمّ تسميتها على اسم جمعية النهضة الإسلامية التي تأسَّست في مدينة النجف قبيل ثورة العشرين والتي كان لها دوراً فعالاً في مواجهة الاستبداد البريطاني وإشعال فتيل الثورة العراقية الكبرى[٢٦].

لقد شهدت هذه الفترة أيضاً ظهور جمعيات ومنظمات مدنية أخرى لم تكن ذات تأثير تاريخي كبير على المجتمع الكربلائي، يذكر منها **جمعية الإرشاد الديني**[٢٧] **وجمعية الرعاية الاجتماعية** المتأسّستين عام ١٩٦٧م، **والجمعية العراقية للتصوير** المتأسّسة عام ١٩٧٥م **وجمعية الشعراء الشعبيّين** المتاسسة عام ١٩٨١م.

و بعد تاريخ ١٩٨١م لم يكن من الممكن أبداً تشكيل أي جمعية أو منظمة مدنية، وذلك لدخول حزب البعث بقيادة صدام حسين مرحلة الحرب مع إيران ووضع محافظة كربلاء بالأخص تحت المجهر الامني والاستخباري، وذلك لتشارك أهل المدينة مع المجتمع الإيراني في الانتماء المذهبي والتوجّه الدّيني العام الرافض لتلك الحرب المشؤومة، حتى أن أغلب تلك الجمعيات المذكورة آنفاً قد تمّ حلّها أو إلغاؤها خلال هذا الفترة أو قبلها لمنعها من ممارسة نشاطاتها الاجتماعية، وهكذا استطاع حزب البعث من فرض سيطرته الدكتاتورية على المجتمع من خلال تغذيته بفكر أحادي وتطبيق ممارسات تعسفية ضدّ أي صوت مجتمعي رافض لذلك الفكر، مما يجعل من تلك الحقبة الصدامية فترة مظلمة قاتمة في تاريخ الحراك المدني والعمل الاجتماعي المنظم في العراق عموماً وفي كربلاء خصوصاً.

المطلب الرابع:

مرحلة ما بعد سقوط الدكتاتورية

(٢٠٠٣م ولغاية الآن)

تُمثّل هذه المرحلة نوعا جديدا من الحياة في العراق، حيث لا دكتاتورية ولا استبداد، ولا وجود لثقافة الفكر الواحد، فقد أصبحت الساحة الاجتماعية مفتوحة لكلّ الخيارات، ومن ضمن تلك الخيارات الانخراط في تنظيمات مدنية لتفعيل العمل الاجتماعي في العراق، فتأسَّست الكثير الكثير من منظمات المجتمع المدني، حتى كان عددها بالآلاف، وفي كربلاء وحدها كان عددها قرابة الثلاثمائة منظمة، في دلالة واضحة على الاستعداد الذاتي الأولي لدى أبناء المدينة للعمل المدني المنظَّم، فهم لم يكونوا بعيدين عن هذا العمل ولا جاهلين به، ولم يكن العمل المدني بغريب عنهم، بدلالة تاريخه في مدينتهم. وأصبحت كربلاء ساحة اجتماعية فاعلة للعمل المدني، فتأسَّست فيها المنظمات المحلية، وافُتتحت فيها فروع عدّة لمنظمات وطنية، ودخلتها المنظمات الأجنبية كوكالات الأمم المتحدة وبعض المنظمات الأجنبية المتعدّدة الجنسيات أو ذات الجنسية الأحادية، كالمنظمات الأمريكية والبريطانية والدانيماركية والنرويجية وغيرها. وقد حدى ذلك العدد الكبير من المنظمات بالحكومة إلى تأسيس دائرة رسمية معنية بشؤون المنظمات المدنية سُمّيت بدائرة المنظمات غير الحكومية والتي تتبع حاليا الأمانة العامة لمجلس الوزراء ويديرها مدير

بدرجة (مدير عام)، وأن يكون للدائرة فرع لمتابعة المنظمات في منطقة الفرات الأوسط، وكان مقر الفرع في كربلاء، في دلالة أخرى على مدى فاعلية كربلاء بين بقية محافظات الفرات الأوسط في العمل المدني المنظم.

إن ذلك العدد الكبير من المنظَّمات لم يكن على صعيد واحد من التأثير والفاعلية، فبعضها كان فاعلاً جداً كمنظمة التجمع الثقافي من أجل الديمقراطية الذي تأسّس في كربلاء بعيد سقوط الديكاتورية مباشرة، وترأسها السيد فيصل الشامي[٢٨]، وكان له بالغ الأثر في تثقيف المجتمع على مبادئ الحكم الديمقراطي وممارسة حقوقه المشروعة كسمة عامة لنظام الحكم في العراق الجديد، كما كانت له مشاركات قوية في مراقبة العمليات الانتخابية التي مرَّ بها العراق في حياته الجديدة.

ومن المنظمات الفاعلة أيضاً منظمة (المنتدى العربي للتنمية البشرية)[٢٩] والتي تأسَّست عام ٢٠٠٥م، وترأسها الدكتور ماهر حميد مجيد -الباحث- لمدة ثمان سنوات، وكانت أوّل منظمة مجتمع مدني معنية بثقافة التنمية البشرية التي كانت غريبة على المجتمع في بادئ الأمر، ولكنها نجحت في نشر مهارات ومعارف التنمية البشرية في المجتمع الكربلائي واقامت المئات من الدورات التدريبية في مختلف المجالات التنموية، وأصبح لها صيت واضح ومهم ليس فقط على مستوى كربلاء بل على مستوى العراق، وقد ساعدت على تأسيس أقسام التنمية البشرية في العديد من مؤسسات الدولة وكذلك في العتبتين الحسينية والعباسية المقدّستين. ومن الغريب أن مثل هذه المنظمة قد فاتت عن بال المؤرّخ الكربلائي المعروف سعيد زميزم، فلم يذكرها في كتابه، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً[٣٠] بالرغم من تطرّقه لمنظمات أخرى أقل فاعلية وحضوراً في المجتمع الكربلائي.

ومن المنظمات المهمة أيضاً منظمة (مجلس أعيان كربلاء)، وهو من المنظمات التي تشكَّلت بعد سقوط النظام الديكتاتوري وترأسه السيد يوسف آل ماجد، ويجمع في تشكيلته العديد من وجهاء محافظة كربلاء المقدّسة من أكاديميين وشيوخ عشائر وسياسيين وآخرين، وقد تبنّى قضايا وطنية مهمة وأجرت لقاءات عديدة ساعدت على تجسير الهوّة بين المجتمع وحكوماته المحلية المتعاقبة على السلطة بعد السقوط. ومنظمات أخرى تذكر هنا على سبيل المثال والعلم كـ(مؤسسة المعرفة الثقافية، جمعية مراقبة حقوق الإنسان، مؤسّسة النبأ الثقافية، مركز الفرات للدراسات الاستراتيجية، وأخريات...).

وغيرها من المنظمات الكثير والتي لا يسع المقام للتطرّق اليها، غير أن الكثير الغالب من المنظمات الكربلائية، كما الحال في عموم العراق، لم يكن لاعباً أساسياً في الساحة الاجتماعية الكربلائية، كما أن بعض المنظمات كانت مجرّد أسماء لا وجود حقيقي لها على الأرض، فهي مجرّد منظمات وهمية، ومنظمات أخرى لم تخل من الشبهة نتيجة عدم معرفة مصادر تمويلها المالي، ومنظمات أخرى لم تتمتّع بالاستقلالية الكافية كونها كانت منتمية

لأحـزاب سياسية وتعمل على تحقيق مصالح حزبية وفئوية ضيّقة. ومنظمات أخرى كان لها نشاط مشبوه يؤثّر على القيم الأساسية للمجتمع، ومنظمات شابها الفساد الإداري والمالي.. هذا كلّه وغيره من المظاهر أدّت إلى تشريع قانون خاص بالمنظّمات المدنية في العراق من قبل مجلس النواب العراقي، وهو قانون المنظَّمات غير الحكومية في العراق رقم ١٢ لسنة ٢٠١٠م[٣١] والذي نظَّم عمل المنظمات المدنية وجعلها خاضعة لرقابة الدولة دون المساس المخل باستقلاليتها.

ومما تجدر ملاحظته خلال هذه الفترة أيضاً أن الكثير الكثير من المنظمات المدنية قد اتخذت من العمل الإغاثي سبيلا أوحداً لها، وبالأخص في مجالي، رعاية الأيتام، وتوزيع الأغذية، وفي مثل هذه المنهجية خطورة بالغة على العمل المدني، فهي تحرفه عن مساره في إحداث التغيير الايجابي في المجتمع، بل أن في استمراريتها بالعمل الإغاثي تبرمج المجتمع على التواكلية وضعف الانتماء والدافع الذاتي للعمل والجد والاجتهاد. فالعمل الاغاثي، وكما هو معمول به عالمياً، يكون مصاحبا لحدوث الكوارث والأزمات المفاجئة، كالزلازل والحرائق والحروب. وإن كان العراق يعيش حربا مع الإرهاب، فهذا لا يعني أن تتجّه غالبية المنظمات إلى مجال الإغاثة فحسب، وبالأخص في المناطق الهادئة والآمنة نسبياً كمحافظة كربلاء، فالعوز إلى الإغاثة فيها قد يقتصر على النازحين والمهجّرين اليها، وأما بقية طبقاتها الاجتماعية من الفقراء واليتامى والمساكين، فهم بحاجة إلى برامج الرعاية العملية، وليس الأطعمة والمشروبات والمبالغ الشهرية الزهيدة، ويمكن أن تمارس الإغاثة معهم بأسلوب بنّاء أكثر إنتاجية، كبرامج القروض الميسّرة للمشروعات الصغيرة، أو برامج التدريب المهني للعاطلين عن العمل وغيرها.

إن الملاحظ في كربلاء في مرحلة ما بعد السقوط، كما هو الحال في عموم العراق، هو كثرة المؤسسات المدنية الاغاثية نسبة إلى التنموية والإنتاجية منها، وهذا ينذر بخطر مستقبلي على مستوى إنتاجية الفرد والمجتمع، ولا بدّ للمنظمات المدنية، وللمجتمع المتفاعل معها ان ينتبه لمثل هذا الخطر الذي قد لا يُبيّن أثره اليوم، ويجب أن تعمل على تصحيح هذا المسار المنحرف في عمل المجتمع المدني. كما أن العمل الإغاثي قد تشوبه الكثير من الشبه المالية والادارية بما لا يليق بسمعة المنظمات المدنية التي ترتكز على(اللاربحية) كأساس قوي في تشكيلها وعملها.

إن أهم خصائص هذه المرحلة من تاريخ العراق أنها شهدت حرباً ضروس خاضها الشعب العراقي مع القوى الإرهابية من جهة، ومع فساد المحاصصة الطائفية والحزبية من جهة أخرى، مما لم يدع المجتمع في حالة من الاستقرار اللازم لأداء تلك المنظَّمات المدنية لعملها على الوجه المطلوب منها، وهذا أدّى بالنتيجة إلى انزواء عملها في الكثير من الاحيان والمجالات، فتارة نرى منظمات تشكَّلت ثم انحلّت لعدم قدرتها على مواصلة العمل أما لأسباب أمنية، واما

لأسباب مالية وإدارية، وتارة نرى منظمات فقدت ثقة المجتمع بها، وتارة نرى منظّمات دون أن تعلم أصبحت جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل الذي يرتقبه المجتمع، ولا يزال دور تلك المنظمات في المجتمع العراقي بحاجة إلى نضج أكبرو مساحة أكبر للعمل المدني الواعد.

الخاتمة

مما سبق يتبيَّن أن المجتمع الكربلائي لم يكن بعيداً عن الحراك المدني المنظم، بل شهد تشكيل منظمات مدنية مختلفة تزامن تأسيسها مع مجمل الحركة المؤسّساتية المدنية في العالم، وهو بذلك لا يُعتبر مجتمعاً متخلّفاً في مجال العمل المدني، ولا يعتبر مجتمعاً خاملاً أو جاهلاً به، بل كان مواكباً له ومتفاعلاً معه بإيجابية عالية، ولم ينقطع عن العمل المدني إلّا لظروف تعسّفية قاهرة مارستها الأنظمة الديكتاتورية القمعية.

الاستنتاجات

كما ويمكن استخلاص بعض الاستنتاجات مما ذُكر آنفاً في ثنايا هذا البحث:

١. إن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي ولا يستطيع العيش بمفرده، كما أنه ذو نزعة فطرية نحو تنظيم شؤون الحياة ضمن جهود اجتماعية مشتركة.

٢. إن منظّمات المجتمع المدني وسيلة ناجحة لتوحيد وتنظيم الجهود البشرية لتحسين وضعها الحياتي ومساعدتها على بناء حضارتها الإنسانية وديمومتها.

٣. إن الخصائص التي تحتاجها المنظّمات المدنية كأساس في تشكيلها، كالطوعية والاستقلالية واللاربحية والإيثار الجماعي على أساس الفرد، هي ذات الخصائص التي يتميَّز بها المجتمع الكربلائي نتيجة لتكونه على أساس قضية الإمام الحسين عليه السلام، والتي كانت كربلاء مسرحاً تاريخياً لها.

٤. إن مدينة كربلاء لم تكن في معزل عن العالم في الحراك المدني ومنذ نشأته الأولى، فقد تأسَّست فيه منظّمات ومؤسّسات وجمعيات مدنية على أُسس حضارية ولغايات وأهداف اجتماعية وأدبية وثقافية واقتصادية نبيلة.

٥. إن غالبية المنظّمات المدنية المتشكّلة في كربلاء لغاية سقوط الدكتاتورية في ٢٠٠٣م هي على هيئة جمعيات أو نقابات أو مجالس ثقافية، كونها كانت الثقافة المدنية السائدة حينها، حيث لم يلق موضوع المجتمع المدني التنظير الكافي له إلّا بعد عام ٢٠٠٣م. وهو لا يزال في مرحلة متجدّدة من التنظير الثقافي.

٦. إن غالبية المنظَّمات المدنية التي تشكَّلت في كربلاء لم تنجح في احتواء كامل المجتمع وخصوصاً الطبقات الكادحة والفقيرة فيه، بل ركَّزت عملها وجهدها على نُخب ثقافية وسياسية معيّنة مما أدّى إلى خلق فجوة، لا تزال آثارها بيّنة، بين الطبقات الكادحة في المجتمع وبين ثقافة المنظمات المدنية.

٧. إن أنظمة الحكم التعسّفي، ذات الاتجاه الحزبي الواحد، لا تتناغم مع العمل المدني، فقد عملت على تقويضه وإقصاءه من السّاحة الاجتماعية، وفي ذلك دلالة واضحة على مدى الفاعلية والتأثير الذي تستطيع أن تُحدثه المنظَّمات المدنية في المجتمع.

٨. إن المنظمات المدنية التي تشكَّلت بعد سقوط الديكتاتورية كثيرة في عددها ولكنها لا تزال محدودة التأثير في المجتمع لأسباب أمنية وادارية ومالية، وهي بذلك بحاجة ماسة إلى التدرّب على إدارة المخاطر والأزمات، والنزول بقوة إلى احتواء كافة الطّبقات الاجتماعية، الكادحة والمعوزة منها، لتكوّن قوّة جماهيرية تؤهّلها لأداء مهامها في ظل الظروف الراهنة.

المقترحات

وفي نهاية البحث، لا بدّ من ذكر المقترحات اللازمة لإدامة زخم الحراك المدني في المجتمع الكربلائي وجعله أكثر فاعية وإنتاجاً، ومنها:

١. ضرورة اهتمام الباحثين والمؤرّخين بمفردة المجتمع المدني وتسليط الضوء عليها كونها أصبحت اليوم حالة اجتماعية عضوية لا استغناء عنها.

٢. في ضوء الدراسات التاريخية، لا بد ان يقوم الباحثون والمختصوّن ببلورة رؤية عملية وأكثر فاعلية حول الدور الأساس لمنظمات المجتمع المدني والعمل على نشرها وتثقيف المجتمع عنها.

٣. إن العمل المدني يجب أن لا يتخّذ من الاغاثة منهجاً دائماً في التواصل مع الجماهير، أو أن تكون الأعمال الإغاثية هي الهدف والغاية، بل يجب أن تنطلق المنظَّمات المدنية في مشاريع البناء والتنمية وإعمار الذات والمجتمع، وأن تكون الإغاثة سبيل غير دائم لمعالجة حالات استثنائية تحدث عادة في الكوارث والأزمات فقط.

لقد حافظ المجتمع الكربلائي على صبغة الفاعلية والحركية من خلال تنظيماته المدنية عبر التاريخ والتي استرشدت في عملها بنور ما تأسَّست المدينّة عليه، من ثورة خالدة رافضة للظلم والاستبداد، ومتخذة من الإصلاح منهجاً، تلك هي ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

الهوامش

(١) بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، طبعة بيروت (١٩٨٣).

(٢) توفيق المديني، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب (١٩٩٧).

(٣) القرأن الكريم، سورة الحجرات، أية ١٣.

(٤) نور الدين تاويريت، قياس الفعالية التنظيمية من خلال التقييم التنظيمي، (٢٠٠٦).

(٥) **Stephen. P. Robbins, Organization Theory, Structures Design and Application,** مصدر أجنبي.

(٦) قياس الفعالية التنظيمية من خلال التقييم التنظيمي، مصدر سابق.

(٧) قياس الفعالية التنظيمية من خلال التقييم التنظيمي، نفس المصدر.

(٨) عباس فاضل محمود، دور منظّمات المجتمع المدني في تعزيز البناء الديمقراطي في العراق، مقال في مجلة الأستاذ العدد (٢٠٣) لسنة (٢٠١٢).

(٩) عبد الغفار شكر ومحمد موروا، المجتمع الأهلي ودوره في بناء الديمقراطية (٢٠٠٣).

(١٠) المنظّمات غير الحكومية، دليل السياسات والممارسات الجيدة، مؤسّسة الكومنولث، لندن (١٩٩٥).

(١١) عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، الحوادث والوقائع في تاريخ كربلاء، (٢٠١٤).

(١٢) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية (١٩٥٥).

(١٣) سعيد رشيد زميزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً (٢٠١٠).

(١٤) سعيد رشيد زميزم، كربلاء في العهود الماضية (٢٠١٥).

(١٥) ديوان أبي المحاسن الكربلائي، (١٣٨٣هـ).

(١٦) عبد الرزاق عبد الوهاب آل طعمة، كربلاء في التاريخ، مخطوط (١٩٣٥).

(١٧) تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، مصدر سابق.

(١٨) ابراهيم خليل العلاف، مؤرخو المدن العراقية، المدوّنة الالكترونية الثانية (٢٠١٤).

(١٩) محمد الشيرازي، حوار حول تطبيق الاسلام (١٩٦٥).

(٢٠) حميد الشيرازي، الصحافة والمجلات الصادرة في كربلاء المقدّسة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٧٢، مقال في مجلة الفرات، العدد (١١٢) لسنة (١٤٣١هـ).

(٢١) رحيم الكيال، مجلة الاقتصاد البغدادية، العدد (٤٥) لسنة (١٩٣٤).

(٢٢) نقطة ضوء، جمعية مشروع الفلس، مقال في جريدة التآخي، العدد (٧٠١٩) لسنة (٢٠١٥).

(٢٣) البلاد العربية والدولة العثمانية، مصدر سابق.

(٢٤) إبراهيم خليل العلاف، الدكتور سلمان هادي آل طعمة مؤرّخاً، الحوار المتمدّن، العدد (٣٦٤٩) لسنة (٢٠١٢).

(٢٥) تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، مصدر سابق.

(٢٦) نجاح هادي كبة، ثورة النجف عام ١٩١٨ والذاكرة العراقية، مقال في صحيفة التآخي، العدد (٧٠١٩) لسنة (٢٠١٥).

(٢٧) علي عبود، المختصر المفيد للنشر الجديد، منشورات جمعية الإرشاد الديني، كربلاء (١٩٦٩).

(٢٨) تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، مصدر سابق.

(٢٩) دليل المنظّمات غير الحكومية في العراق، الموقع الرسمي لدائرة المنظمات غي الحكومية في العراق، **www. Ngoao.gov.iq**

(٣٠) تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، مصدر سابق.

(٣١) قانون المنظمات غير الحكومية في العراق رقم (١٢) لسنة (٢٠١٠)، جريدة الوقائع العراقية، العدد (٤١٤٧) لسنة (٢٠١٠).

المصادر

(١) القرآن الكريم.

(٢) أبي المحاسن- ديوان أبي المحاسن الكربلائي- مطبعة الباقر-النجف ١٣٨٣هـ.

(٣) البستاني، بطرس - قاموس محيط المحيط- بيروت- مكتبة لبنان (١٩٨٣).

(٤) البغدادي، حميد - الصحافة والمجلات الصادرة

في كربلاء المقدّسة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٧٢ - مجلة الفرات - العدد ١١٢ (١٤٣١هـ).

(٥) الحصري، ساطع - البلاد العربية والدولة العثمانية - القاهرة (١٩٥٥م).

(٦) الشيرازي، محمد - حوار حول تطبيق الإسلام - (١٩٦٥م).

(٧) العلاف، إبراهيم خليل - الدكتور سلمان هادي آل طعمة مؤرخاً - الحوار المتمدن - العدد: ٣٦٤٩ (٢٠١٢م).

(٨) العلاف، إبراهيم خليل - مؤرّخو المدن العراقية - المدوّنة الالكترونية الثانية - (٢٠١٤م).

(٩) الكيال، رحيم - مجلة (الاقتصاد) البغدادية العدد ٤٥٦ كانون الأول سنة (١٩٣٤ م).

(١٠) المديني، توفيق - المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي - من منشورات اتحاد الكتّاب العرب (١٩٩٧).

(١١) المنظمات غير الحكومية: دليل السياسات والممارسات الجيدة - مؤسّسة الكومنولث، لندن (١٩٩٥).

(١٢) آل طعمة، عبد الرزاق عبد الوهاب - كربلاء في التاريخ - مخطوط (١٩٣٥م).

(١٣) آل نصر الله، عبد الصاحب ناصر - الحوادث والوقائع في تاريخ كربلاء - مؤسّسة البلاغ - بيروت (٢٠١٤م).

(١٤) تاويريت، نور الدين - قياس الفعالية التنظيمية من خلال التقييم التنظيمي - جامعة محمود منتوري قسنطينة (٢٠٠٦).

(١٥) دليل المنظمات غير الحكومية في العراق - الموقع الرسمي لدائرة المنظمات غير الحكومية في العراق - http://www.ngoao.gov.iq/

(١٦) زميزم، سعيد رشيد - تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً - دار القارئ - بيروت (٢٠١٠م).

(١٧) زميزم، سعيد رشيد - كربلاء في العهود الماضية - دار البلاغة - لبنان (٢٠١٥م).

(١٨) شكر، عبد الغفار، محمد، موروا - المجتمع الاهلي ودوره في بناء الديمقراطية - دار الفكر، دمشق، (٢٠٠٣).

(١٩) عبود، علي - المختصر المفيد للنشر الجديد - منشورات جمعية الإرشاد الديني - كربلاء (١٩٦٩م).

(٢٠) قانون المنظمات غير الحكومية في العراق رقم (١٢) لسنة ٢٠١٠م - جريدة الوقائع العراقية - العدد ٤١٤٧ لسنة (٢٠١٠م).

(٢١) كبة، نجاح هادي - ثورة النجف عام ١٩١٨م والذاكرة العراقية - صحيفة التآخي - العدد ٧٠١٩ (٢٠١٥)م.

(٢٢) محمود، عباس فاضل - دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز البناء الديمقراطي في العراق - مجلة الاستاذ - العدد (٢٠٣) لسنة (٢٠١٢م).

(٢٣) نقطة ضوء.. جمعية مشروع الفلس - جريدة التآخي - العدد ٧٠١٩ (٢٠١٥)م.

(٢٤) **Stephen. P. Robbins: Organization theory, Structure Design and applications, 3rd ed Engwood cliffs, N: J: Prentice Hall INC. 1990.**

أثر العوامل الحياتية في زراعة وإنتاج محاصيل البستنة في أراضي الحسينيّة

الأستاذ الدكتور

رياض محمد علي عوده المسعودي

كلية التربية للعلوم الانسانية

جامعة كربلاء

الباحث

أشواق عبد الكاظم أرحيم الكناني

كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة كربلاء

The Effect of Life Factors on the Planting and Production of the Gardening Corps In Al-Husseiniya

Ashwaq Abdul Kadhum Al-Kinany

College of Humanities
University of Karbala

Prof. Dr. Riyadh Mohammed Ali Al-Masoudi

College of Humanities
University of Karbala

Abstract

Agriculture in general and corps gardening in specific face many challenges, some of which are the factors of lesion, diseases and bushes which contribute when increasing to decrease the production, deteriorate the quality of the agricultural land and recess the fertile areas.

When carrying out a case study of (13200) acres of gardening areas in Al-Husseiniyah, to the east of the city of Karbala, it is found out that the gardening corps are negatively affected by several harmful damages which led to a drop in the production of fruit and citrus plants down to (10 kilograms) per a tree and the date palm tree to (60 kilograms). This means great loss in the total production of these corps and consequently causes decline of agricultural lands that may be left unplanted by farmers.

Some of the lesions found are date palm pollen decay and white flour disease.

المستخلص

تواجه الزراعة بشكل عام وزراعة محاصيل البستنة بشكل خاص العديد من التحديات يكاد يكون في مقدمتها تحدّي العوامل الحياتية والمتمثِّلة بالآفات والأمراض والأدغال وغيرها والتي تساهم في حال زيادتها إلى العمل باتجاه انخفاض الإنتاج وتردِّي نوعيّته فضلاً عن انحسار الرقعة المكانية للأراضي المزروعة بمحاصيل البستنة.

ومن خلال حالة الدراسة المتمثِّلة بأراضي بستنة الحسينية الواقعة شرقي مدينة كربلاء وبمساحة (١٣٢،٠٠٠) دونم تبيَّن تعرّض محاصيل البستنة إلى مخاطر عديدة تمثَّلت بأنخفاض معدل إنتاجية أشجار الفواكه والحمضيات إلى أقلّ من (١٠/ كغم) كلّ شجرة وانخفاض إنتاجية شجرة النخيل إلى أقل من (٦٠/ كغم) وهذا يعني خسائر كبيرة في إنتاجية تلك المحاصيل، مما سبّب تراجع الرقعة الزراعية وهجرة معظم الفلاحين وبيع أراضيهم، فضلاً عن زيادة تكاليف الإنتاج وأن أبرز الأمراض (خياس طلع النخيل والبياض الدقيقي).

المقدمة

تواجه الزراعة في أراضي الحسينية مشاكل كبيرة تتحكَّم في مسألة كمية الانتاج ونوعيّته إذ تُعدّ هذه المشاكل من العوامل المحدِّدة لنجاح أو فشل تلك الزراعة وبالرغم من ان بعض تلك المشاكل يمكن حلّها بسهولة إلّا أنه لم تُبذل محاولات بصورة جدية لوضع الحلول المناسبة لها وللتخلّص منها، ومن أبرز المشاكل تعرّض نباتات وثمار الحمضيات والفواكه المزروعة للاصابة بعدد من الآفات الزراعية متمثّلة بالحشرات والأدغال ويعود بعضها إلى مسبّبات غير مرضية كأختلال في توازن العناصر الغذائية في الماء أو في التربة أو التطرّف في درجات الحرارة أو تلوّث الهواء.

وقد انعكس ذلك على انخفاض إنتاجية الشجرة الواحدة من الثمار فيها والتي وصلت معدّلاتها إلى (١٠/ كغم)لجميع أنواع الحمضيات والفواكه بينما بلغ معدّل إنتاجية شجرة النخيل (٦٠/ كغم)، ولذلك سيتم تسليط الضوء على المشاكل الحياتية التي تتعرّض لها منطقة الدراسة ومسبباتها وآثارها والمساحات المكافحة والمبيدات المستخدمة للقضاء عليها.

مشكلة الدراسة

تتجه مشكلة البحث على طرح التساؤل الآتي:(هل للعوامل الحياتية تأثير في انخفاض إنتاجية أشجار الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة؟).

ثم يطرح التساؤل الثانوي الآتي: (ما تاثير العوامل الطبيعية والبشرية في نشوء الآفات الزراعية في منطقة الدراسة ؟

وماهي أهم الأمراض التي تُصيب أشجار الحمضيات والفواكه في أراضي الحسينية؟

ومامدى تأثير الآفات الحشرية في إنتاجية أشجار محاصيل البستنة؟).

فرضية الدراسة

الفرضية إجابات مفترضة يهدف بعد انجاز البحث من التوصّل إلى صحّتها، ومن هذا المنطلق فإن الفرضية تنطلق من الأمور الآتية:

١. إن للعوامل الحياتية دوراً كبيراً في انخفاض إنتاجية أشجار الحمضيات والفواكه وهلاك اعداد كبيرة منها.
٢. إن للعوامل الطبيعية والبشرية تاثيراً كبيراً في انتشار الآفات الزراعية في منطقة الدراسة.
٣. تتعرّض بساتين الحمضيات والفواكه في المنطقة للأصابة بالعديد من الآفات الحشرية.

هدف الدراسة

يهدف البحث لإبراز مدى تأثير العوامل الحياتية في زراعة وإنتاج محاصيل بستنة أراضي الحسينية وما مدى الأضرار التي تسبّبها الآفات الزراعية على أشجار الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة.

المبحث الأول:

العوامل الطبيعية المؤثرة في نشوء الآفات الزراعية لزراعة وإنتاج محاصيل البستنة في أراضي الحسينيّة

١. **المناخ:** لا يقتصر تأثير الخصائص المناخية في نمو ونضج المحاصيل الزراعية فحسب بل تؤدي أيضاً إلى إصابتها بالكثير من الأمراض التي تضرّ بالمحصول وتؤدّي إلى نقص كميته وتردي نوعيته.

وعلى الرغم من أن أسباب حدوث الأمراض كثيرة ومتنوّعة لكن يبقى المناخ طرفاً بالمثلث المعروف (مثلث المرض) خاصة وأن المناخ بعناصره المختلفة يُشكّل عنصراً مهما من عناصر البيئة التي ينمو فيها النبات ويأخذ منها كفايته من الغذاء والماء وهو في الوقت نفسه وسط ملائم لظهور ونمو الكثير من الأمراض النباتية لذا فإن أي تغّير في العناصر المناخية وبالشكل الذي لا يلائم عملية نمو النبات سيؤدي إلى خلل في الإنتاج الزراعي وفي النبات نفسه المتأثر بمتغيرات العناصر المناخية[1].

إذ يتضح أن درجة الحرارة في منطقة الدراسة تبلغ أعلى معدلاتها في شهر تموز بمعدل (٣٧، ٢م) ثم تبدأ بالانخفاض الشديد في شهر كانون الثاني إذ يصل معدل درجة الحرارة فيه إلى (١١، ١م).

كما نجد أن منطقة الدراسة تخضع إلى مؤثرات المناخ الصحراوي الجاف إذ المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط ابتداءً من شهر أيلول وحتى نهاية مايس وقد تسقط كميات قليلة من الأمطار في بعض السنين في شهر أيلول وحزيران وتنعدم احياناً كأشهر الصيف (تموز، وآب، وأيلول) إذ تتسم الأمطار السّاقطة على منطقة الدراسة بقلّتها بصورة عامة إذ بلغ المجموع السنوي في المنطقة (٦٤، ٢٦) ملم.

كما أن زيادة نسبة الرطوبة الجوية تزداد الاصابات المرضية وخاصة مع ارتفاع درجات الحرارة على أشجار التفاح حيث مرض العفن البني **(Brown rot)** على ذات النواة الحجريةومرض اللفحة النارية **(Fire blight)** أما بالنسبة لشجرة النخيل فإن بارتفاع الرطوبة الجوية مصحوبة بسقوط أمطار يترتّب على ذلك انتشار المرض المسبب لخياس طلع النخيل من جهة وإعاقة عملية التلقيح من جهة أخرى عن طريق غسل حبوب اللقاح وخفض درجة الحرارة نسبياً كما يساعد على انتشار الأمراض الفطرية التي تصيب النمو الخضري والثمار فقد لوحظ ازدياد نسبة الإصابة بالعفن الأخضر والأزرق في الثمار بعد الضباب والأمطار الشديدين ونجد أن كمية الرطوبة خلال فصل الصيف منخفضة وسبب الانخفاض يعود إلى الارتفاع في معدلات درجة الحرارة فضلاً عن قلّة أو انقطاع الأمطار الساقطة، وصفاء السماء خلال الصيف والعكس صحيح خلال فصل الشتاء تكون مرتفعة نتيجة لانخفاض درجات الحرارة مع وجود المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط فيؤدّي إلى

تساقط الأمطار على منطقة الدراسة شتاءً، وبناءاً على ما تقدّم نجد أن منطقة الدراسة ترتفع فيها درجة الحرارة في فصل الصيف لتصل إلى (٣٧، ٢) في شهر تموز مع قلّة الأمطار السّاقطة وتذبذبها وارتفاع الرطوبة الجوية وهذه تعدّ بيئة ملائمة لنمو وانتشار الفطريات والبكتريا والأمراض التي تُصيب أشجار الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة.

٢. **التربة**: تسود في منطقة الدراسة تربة أكتاف الأنهار التي تمتدّ على جانبي جدول الحسينية وبني حسن والتي تُعدّ من أفضل أنواع الترب في المنطقة وأكثرها انتشاراً إذ تُعدّ من الترب جيدة الصرف وخالية من الأملاح الضارةوالماء الأرضي فيها عميق فضلاً عن ارتفاعها الذي يتراوح بين (٢-٣)م من مستوى ماء النهر قد عمل على عدم تغدقها مما أدى إلى بزلها طبيعياً وأصبحت بيئة ملائمة لنمو وتكاثر الآفات الحشرية.

كما تحتل تربة أحواض الأنهار المنطقة المتاخمة لمنطقة ترب أكتاف الانهار الطبيعية وتتباين من المزيجية الطينية الغرينية إلى الترب الغرينية فضلاً عن انتشار تربة المنخفضات في شمال منطقة الدراسة.

٣. **الموارد المائية**: وتتمثّل مصادر المياه في منطقة الدراسة بمياه الأمطار والمياه السطحية والمياه الجوفية أما بالنسبة لمياه الأمطار فإن أهميّتها محدودة لكونها فصلية ومتذبذة وتسقط في أوقات لأتلبي متطلّبات الزراعة إلّا أنها تُعدّ مصدراً رئيسياً لتغذية المياه الجوفية أما المياه السطحية فإنها تتمّثل بجدول الحسينية وتفرّعاته الثانوية ومن خلال المشاهدة الميدانية تبيّن وجود أراضٍ زراعية تُعاني من قلّة المياه السطحية مما أدى إلى اعتمادهم على المياه الجوفية في سقي أراضيهم الزراعية وأن تعرّض الأشجار للعطش وعدم تنظيم ري البساتين بإعطائها كميات كبيرة من الماء فإنها تُسبب ضعف جذور الأشجار ونمو الفطريات المسببة للأمراض ومنها مرض عناكب الحمضيات.

المبحث الثاني:

العوامل البشرية وتأثيرها في نشوء الآفات الزراعية لزراعة وإنتاج محاصيل البستنة في أراضي الحسينية

١. **سياسة الدولة**: يقصد بها الاجراءات العملية التي تقوم بها الدولة وتتضمّن مجموعة منتخبة من الوسائل الإصلاحية الزراعية المناسبة ويمكن بموجبها توفير أكبر قسط من الرفاهية للمشتغلين بالزراعة عن طريق زيادة إنتاجهم وتحسين نوعيّته وضمان استمراره[٢] وتتمثّل سياسة الدولة بتقديم المبيدات الكيميائية لمزارعي منطقة الدراسة وعمل خطة لمكافحة الآفات الزراعية التي تتعرّض لها محاصيل بستنة منطقة الدراسة.

٢. **طريقة المكافحة**: يظهر تأثير طريقة مكافحة

الآفات الزراعية من خلال النتائج التي يتمّ التوصل اليها بعد كلّ طريقة إذ تُقسم طرق المكافحة إلى الرش الجوي والرش الأرضي وطريقة الحقن، وتُعدّ طريقة الحقن من أحدث الطرق المستخدمه لمكافحة أشجار النخيل المصابة بحشرة الدوباس فضلاً عن الرش الجوي باستخدام الطائرات لرش المبيدات والرش الأرضي لمكافحة الآفات الحشرية.

٣. **الإرشاد الزراعي**: من واجبات الإرشاد تتمثَّل بالندوات والدورات التدريبية للفلاحين واختيار بستان في منطقة الدراسة كنموذج لتطبيق عمليات مكافحة للأمراض المنتشرة في اشجاره المصابة وذلك لتشجيع الفلاحين على الاعتناء بالأرض ويتمّ استدعاء الفلاحين لتوضيح لهم الأمراض واهم المبيدات للقضاء عليها فضلا عن الزيارات الفردية والجماعية للمرشدين الزراعيين إلى الأراضي الزراعية لتشجيع المزارعين على استخدام التقنيات الحديثة وتشخيص الآفات الزراعية وإيجاد الحلول المناسبة لها.

كما نجد أن الإرشاد الزراعي يلعب دوراً مهماً في تحقيق أهداف الخطّة الزراعية وعليه يجب التركيز على دور المرشد الزراعي باعتباره المعلِّم الأول للفلاح باستخدام الطرق الحديثة في الزراعة ونقل التجارب والبحوث التي تتوصل اليها محطّات التجارب الزراعية إلى الفلاحين لاستخدامها في الزراعة[٣].

ولكن من خلال الزيارات الميدانية للأراضي الزراعية في منطقة الدراسة اتّضح عدم وجود اهتمام بالجانب البشري من خلال تعليم الفلاح والاهتمام بالنشاطات الريفية وجهاز الإرشاد الزراعي الحالي يتميّز بضعف القدرة على تشخيص المرض وتحديد العلاج فضلاً عن اقتصار معلومات المزارع والمهندس الزراعي على أنواع من الأسمدة والمبيدات الزراعية التي تُقدّمها الشركات المنتجة.

٤. **الدعم المالي**: إن مكافحة الآفات الزراعية في منطقة الدراسة والتي تتمثَّل بالآفات الحشرية والأمراض تتمّ باستخدام المبيدات الكيميائية للقضاء عليها ونظراً لقلّة أو انعدام دعم الدولة المادي لمزارعي منطقة الدراسة فضلاً عن قلّة تزويد المزارعين بالمبيدات الكيميائية لذلك يلجأ المزارعون إلى شراء المبيدات على حسابهم الخاص من أجل القضاء على الآفات الزراعية التي باتت تُهدّد مستقبل زراعة محاصيل البستنة في المنطقة إذ أن قلّة رأس المال لدى مزارعي منطقة الدراسة تؤدّي إلى عدم قدرتهم في شراء الأسمدة والمبيدات والبذور والاعتناء بالأرض الزراعية ونجد تدني مستوى دخل المزارعين قياساً بارتفاع أجور الأيدي العاملة لخدمة الأرض الزراعية من الحراثة والري والحصاد والتكريب وجني الثمار والمكافحة بحيث أصبحت كلفة خدمة النخلة الواحدة أكثر من المردود المادي للنخلةكما في أشجار الحمضيات والفواكه التي تتطلّب الاعتناء بها أيضاً مما يُسبب عزوف المزارع عن خدمتها.

٥. **الخبرة الفنية**: ويقصد بها خبرة الأيدي العاملة في الزراعة إذ نجد أن الفلاح يعتمد على ما

ورثه من أجداده من طرق خاطئة في استغلال الأرض وزراعتها بمحاصيل زراعية قد لا تتلائم متطلّباتها مع ظروف المنطقة مما انعكس بالتالي على انخفاض الإنتاج الزراعي وتدهوره في المنطقة فضلاً عن قلّة الخبرة التي يتمتّع بها الفلاح في مكافحة الآفات الزراعية.

المبحث الثالث:

العوامل الحياتية المؤثرة في زراعة وإنتاج محاصيل البستنة في أراضي الحسينيّة

أولاً: أهم الأمراض التي تُصيب أشجار الحمضيات والفواكه

تتعرّض أشجار الحمضيات والفواكه للإصابة بأنواع مختلفة من الآفات المرضية التي تختلف أماكن إصابتها للشجرة، كما تختلف أعراضها على الأشجار وأضرارها تبعا لانواعها المختلفة وتبعاً لعلاقتها بالظروف البيئية في مقدّمتها العناصر المناخية السائدة، ولتوضيح ذلك سوف نتناول كلّ مرض على انفراد للتعرّف عليه وعلى مدى انتشاره وعلاقته بعناصر المناخ من درجات الحرارة ورطوبة وضوء الشّمس والرياح وكما يأتي:

١. أمراض فطرية تصيب الساق والأغصان.
٢. أمراض فطرية تصيب الثمار.
٣. أمراض فسيولوجية ناتجة من ظروف بيئية غير مناسبة.
٤. أمراض فيروسية تصيب أشجار الحمضيات والفواكه.
٥. أمراض فطرية تصيب الجذور.

وأهـم الأمـراض التي تتعرّض لها أشجار الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة كالآتي:

١ـ مرض خياس طلع النخيل

(Aspergillusnigerkhamed):

يُعـدّ من الأمـراض الفطرية الخطيرة التي تصيب أشجار النخيل في المنطقة والذي يسبب خسائر اقتصادية كبيرة إذ يسببه الفطر المسمى **(MouginiellaScaettae)** ويبدأ ظهور المرض مع بداية ظهور الطلع من آباط الأوراق في أواخر الشتاء وبداية الربيع ويصعب التمييز بين الطلع المصاب والسليم في بداية الإصابة ويظهر بعد فترة في الإصابة بقع سمراء أو صداً وتكون البقع غالبا في أعلى الطلع حيث يكون هذا وقت بدء العدوى وتحت الليف عند قاعدة السعفة[٤].

- **الظروف الملائمة لانتشار المرض:** إن ارتفاع الرطوبة الجوية في المنطقة تساعد على انتشار المرض كما أن سقوط الأمطار في بداية الربيع تساعد على ارتفاع الرطوبة وشدّتها ممايؤدي إلى اصابة الأزهار الذكرية والأنثوية فضلاً عن ذلك فقد وجد ان النخيل المصاب تستمر فيه الإصابة سنوياً وينتقل المرض من النخيل المصاب إلى السليم مع مرور الزمن[٥].
- **مكافحة مرض خياس طلع النخيل:** تتم عملية المكافحة وذلك برش النخيل بمادة البنليت

(١، ٥/ غم) لكل لتر ماء وذلك في شهر تشرين الثاني ورشّة ثانية في كانون الاول فضلاً عن استخدام العديد من المبيدات الفطرية في المكافحة **Benlate** و**Bavistin** و**Dersoal** و **Brestan** في برنامج رش يتكوّن من رشتين الأولى في بداية كانون الثاني والثانة بعد شهر من الرشة الأولى[٦].

وللوقاية يتمّ غرس وزرع الأصناف المقاومة لهذا لمرض ومنها الحلاوي والزهدي وقص الطلع المصاب وإنزاله بروية وحرقه وعدم استعمال الآلات التي استعملت في النخيل المصاب إلى نخيل سليم وقبل كلّ شيء يجب العناية الكبرى بالنخيل وتهيئة متطلّباتها لتكون قوية ونشطة وهكذا تكون بعيدة عن الإصابة[٧] وقامت مديرية الزراعة في محافظة كربلاء بحملات خريفية وربيعية لمكافحة مرض خياس طلع النخيل إذ بلغت المساحة الكلية المكافحة (١٢٠ دونم) وقد تم رش النخيل بمبيد سويفت بجرعة(٦ لترات) وكان ذلك في سنة ٢٠١٤م أما في سنة ٢٠١٥م لم تكافح مديرية الزراعة هذا المرض للانشغال بمكافحة حشرة الدوباس، يلاحظ الجدول (١).

٢ـ مرض التدهور البطيء على الحمضيات

نيماتودا (slow decline of citrus):

يُعدّ مرض التدهور البطيء من الأمراض الطفيلية الذي يسببه نوع من أنواع الديدان الثعبانية والمسماة **Tylenchulussemipenetrans cobb**، التي تتواجد في التربة بأعداد هائلة تصل إلى أكثر من نصف مليون يرقة في الكيلو غرام الواحد من تربة البستان المزروعة بالحمضيات[٨].

يُعدّ من الآفات الزراعية الخطيرة ويتسبب مرض التدهور البطيء على أشجار الحمضيات عن غرس الدودة رأسها في نسيج قشرة الجذور والتغذية عليها ونتيجة لذلك تموت الخلايا ويحدث تقرّح وانسلاخ للقشرة ويُصبح لون الجذور بنّياً قاتماً وتلتصق حبيبات التربة بالجذور مما يؤدي إلى موت جزء من الجذور وبالتالي تضعف قدرتها على امتصاص المواد الغذائية والماء[٩].

- **أعراض المرض:** تتضح الأعراض على الأشجار المصابة بما يلي: على المجموع الخضري إذ تتصف الأشجار المصابة بانها اقصر من الأشجار السليمة والأوراق صفراء صغيرة تتساقط باكراً وكذلك تتصف الثمار بصغرها. على المجموع الجذري إذ تؤدي الإصابة إلى ضعف المجموع الجذري ويقلّ حجمها قياساً بالأشجار السليمة[١٠].
- مكافحة المرض:

١. إستخدام الأصول المقاومة في الزراعة واستخدام شتلات خاليه من الإصابة في الزراعة.

٢. في حالة إصابة البساتين المزروعة يتمّ إستخدام المبيدات النيماتوديه للقضاء عليها أو تقليل أعدادها في التربة على الأقل[١١].

جدول (١) أنواع الآفات الزراعية والمبيدات المستخدمة والمساحة المكافحة لسنة ٢٠١٤

الآفة الزراعية	المساحة المكافحة /دونم	النسبة %	نوع المبيد المستخدم	كمية المبيد /لتر
حشرة الدوباس	30822 دونم	97,3 %	اكسيماثرين	28600 لتر/الرش الجوي
	18600دونم	-	تربيون	9300 لتر/الرش الجوي
	2000 دونم	-	الفاسايبرثرين	400 لتر الرش الارضي
حشرة الحميرة	600 دونم	%1,3	كبريت زراعي	700 كغم
مرض خياس طلع النخيل	120 دونم	%0,2	سويفت	6 لتر
حشرة ذبابة الياسمين	750 دونم	%1,2	بريتوس	150 لتر
المجموع الكلي	52890	100	-	39156

المصدر: مديرية زراعة محافظة كربلاء، قسم الوقاية، بيانات غير منشورة لسنة ٢٠١٥.

شكل (٣) نسبة نوع كلّ آفة من الآفات الزراعية في منطقة الدراسة ٪

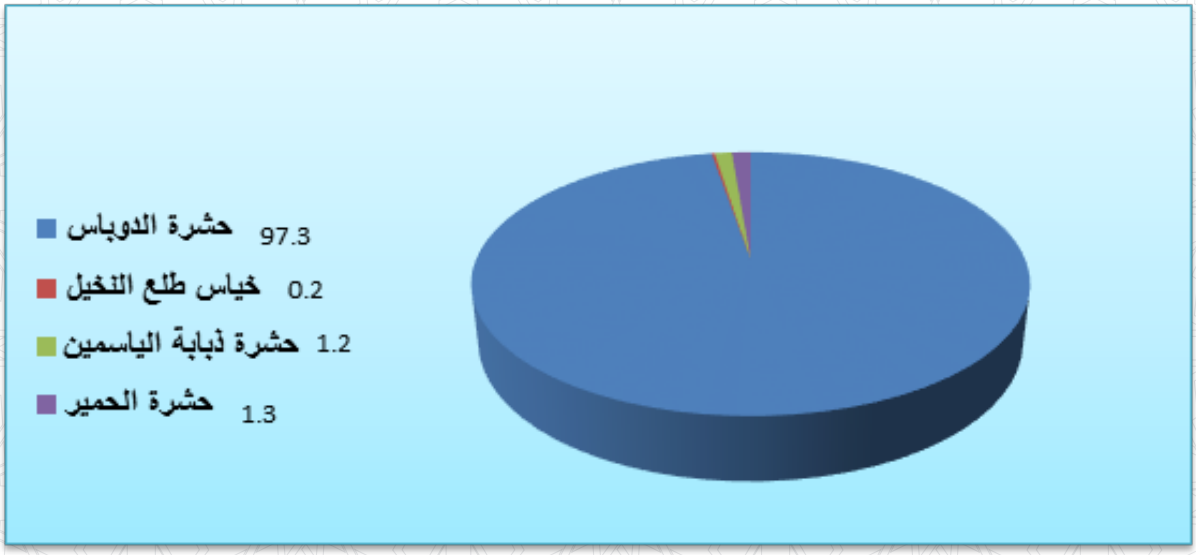

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على بيانات الجدول رقم(١)

٣ـ مرض تصمّغ أشجار الحمضيات
Gommose des citrus:

يُعدّ من الأمراض الفطرية ويُصيب هذا المرض أجزاء الشجرة المختلفة (الجذور والجذوع والأوراق والثمار والأزهار) وينتشر في مختلف مناطق زراعة الحمضيات عند توفّر الشروط الجوية الملائمة[١٢] ويعرف هذا المرض أيضاً بمرض التعفّن البني في الحمضيات ويسبب خسائر كبيرة وخاصة أشجار النومي الحامض.

- **أعراض الإصابة أو الضرر:** يُصيب الفطر الجذوع والجذور القريبة من سطح التربة وقد يُصيب الثمار وتبدأ الإصابة عند قاعدة جذع الشجرة والجذور القريبة من سطح التربة ثم تمتد إلى الأعلى حتى تصل الفروع الرئيسية القريبة من سطح التربة وتتلوّن أنسجة القلف المصابة بلون بني وتتشّقق رأسياً مع تكوين إفرازات صمغية تتصلّب في الأجزاء الواقعة فوق سطح التربة وبذلك يتعفّن القلف ويمتد العفن إلى الأنسجة الداخلية وتساعد على ذلك الكائنات الثانوية الموجودة في التربة وتنبعث منها رائحة كريهة تشبه رائحة البرتقال المتعفن أما في حالات الإصابة الشديدة فتصفّر الأوراق وتتساقط ثم تموت الشجرة[١٣].
- **مكافحة مرض التصمّغ:** يقاوم هذا المرض عن طريق:

أ. التطعيم على اصول مقاومة للمرض

ب. تقديم الخدمات اللازمة للشجرة وصيانة التربة وتهويتها.

ج. مراعاة عدم ملامسة مياه الري لجذوع الأشجار أثناء الري.

د. تجنّب إحداث أضرارٍ ميكانيكية للأشجار أثناء القيام بالخدمات الحقلية[١٤].

٤ـ مرض الميلانوز
(Melanose Disease):

وهو أحد الأمراض الفطرية تتعّرض الأوراق والأغصان والثّمار غير الناضجة للإصابة حيث تظهر بقع على السطح السفلي للاوراق تتسع وتصبح مائية ذات لون بني داكن لّماع وبتقدم الإصابة واكتمال نمو الأوراق ترتفع البقع قليلا وعند لمسها باليد تشعر بالخشونة وقد تتساقط الأوراق نتيجة لذلك وكذلك تظهر الإصابة على الأغصان على شكل بقع وتصاب الثمرة أيضاً وتظهر عليها بقع مستديرة بنية فاتحة[١٥].

- **مكافحة مرض الميلانوز:** يتمّ مكافحة هذا المرض باستعمال المبيدات الكيمياوية وذلك برش الأشجار بعد التزهير بمادة البنليت بتركيز(١ غم / لتر) ماء أو استخدام المركبات النحاسية مثل اوكسيد النحاس بتركيز ٢٠٥غم/ لتر.

٥ـ مرض لفحة (ضربة) الشمس
(Sun burn):

يُعدّ هذا المرض غير طفيلي حيث تظهر أعراض المرض على الأوراق المعرّضة للشمس حيث تصفر الأوراق العليا وتجف وتسقط وتظهر على الثمار بقع

صغيرة حمراء إلى بنّية اللون تتسع بتقدم الإصابة ثم تنكمش مناطق الإصابة بحيث تلتصق القشرة باللب، وتفقد الثمار معظم عصيرها ويصبح جزء الثمرة المقابل للشمس فاتح اللون كما تؤثّر لفحة الشمس على القلف فيتشقّق الأمر الذي يؤدّي إلى إصابته بالفطريات الثانوية[١٦].

إذ ينتشر هذا المرض في بساتين منطقة الدراسة ولكن بنسبة قليلةوخاصة البساتين المكشوفة بدون وجود أشجار النخيل وكذلك نتيجة لعدم وجود أسيجة نباتية منتظمة تحدّ من الإصابة بهذا المرض.

- **الظروف الملائمة لانتشار المرض:** مرض مناخي ويحدث نتيجة ارتفاع درجات الحرارة وشدة ضوء الشمس وقلّة الرطوبة فضلاً عن هبوب الرياح الحارة والجافة[١٧].

كما أن الري غير المنظَّم لأشجار الحمضيات يساعد على انتشار المرض في المنطقة.

- **مكافحة المرض:**

١. تظليل الأشجار وخاصة في فصل الصيف ولهذا ينصح بزراعة أشجار الحمضيات تحت النخيل.
٢. رش سيقان أشجار الحمضيات وثمارها التي تكون مواجهة إلى الجهة الجنوبية الغربية بمحلول كثيف من الكلس والماء لوقايتها من حرارة الشمس.
٣. العناية بالري وعلى فترات منتظمة[١٨].

٦ـ مرض الانهيار السريع أو الموت العاجل للنخيل (Rapid DeclineorRhizosis):

يُعدّ من الأمراض الفسيولوجية التي تصيب النخيل في منطقة الدراسة إذ يظهر عادة مابين آخر الربيع ومنتصف الصيف ويتساقط عدد كبير من الثمار الخضراء غير المكتملة النمو وعند فحص النخيل المصاب بهذه الظاهرة وجد أن سعف قلب النخيل (منطقة الجمارة) الذي لم يخرج بعد قد أخذ بالذبول، كما تظهر على خوص السعف السفلي بداية تغيّر لون السعف إلى اللون المحمر ويموت السعف ابتداءاً بالسعف السفلي ثم يستمر إلى السعف الجديد في قلب النخلة وقد تمتدّ الإصابة إلى الفسائل الموجودة حول النخيل[١٩].

٧ـ مرض تعفّن القمة النامية لأشجار النخيل (Terminal Bud Rot):

يُعدّ من الأمراض الفطرية التي تُصيب أشجار النخيل إذ تبدأ أعراض المرض بميل قمة النخلة إلى إحدى الجهات نتيجة تخيس القمة النامية وتحوّلها إلى كتلة سوداء وتظهر الإصابة على العروق الوسطى للسعف وخاصة الحديث منه على هيئة بثرات دائرية بنية تتحوّل بعد ذلك إلى اللون الأسود، وتتسع هذه البثرات كلما اشتدت الإصابة ثم تجف ويؤدّي ذلك إلى انحناء وتهدّل السعف لذلك لابدّ من قطع وإزالة السعف من حول القمة النامية وحرقها[٢٠].

ثانياً: أهم الحشرات التي تُصيب أشجار الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة

تتعرّض بساتين الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة إلى الإصابة بعدد من الآفات الحشرية التي تُسبّب أضراراً متباينة في شدّتها وحجمها تبعاً لعناصر المناخ السائدة وأنواع الحمضيات المختلفة ومن أهم أنواع تلك الحشرات التي شاهدتها الباحثة ميدانياً في منطقة الدراسة هي الذبابة البيضاء (ذبابة الياسمين) على الحمضيات، ذبابة الفاكهة (ذبابة البحر المتوسط)، عناكب وحلم الحمضيات، حشرة الدوباس، حشرة الحميرة، حشرة المن ولمعرفة هذه الحشرات بأنواعها المختلفة سيقوم الباحث بدراسة كلّ حشرة على انفراد بحسب نوعها وفترة ظهورها في منطقة الدراسة وحجم ومكان الاضرار التي تسببها.

١ـ حشرة الدوباس على أشجار النخيل (Ommatissusbinotatusdeberg):

وهي حشرة تُصيب أشجار النخيل وتُعدّ من أخطر الآفات الحشرية التي تُهاجم نخيل منطقة الدراسة إذ تقوم بامتصاص العصارة النباتية من الخوص والجريد والعذوق والثمار مسببةً شحوبا واصفراراً في هذه الأجزاء النباتية وتفرز حوريات الحشرات البالغات الندوة العسلية بغزارة فينتج عنها أضراراً مباشرة في السعف والثمار إذ تغلق ثغور الورقة وتقلّل من عملية التنفس النتح، أو تتجمع عليها الأتربة وذرّات الغبار، وينتج من وضع الحشرة بيوضها على نسيج السعف والخوص موت هذه المناطق، وعند اشتداد إصابة النخيل بهذه الحشرة في موسم معّين فإن النخيل لا يحمل في الموسم الذي يليه[٢١].

فضلاً عمّا تسببه المادة الدبسية من تجمع التربة على التمور وإعاقة عمليات خدمة النخيل وقطف الثمار فإن هذه المادة الدبسية تتساقط على أشجار الحمضيات المزروعة تحت أشجار النخيل فتسبب تجمع الأتربة ونمو الفطريات السوداء التي تُغطّي أشجار الحمضيات والتي تحجب ضوء الشمس عن أوراق الحمضيات، فتعمل على سد الثغور التنفسية وعرقلة عملية التركيب الضوئي فتؤدي إلى ضعف الأشجار بشكل عام وقلّة نموها فضلاً عن تشوه شكل أشجار الحمضيات نتيجة التصاق هذه المادة بها لايمكن إزالتها إلّا بعمليات غسل متكررّة لأشجار الحمضيات [٢٢] وبالتالي فان هذه الحشرة تُسبّب أضراراً اقتصادية كبيرة وكما شوهد ذلك ميدانياً من قبل الباحثة.

مكافحة حشرة الدوباس: لقد قامت مديرية الزراعة في المحافظة بحملات عدة لمكافحة حشرة الدوباس وبطرق مختلفة للقضاء عليها نتيجة للخسائر الاقتصادية التي سببتها الحشرة إذ تُعتبر التمور المصابة بحشرة الدوباس رديئة النوعية وتُباع بسعر أرخص من التمور السليمة وهذا بالنتيجة يؤدي إلى خسائر اقتصادية فادحة للفلاح بسبب انخفاض الانتاجية ولذلك بادرت مديرية زراعة محافظة كربلاء بحملات كانت المكافحة بالجيلين (الربيعي والخريفي) عندما تصل نسبة

فقس البيوض ٧٥٪ وذلك بطريقة المكافحة الجوية بمعنى استخدام الطائرات لرش المبيدات إذ كانت المساحة الكلية المكافحة بهذه الطريقة في منطقة الدراسة (٤٩٤٢٢ دونماً) باستخدام مبيد اكسيماثرين بجرعة (٢٨٦٠٠لتر) ومبيد تربيون بجرعة (٩٣٠٠ لتر)[٢٣] ولكن لطريق الرش بالطائرات أهمية كبيرة إذ يتمّ تغطية مساحات كبيرة من منطقة الدراسة والسرعة في مقاومة الآفات ومواجهة أخطارها الوبائية فضلاً عن إمكانية السيطرة على الحشرة في الأماكن التي يصعب وصول آلات الرش الأرضية إليها وأيضاً تفادي حدوث ضرر ميكانيكي للنبات[٢٤].

وبالرغم من ذلك وللقضاء على حشرة الدوباس يلجأ كادر قسم الوقاية إلى استخدام طريقة المكافحة الأرضية إذ بلغت المساحة الكلية لمكافحة حشرة الدوباس بطريقة الرش الأرضي (٢٠٠٠ دونم) بأستخدام مبيد الفاسايبرثرين بجرعة (٤٠٠ لتر) يلاحظ الجدول (٢).

ولقد استخدم كادر قسم الوقاية طريقة أخرى وحديثة للقضاء على الحشرة بشكل كامل فضلا عن الرش الجوي والأرضي ألّا وهي طريقة الحقن المجهري تتلخّص هذه الطريقة باستخدام الدريل همر (جهاز ثاقب) المشغل بواسطة مولدة كهربائية متنقّلة لعمل ثقب في جذع النخلة على ارتفاع حوالي ١، ٢٥ سم عن سطح الأرض بعدها يتمّ ادخال انبوب بلاستيكي طوله٢٠سم وقطره ٢سم في جذع النخلة المثقوبة وبعدها يتمّ حقن المبيد بواسطة محقنة طبية ثم يتمّ غلق فتحة الأنبوبة بواسطة مادة الشمع جيداً أو قطعة من القطن وهذه الطريقة قام بإجرائها موظفو قسم الوقاية للاشجار المصابة في منطقة الدراسة وفي الوقت نفسه يتمّ تدريب المزارعين على هذه الطريقة وتزويدهم بالمبيدات مجاناً[٢٥].

وهذه الطريقة تمّ استخدامها في عام ٢٠١٥م، ومن خلال الجدول (٢) نجد أن نسبة المساحة الكلية المكافحة لحشرة الدوباس في منطقة الدراسةلعام ٢٠١٤م وخلال الموسمين الربيعي

جدول (٢) طرق مكافحة حشرة الدوباس (مكافحة الربيعية) والمساحات المكافحة لسنة ٢٠١٥م

طريقة المكافحة	المساحة المكافحة/ دونم	النسبة ٪	اسم المبيد المستخدم	كميةالمبيد / لتر
الرش الجوي	٢٦٨٠٠ دونم	١٠٪	تربيون	١٣٤٠٠لتر
الرش الأرضي	٣٢٠٠ دونم	١، ١٪	الالفاسايبرمثرين	٦٤٠ لترا
الحقن	٢٤٠٢، ٧٥ دونم	٨٨، ٩٪	الاكتارا	٣٨٣ لتراً
المجموع الكلي	٢٧٠، ٢٧٥	١٠٠	-	٤٢٣، ١٤

المصدر: مديرية الزراعة في محافظة كربلاء، قسم الوقاية، بيانات غير منشورة لسنة٢٠١٥م.

والخريفي بلغت (٩٧,٣٪)، أما مكافحة حشرة الدوباس في عام (٢٠١٥م) فكانت المكافحة الربيعية إذ بدأت بتحديد المساحات الشديدة والمتوسطة الإصابة وبلغت المساحة الشديدة الإصابة بحشرة الدوباس (١٠٠٠ دونم) من المساحة الكلية لمنطقة الدراسة بينما بلغت المساحة المتوسطة الإصابة (٢٠٠٠٠ دونماً) وبناءً على ذلك بدأت طرق المكافحة من قبل كادر قسم الوقاية إذ كانت الطريقة الأولى الرش الجوي (بواسطة الطائرات) بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٥م وانتهت بتاريخ ١١/ ٥/ ٢٠١٥م وبلغت المساحة الكلية المكافحة (٢٦٨٠٠) دونم باستخدام مبيد تربيون بجرعة (١٣٤٠٠) لتر. أما الطريقة الثانية وتُعدّ مكملة للرش الجوي ألا وهي الرش الأرضي إذ بلغت المساحة الكلية المكافحة (٣٢٠٠) دونم باستخدام مبيدالالفاسايبرمثرين بجرعة (٦٤٠) لترا.

أما طريقة حقن أشجار النخيل المصاب بحشرة الدوباس التي تعتبر من افضل طرق المكافحة فقد احتلت أعلى نسبة قياسا بالطرق اعلاه إذ بلغت نسبة المساحة المكافحة بطريقة الحقن (٨٨،٩٪) بعدد نخيل محقونبلغ (٩٥٧٥٠) نخلة. يلاحظذلك في الجدول (٢) ونتيجة طرق المكافحة (الجوي والأرضي والحقن) للقضاء على حشرة الدوباس ظهرت بعد استطلاع كادر قسم الوقاية للأشجار المصابة وقد تبيَّن أن نسبة قتل الحشرة بعد ٢٤ ساعة وصلت الى٨١ ٪ في شعبة زراعة الحسينية و٧٨٪ في شعبة زراعة عون.

٢ـ حشرة الحميرة (BatrachdraAmydraula):

من أخطر الحشرات وأكثرها انتشاراً في بساتين منطقة الدراسة إذ تسمى هذه الحشرة بأسماء عدة

شكل (٤) نسبة كلّ طريقة من طرق مكافحة حشرة الدوباس ٪

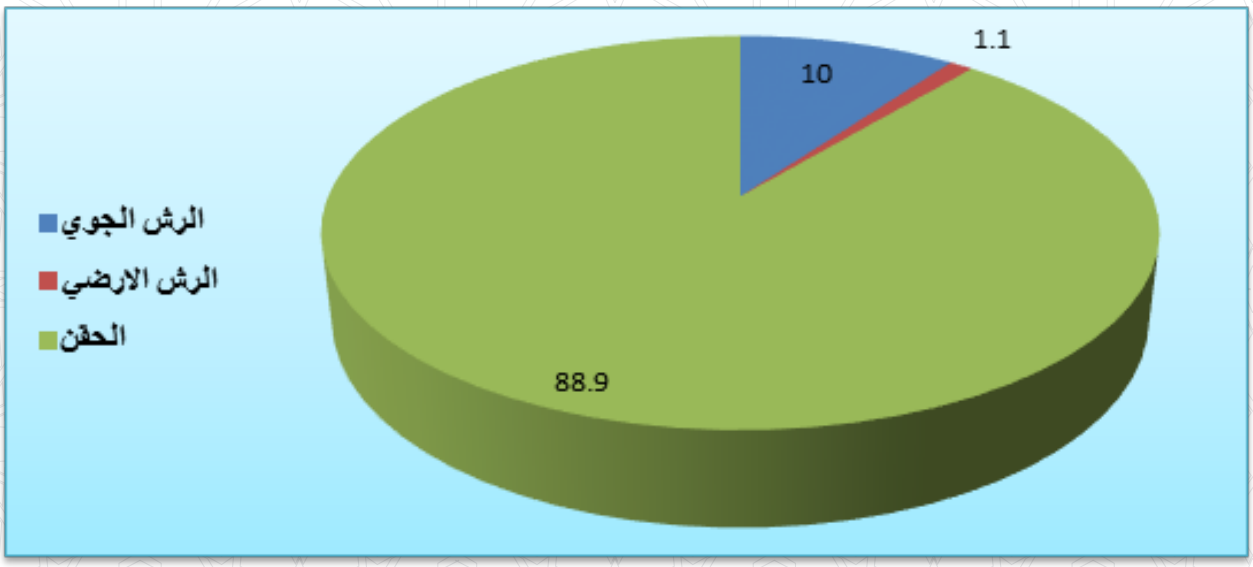

من عمل الباحثة بالاعتماد على الجدول (٢).

محلية ومنها (الحشفة) و(الحميرة) والحشرة كاملة تكون بهيئة فراشة صغيرة الحجم لونها أسمر وعلى الأجنحة خطوط وسطية طولية لونها رمادي تضع الأنثى البيض فردياً على الشّماريخ حيث يفقس بعد أسبوع وتخرج منه يرقات تقوم بثقب قشرة الثمرة بالقرب من القمع أو تحته قليلاً وتتغذّى اليرقة على بعض محتويات الثمرة التي مازالت خضراء كروية الشكل فتجفّ الثمرة نتيجة لذلك وتصبح محمرة متحشّفة ومن هذا المظهر اشتُق اسم الحشرة[٢٦].

تسقط معظم الثمار المصابة في طوري (الجمري) والخلال على الأرض لثقل وزنها ويبقى القسم الآخر معلقاً بالشماريخ ويمكن مشاهدته على الأرض، كما ويمكن التعرّف على الثمار المصابة عن طريق وجود ثقب صغير مملوء ببراز الحشرة وتخرج منه خيوط حريرية وتُعدّ تمور الخستاوي والتبرزل من أشد الأصناف حساسية للإصابة بحشرة الحميرة[٢٧] ويتمّ مكافحة هذه الحشرة بطريقة المكافحة الأرضية إذ بلغت المساحة الكلية المكافحة في منطقة الدراسة (٦٠٠) دونم باستخدام مبيد كبريث زراعي بجرعة ٧٠٠ كغم.

٣ـ حفّارساق النخيل
JebusaeaHammershmidti
(cerambycidacoleoptera)

تهاجم النخيل عدداً من الحفّارات مثل حفّار النخيل الجمالي ذو القرون القصيرة وحفار سعف النخيل لكن أهم هذه الحفارات هو حفار ساق النخيل ذو القرون الطويلةالذي ينتشر في جميع مناطق زراعة النخيل وتختلف شدّة الإصابة من منطقة إلى أخرى. إذ تُصيب يرقات حفّار ساق النخيل أجزاء النخلة كافة بلا استثناء وإن كانت تختلف نسبة الإصابة من جزء لآخر وبضمنها الحامل الثمري (العرجون) وتؤدّي الإصابة أيضاً إلى إفراز الشجرة مواداً صمغية عند منطقة التغذية وعموما تـؤدّي الإصابة بهذه الحشرة إلى تقليل عمر الشَّجرة وانخفاض انتاجيتها من التمور والى انخفاض نوعية الخشب عند استعماله في الصناعة والبناء[٢٨] ولا توجد طريقة فعالة لمكافحة هذه الآفـة في الـوقـت الحـاضر ولكن يمكن تقليل الإصابة في حالة إتباع بعض الإجـراءات الآتية كتقوية الأشجار من خلال تسميدها والاعتدال في الـري وزيـادة مسافات الـزراعـة بين أشجار النخيل والأخير يقلل الرطوبة علماً أن الأشجار الضعيفة والمهملة تعاني من ضرر هذه الحشرة بدرجة كبيرة[٢٩]، كما ينصح بتكريب النخيل بين حين وآخر لأن التكريب يساعد في القضاء على الكثير من يرقات وبيض هذه الحشرة، وللمكافحة الحيوية يستخدم الفطر (**BeauveriaBassiana**) الـذي يتطفّل على يرقات هـذه الحشرة وبذلك تتوقّف اليرقة المريضة عن التغذي والحركة تدريجياً وبالتالي موتها ويمكن استخدام هذا الفطر كطريقة في المكافحة إذا ما توفّرت مستلزمات إنتاجه[٣٠].

٤ـ عنكبوت الغبار أو عنكبوت التمر
(paratetranychusafrasiticus):

يُعدّ من الآفات الشديدة الخطورة التي تصيب

نخيل منطقة الدراسة ويكون الحلم (العنكبوت) لحمي اللون وينسج خيوطاً دقيقة على سطح الثمرة في مرحلة (الچمري) والخلال ويمكن رؤية الخيوط بالعين المجرّدة غير أن العنكبوت يصعب رؤيته لصغر حجمه، أما في حالة الإصابة الشديدة يعمّ النسيج الثمار وجزءاً من العذوق فيتراكم الغبار على شبكة الخيوط ويعطيها لونا مغبرا.

ومن الأضرار الناتجة عن هذا العنكبوت هو خدش ومصّ عصارة خلال قشرة الثمرة فتصبح القشرة متصلّبة مغبرة ولاتنمو بصورة طبيعية وتكون غير صالحة للاستهلاك البشري وتشتد الإصابة تدريجياً في شهري تموز وآب وقد تمتدّ إلى أواخر أيلول في الأصناف المتاخّرة النضج[٣١].

وتُعدّ أصناف التمور (ألزهدي، الساير) إصابتها قليلة بعنكبوت الغبار بالقياس مع ألخضراوي والحلاوي والبرحي والجيجاب، وهناك رابطة قوية بين شدّة الإصابة وانتشار هذا المرض وبين كثرة هبوب هذه الرياح في أشهر الصيف حزيران وتموز وآب وتكون هذه الرياح مترية، أما المكافحة فتتم بواسطة نثر زهر الكبريت باستعمال المنافخ اليدوية على العذوق المغبرة[٣٢]، كما ان النخيل الذي يصاب بحشرة عنكبوت الغبار فالتمور تقل فيها نسبة السكريات الذائبة وتكون غير ناضجة بصورة جيدة وحتى الناضجة لاتكون صالحة للاستهلاك البشري وتستخدم كعلف للحيوانات حتى يُطلق عليها محلياً (أبو غبير)[٣٣].

٥ـ ذبابة الياسمين على الحمضيات (الذبابة البيضاء) (DiaburodesCitri):

تُعدّ من أخطر الآفات التي ظهرت بشكل وبائي في عام ٢٠٠١م والتي شُخصت من قبل جامعة روما علماً أن ذبابة الياسمين قد أدّت إلى تدهور الأشجار نتيجة قيام حوريات وكاملات الحشرة بامتصاص العصارة النباتية للأوراق فضلاً عن إفرازها لكميات كبيرة من الندوة العسلية المغطية لسطح الأوراق والتي تعتبر وسطاً مناسباً لنمو الأعفان وتجمع الأتربة وبالتالي تصبح مثبطة لعملية التركيب الضوئي في الأوراق ومن ثم اصفرارها وسقوطها وتختلف شدّة الإصابة بهذه الحشرة من منطقة لأخرى إذ تتراوح مابين الخفيفة والشديدة اعتماداً على عمليات الخدمة المنفذة في البستان[٣٤] ولوصف الحشرة فهي ذبابة صغيرة الحجم والأجنحة مغطّاة بمادة رقيقة بيضاء أما البطن فهو اصفر اللون والرأس والصدر بني غامق.

- **مكافحة حشرة ذبابة الياسمين:** تتم مكافحة الحشرة بتطبيق الخدمات الزراعية اللازمة من تقليم، وتسميد وري ومكافحة الأعشاب واستخدام المصائد اللونية والفرمونية الجاذبة للحشرة الكاملة فضلا عن استخدام المفترسات المتطفّلة[٣٥] ولازالت الذبابة البيضاء تُشكّل تحدياً كبيراً للمختصين في مجال وقاية المزروعات في العراق بحكم طبيعة سلوكية وحياتية هذه الحشره وقد اشارت الدراسات المنفّذة في العراق بأن أعلى معدل

للبيوض على أشجار البرتقال واللالنكي هو في شهري حزيران وأيلول وأقل معدل لها كان في شهري آذار وكانون الأول وتعتبر أشجار البرتقال واللالنكي من أكثر الأشجار إصابة بهذه الحشره[٣٦] ويلاحظ من الجدول (١) في صفحة رقم (١٩٢) أن المساحة المكافحة في منطقة الدراسة في عام ٢٠١٤م بلغت (٧٥٠ دونماً) باستخدام مبيد برتيوس بجرعة (١٥٠ لتراً) أما مكافحة ذبابة الياسمين البيضاء ففي عام ٢٠١٥م كانت باستخدام مبيدات عدة للقضاء على الحشرة فكانت المساحة الكلية المكافحة (١٩٨٣ دونماً) وذلك باستخدام مبيد الأريزون ومبيد الأستر ومبيد البرتيوس.

٦ـ ذبابة الفاكهة (ذبابة البحر الأبيض المتوسط) (CeratitsCapitataWied):

من الحشرات التي تصيب ثمار الحمضيات المبكرة والمتأخّرة النضج وكلما زادت حموضة الثمار كلّما قلّ احتمال الإصابة بهذه الآفه[٣٧]. وتنتشر ذبابة الفاكهة في منطقة الدراسة وتصيب أشجار الحمضيات والفواكه وتلحق أضراراً بليغة بها، ولوصف الحشره الكاملة وجد أنها ذبابة يتراوح طولها من ٤-٦ مم والأعين غير متصلة ولامعة وذات لون بني والصدر فضي اللون محاط ببقع سوداء أما الأجنحة فعريضة والبطن عريض أيضاً ومنتفخ ذو لون بني مصفر[٣٨].

- **الضرر وأعراض الاصابة:** إن أعراض الإصابة يمكن مشاهدتها مع بداية الإصابة حيث تظهر بقعة صفراء على القشرة الخضراء بعد ثقب القشرة بآلة وضع البيض، وعند فتح ألثمره المصابة تُشاهد المناطق المتعفِّنه والمتخمرة نتيجة لدخول البكتريا اثناء وضع البيض ونتيجة للأنفاق التي تحفرها اليرقات والبراز الذي تخلفه فيها، وبتقدّم الإصابة تسقط الثمار على الأرض قبل أو مع بداية تعذّر اليرقات[٣٩]. وأثناء المشاهدة الحقلية في منطقة الدراسة فقد شاهدت الباحثة أضرار حشرة ذبابة الفاكهة على شجرة العرموط ومدى الضرر الذي اصاب ثمرة العرموط من جراء الحشرة.
- **مكافحة ذبابة الفاكهة:** تتمّ عملية مكافحة حشرة ذبابة الفاكهة بعدة طرق ومن اهمها:

١. طرق وقائية وذلك بعدم استيراد الثمار المصابة بهذه آلافه[٤٠]. وادخال الأعداء الحيوية والقيام بري البساتين خلال شهري تشرين الاول والثاني للقضاء على العذارى الموجودة داخل التربة.

٢. طرق زراعية وذلك بجمع الثمار المصابة والمتساقطة واتلافها أو دفنها[٤١].

٣. طرق الكيميائية توجّه بقصد قتل الحشرات الكاملة قبل وضع البيض ومن ثم توجّه ضد اليرقات الحديثة الفقس داخل الثمار وعادة يستخدم المبيد الحشري دايمثوات رشاً على الثمار ولكن يجب التنويه بعدم رش المبيد على المشمش وذلك لكونه حساساً جداً لهذا المبيد[٤٢] أما مكافحة حشرة ذبابة الفاكهة في منطقة الدراسة كانت باستخدام المصائد الحشرية للتخلص من القسم الأكبر من

الحشرات إذ تمّ استخدام مصائد جاكسون ومصائد تفري من قبل كادر قسم الوقاية.

٧ـ حشرة المن (Aphids):

تُعدّ من أخطر الآفات الحشرية التي تهاجم الحمضيات والفواكه منطقة الدراسة وأدت إلى تلف الثمار بنسبة كبيرة مما أدى إلى انخفاض الانتاج الزراعي وتـردّي نوعيّته إذ تمتصّ هذه الحشرة العصارة النباتية من الأوراق الحديثة في فترة قصيرة إلّا أن الأضرار تكون كبيرة وذلك لأنها تحدث في فترة بدأ النمو في الربيع عندما تكون الحاجة للمواد الغذائية كبيرة فضلا عن ان الأوراق الحديثة سوف يصيبها الضعف والتشوّه نتيجة وجود هذه الحشرات عليه. كذلك فان هذه الحشرات تفرز مادة عسلية تكون مناسبة جدا لنمو الحشرات والفطريات وتراكم الاتربة والغبار على الأوراق[٤٣].

٨ـ حشرة حفار اوراق الحمضيات (aim phyllocnistiscitrellast):

وهي فراشة صغيرة جداً لونها بني أسمر تضع بيوضها على السطح السفلي للاوراق الحديثة افرادا ولاتصيب الأوراق القديمة وتدخل اليرقات مباشرة في الورقة بين طبقتيها وتحدث نفقا متعرّجاً واحداً فقط ولاتخرج منه[٤٤]. كما تسمّى الحشرة بحافرة الأنفاق وذلك لأن اليرقة تقوم بعمل نفق ثعباني لها على سطح الورقة العلوي أو سطحها السفلي ويبدأ هذا النفق ضيقاً ثم يأخذ بالاتساع التدريجي مع تقدمها بالعمر، ويمكن أن يلتف هذا النفق لمّرات عدّة بما يشبه الثعبان، ويكون لون هذا النفق فضياً لامعاً، وتكون اليرقة مرتبطة بنفق واحد وبجهة واحدة من سطح الورقة[٤٥]. ويستخدم في مكافحة الحشرة أسلوب المكافحة المتكاملة من خلال مايأتي[٤٦]:

١. إجراء تقليم معتدل للأشجار وعدم اجراء التقليم الجائر كونه يُحفّز النمو الكثيف الحساس للإصابة بالحشرة.
٢. الري المتوازن للتقليل من ظهور النموات الطرية الحساسة للإصابة.
٣. استخدام الأعداء الحيوية للحشرة.
٤. استخدام الفرمونات الجاذبة للذكور وبالتالي منع تلقيح الأناث.

فضلاً عـن استخدام المبيدات الكيميائية باستخدام مادة الباراثيون أو ديازينون وذلك بعد ظهور الأوراق الحديثة بحوالي اسبوع إلى عشرة أيـام[٤٧]. ويؤكّد مزارعو منطقة الدراسة عدم جدوى المكافحة الكيمياوية لوحدها في مكافحة حـشرة حفار أوراق الحمضيات التي أبـدت مقاومة لكثير من المبيدات الكيماوية، ولم يستمر تأثير أقوى المبيدات المستخدمة على هذه الحشرة كمبيد (اللانيت) إلّا لبعض أيام قليلة تتراوح بين (٣-٧) أيام.

ثالثا: الحشائش والأدغال (Definition):

تُعرّف نباتات الأدغال بأنها النباتات النامية

في غير محلّها[٤٨] أي النباتات التي تنمو من تلقاء نفسهادون تدخّل الإنسان في زراعتها وتُعدّ هذه المشكلة من المشاكل الخطيرة التي يُعاني منها الكثير من الفلاحين في منطقة الدراسة.

وقد تبيّن من الدراسة الميدانية أن نباتات الحلفا والثيل والشوك والداتورة منتشرة فيبساتين مقاطعات منطقة الدراسة وقد ثبت علميا إن بعض أنواع الأدغال إلّا وهو (الحلفا) تفرز مواد كيماوية تحدّ من نمو المحاصيل الزراعية. أما المبازل فتنتشر فيها كميات كبيرة من الأدغال وتتمثل هذه الأدغال بنباتات القصب والبردي فضلا عن انتشار ادغال مائية إلّا وهي (الشمبلان) وقد قامت بعض الفرق التابعة لمديرية الموارد المائية في المحافظة بحملة تطهير جدول الحسينية والقنوات المتفرعة منه للقضاء عليه. وأن نمو هذه الأدغال جاء نتيجة للإهمال الزراعي في السنوات الماضية.

مصادر الأدغال:

إن الادغال الموجودة في منطقة الدراسة تعود لعدد من المصادر التي تنمو وتنتشر من خلالها والتي تمّ التوصل اليها من خلال المقابلة الميدانية مع عدد من المزارعين وأصحاب البساتين:-

١. تربة البستان: قد تحتوي التربة المراد زراعتها بأشجار البستان على كميات من بذور الأدغال القديمة التي يكون قسم منها في حالة السبات لسنين طويلة لعدم توفر الظروف الملائمة لنموها، ولكن تنبت تلك البذور حال توافر الظروف الملائمة مكوّنة نباتات وأعشاب الأدغال المعروفة. كما قد تحتوي التربة على قطع الجذور التي يمكن أن تنبت وتكون مصدرا لانتشار العديد من الأدغال المعمرة.

٢. شتلات الحمضيات والفواكه: عند نقل الشتلات من مكان لآخر فإنه ينتقل معها بعض من البذور وجذور الأعشاب العالقة بالتربة المحيطة بالشتلات إلى المكان الجديد.

٣. مياه الري: تحمل مياه الري أنواعاً عديدة من البذور وقطع الجذور التي تنقلها إلى داخل الأرض المزروعة بمحاصيل البستنة فتنمو في تلك الأرض المنقولة لها حال توفر الظروف الملائمة.

٤. الأسمدة العضوية: تحتوي الأسمدة العضوية على أنواع عديدة من بذور الأدغال التي تنمو بعد إضافة هذه الأسمدة إلى شتلات وأشجار الحمضيات.

أضرار الأدغال على المحاصيل الزراعية:

ان للأدغال أضراراً تسبّبها للمزروعات التي تنمو معها وهي تتمثل بالآتي:

١. ضعف نمو النبات وقلّة الانتاج لمشاركتها للمحصول الرئيس ومزاحمته في الغذاء والضوء والماء.

٢. تعمل هذه الآفات الزراعية على زيادة الضائعات المائية إذ تُشير المصادر إلى أن ماتطرحه الأدغال من الماء عن طريق النتح يتراوح بين (٣٠-٤٠٪) عما تفقده من سطح الماء مباشرة[٤٩].

٣. تكون مأوى آمناً تعيش عليه الحشرات ومسببات الأمراض النباتية.

٤. تُمثّل الأدغال بيئة ملائمة لنمو واختفاء بعض الحشرات، إذ شوهدت خلال فصل الصيف حيث درجات الحراة العالية وضوء الشمس الشديد والرطوبة النسبية القليلة لجوء بعض أنواع من الحشرات إلى حماية نفسها داخل الادغال[٥٠].

٥. نمو الأدغال في قنوات الري والمبازل، التي تؤدّي إلى انسدادها وإعاقة حركة المياه فيها، مما تسبب تأخير عمليات الري، مما يتطّلب ذلك أعمالاً إضافية لإزالتها.

أضف إلى ذلك تؤكّد الدراسات أيضاً ان الأدغال تتنافس مباشرة مع الأشجار الصغيرة على رطوبة التربة والمواد الاولية وثاني اوكسيد الكاربون وهذا يوثر على نمو الأشجار وجعل نموها بطيئا اما بالنسبة إلى اضرار الأدغال على الأشجار الكبيرة العمر فيكون تاثيرها اقل قياسا بالأشجار الصغيرة ولكن ينعكس تأثيرها على خفض الحاصل والنوعية.

مكافحة الأدغال:

نظراً للأضرار الكبيرة التي تسببها الأدغال على أشجار الحمضيات والفواكه والتي يعادل ضررها الأضرار الناجمة عن الحشرات والامراض معاً لابد من مكافحتها بطرق عدة للقضاء عليها وبشكل نهائي، ولكن نجد أن عملية مكافحة الأدغال في البساتين تكون عملية ناجحة وذلك في البساتين المزروعة فيها لأشجار بطرق منتظمة بحيث يمكن للساحبات والآت العزق المرور داخلها وخاصة اذا ما أُحسن استخدام الآلة في الوقت المناسب من الموسم وحسب أنواع الأدغال النامية في البستان ولكن لعملية العزق بعض المساوئ وخصوصاً مايتعلّق بالأضرار التي تُسببّها الآت العزق للجذور السطحية للاشجار التي مازالت صغيرة وهذه العملية بحدّ ذاتها تجلب بذور الأدغال من أعماق التربة إلى السطح لذلك يفضل عدم الاعتماد كلياً على عمليات العزق بل تمارس مع الأساليب الأخرى، أما عملية الحش فإنها ممارسة شائعة للتخلّص من الأدغال النامية على حافات الأسوجة في البساتين وكذلك الأدغال النامية في المساحات التي تفصل الأشجار عن بعضها فضلاً عن استخدام المبيدات الكيميائية ومن أهمها (Paraquat) وذلك عن طريق المرشات التي تحتوي خراطيم الرش فيهاعلى واقية لمنع وصول الرذاذ على سيقان الأشجار الفتية والأغصان القريبة من سطح التربة[٥١].

ولابدّ من توفير المبيدات الكيمياوية للتخلّص من الأدغال التي أثبتت نجاحاً في مكافحة نباتات القصب ومنها المبيد (جلاسفيد، وجراوند أب، وكلايفوسيت، والدولايت)، إذ تتمّيز بسهولة استعمالها وأضرارها الجانبية محدودة، ويمكن من خلالها القضاء على نباتات القصب فيما لو استعملت بشكل علمي مدروس. ولكن نجد في منطقة الدراسة بأن المزارع يستعمل أسلوب حرق نباتات القصب والحلفا، اعتقاداً منه أن حرقها سيؤدّي إلى حرق بذور الأدغال وعدم

نموها في المواسم اللاحقة، وهذا الأعتقاد خاطيء لأن نباتات القصب والحلفا ستبقى في التربة ثم تعود إلى النمو في الموسم اللاحق وبكثافة، إذ إن حرق أجزاء النبات العليا يفسح المجال امام الرابزومات للتعرّض لأشعة الشمس ومن ثم نموها بسرعة[٥٢]. كما أن أسلوب الحرق يؤدي إلى أضعاف خصوبة التربة، بسبب موت الحشرات والبكتريا التي كانت تضيف خصوبة للتربة وبطرق مختلفة، لذلك لا ينصح باستعمال أسلوب الحرق، وهناك توجّه حديث لدى أهالي منطقة الدراسة لترك هذا الأسلوب لعدم جدواه أولاً وآثاره السلبية في التربة ثانياً، وأيضاً لابدّ من دعم الجهود الفردية التي تمارس من أجل القضاء على نباتات القصب والأدغال، وذلك من خلال توفير آلات الحراثة والمكائن وتخفيض أجور عملها، أما عدد الحراثات ومواعيدها فيفضل أن تُحدّد من الجهات المعنية.

رابعاً: القوارض

يُعدّ الفأر المنزلي والجرذ النرويجي والجرذ الاسود من أكثر الأنواع انتشارا في منطقة الدراسة ويعد الجرذ الأسود من الأنواع الخطرة يزداد خطورة عاماً بعد عام والذي يسبب تلف أنواع مختلفة من الثمار، وتبدأ إصابته على ثمار المشمش ثم ينتقل إلى ثمار الرمان ثم ثمار الحمضيات ويبدو ان سبب ارتفاع تلك الإصابة لهذا النوع من القوارض عاما بعد عام يرجع إلى طبيعة بعض بساتين المنطقة من حيث زراعة أنواع مختلفة من الفاكهة ولا سيما المزروعة تحت أشجار النخيل إذ يميل هذا الجرذ للمعيشة والتكاثر على قمة النخيل وعلى جذوعها وقرب سطح التربة إذا كانت الرطوبة الأرضية ملائمة له، وتُعدّ قمة النخيل المأوى المفضل له وفي حالة إهمال أشجار النخيل وكما حصل في بعض السنوات من عدم إزالة السعف الجاف والكرب فإنها في هذه الحالة توفر المسكن الملائم لهذا النوع من القوارض والتي تساهم في زيادة نموه وانتشاره وبالتالي زيادة أضراره. وللقوارض أضرار كبيرة على ثمار الحمضيات والفواكه خلال شهر آذار إذ تهاجم الثمار بعد نضوجها وعند بدء درجات الحرارة بالارتفاع في موسم الربيع عندما يتوافر لها الغذاء المناسب مع بدء حفر أنفاقها داخل التربة. وشوهد أن القوارض تُفضّل حفر أنفاقها في ترب البساتين التي تنمو فيها الأدغال بصورة مستمرة والمهملة وذلك لأنها توّفر لها الحماية من درجات الحرارة المرتفعة وأشعة الشمس الشديدة، كما أنها تحافظ على بقاء تربتها رطبة، بينما شوهد قلّة أو انعدام تواجدها في ترب البساتين التي يعتنى بها، وتزال أعشابها بصورة مستمرة.

ولمكافحة القوارض لابدّ من استخدام المواد الكيميائية الطاردة للقضاء عليها ويعتمد نجاح هذه المواد الكيميائية على مدى تحسّس القوارض ونفورها من الرائحة أو الطعوم وكذلك لابد من نشرها في الوقت المناسب فعند ارتفاع درجات الحرارة وزيادة شدة ضوء الشمس تختبئ القوارض في انفاق داخل التربة لاسيما التربة الطّينية الرطبة أما في فصل الشتاء فنجدهاتتسلق أشجار النخيل وتختبئ بين اليافها وكربها تجنباً من

سقوط الأمطار وانخفاض درجات الحرارة، اما الطرق الأخرى لمواجهة القوارض فباستخدام الكلاب للفتك بها وهـذا ما تـمّ استخدامه في منطقة الدراسة وفعلاً تمّ القضاء على القوارض المنتشرة في المنطقة والتي سببت أضراراً كبيرة على أشجار الحمضيات والفواكه بكلّ أنواعها. وتوكد الـدراسـات الزراعية بـأن من الممكن مكافحة الـقـوارض بطريقة ميكانيكية وتشمل الحراثة العميقة للارض الزراعية أو غمر البستان بالماء مما يجبر القوارض على الخروج بعد تهديم ملاجئها تخلّصاً من الاختناق والغرق ولكن لهذه الطريقة آثاراً سلبية لذلك وجدت طريقة المصائد لمكافحة القوارض أفضل من سابقتها(٥٣).

أما قسم الوقاية فقد أكّد باستخدام المبيدات الخاصة للقضاء على القوارض ومنها مبيد الستورم ومبيد فوسفيت الزنك.

وبعد أن تعرّفنا على أهم الأمراض والحشرات الشائعة في منطقة الدراسة والمؤثرة على إنتاج محاصيل البستنة وكذلك الأدغال النامية في بساتين المقاطعات الزراعية والقوارض التي أتلفت ثمار الحمضيات والفواكه فقد استطلعت الباحثة على منطقة الدراسة وقد أخذت عيّنات من أشجار الحمضيات والفواكه المصابة أو التي يبدو عليها المرض أو بفعل حشرة وبأنواع محددة من مختلف المقاطعات الزراعية في منطقة الدراسة للتعرف عـلى الأمـراض والحـشرات التي تصيب تلك الأشجار وبالتالي التعرّف على الأسباب التي أدّت إلى ذبول الشجرة أو موتها أو انخفاض إنتاجها رغم توفّر الظروف الطبيعية الملائمة لنموها وأيضاً من دوافع أخذ العيّنات كان لاستكمال البحث حول أسباب تردّي انخفاض إنتاج الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة استكمالا للفصول السابقة وبناءً على ذلك كانت العينات من تسعة مواقع في منطقة الدراسة وتم أخذ العينات من أوراق الشجرة المصابة وأحياناً من الساق وأحياناً أخرى من سعف النخيل أما اختيار مواقع لأخذ عينّات النبات كان بطريقة عشوائية وقد أخذت بنظر الاعتبار من شمال المنطقة وجنوبها وشرقها وغربها، أما وقت أخذ نماذج العيّنات كان قبل عملية المكافحة التي تجريها مديرية الزراعة في قسم الوقاية وقد تبيّن من النتائج وجود أمراض وحشرات تُصيب الأشجار التي أخذ منها العينة، إذ أن إصابة أشجار الحمضيات والفواكه في منطقة الدراسة بالأمراض والحشرات يتمّ مكافحتها من قبل مديرية زراعة محافظة كربلاء وخصوصاً قسم الوقاية ولكن للأسف لا تُكافح كلّ الأمراض والحشرات بل كان توجّهها نحو معالجة مشكلة حشرة الدوباس في المنطقة للقضاء عليها لما تسببه من أضرار بالغة على أشجار النخيل فقط وبالرغم من ذلـك وجـدت الباحثة أن بعض المزارعين يقومون بـشراء المبيدات على حسابهم الخاص من المكاتب الزراعية المنتشرة في منطقة الدراسة للقضاء على الأمـراض والحـشرات التي تصيب بساتينهم نتيجة تفشّي الأمراض وبصورة واسعة ولكن نجد عزوف المزارعين عن شراء المبيدات ويبقى اعتمادهم على قسم الوقاية لمكافحة الآفات الزراعية وهـذا نتيجة لغلاء أسعار المبيدات الكيميائية، ويلاحظ الجدول (٣) والخارطة (١).

جدول (٣) نتائج تحليل عينّات محاصيل البستنة في منطقة الدراسة

ت	موقع أخذ العيّنة	نوع العينة	مكان الإصابة	نتيجة التحليل
١	مقاطعة الدراويش	شجرة برتقال	الأوراق	حفّار أوراق الحمضيات
٢	مقاطعة كريد الأميرية	شجرة لنك الدنيا	الأوراق	مرض ضربة الشمس
٣	مقاطعة الجوب وأبو طحين	شجرة تفاح	الثمار-أوراق	عناكب - ديدان قارضة
٤	مقاطعة بدعة اسود	مشمش	الأوراق	عناكب - ديدان قارضة
٥	بساتين أبو عصيد	النخيل	السعف	حشرة الدوباس
٦	مقاطعة أبو زرنت	عرموط	الثمرة	ذبابة الفاكهة
٧	بساتين البهادلي	تين	الأوراق	حشرة المن
٨	الشيطه والصالحية	النارنج	الجذع	مرض التصمغ
٩	الكعكاعية الغربية	النخيل	الثمرة	حشرة الحميرة

تّم اجراء التحليل في مديرية زراعة محافظة كربلاء، قسم وقاية النبات، بتاريخ ٢/ ٤/ ٢٠١٥.

خارطة (١) مواقع أخذ عيّنات النبات في منطقة الدراسة

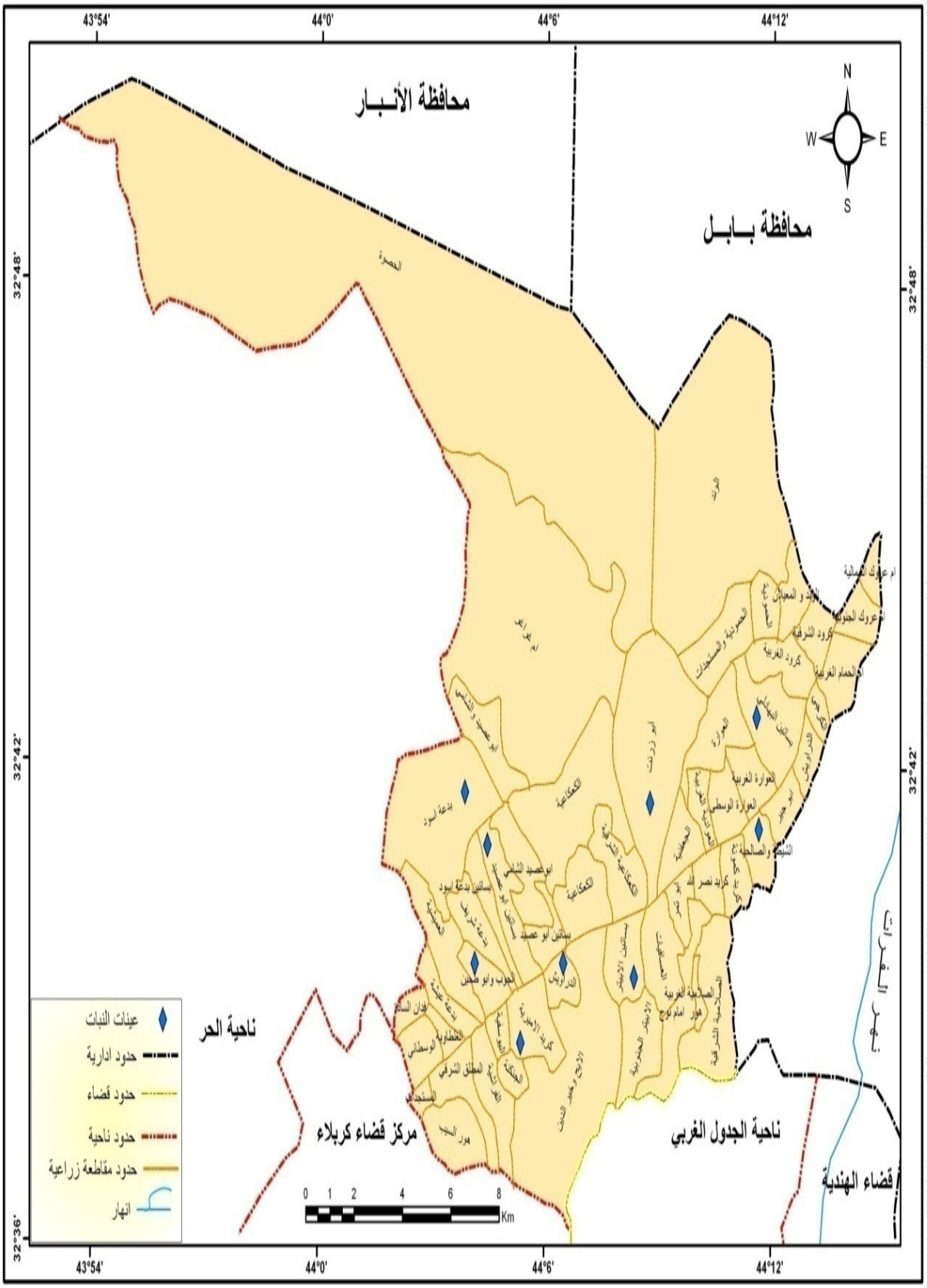

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على المرئية الفضائية لمنطقة الدراسة.

الاستنتاجات

أن للعوامل الحياتية تأثيراً في انخفاض إنتاجية أشجار الحمضيات والفواكه أذ يظهر تأثيرها الاقتصادي من خلال ما تسببه من خسائر فادحة في المحاصيل الزراعية منها موت النبات بالكامل أو جزء منه وبالتالي انخفاض القيمة التجارية للمحصول، وتلف المحصول في المخازن، والتأثير السام للإنسان، فضلاً عن تكاليف مقاومة الآفات وتكاليف الأبحاث التي تجرى للتوصل إلى أفضل الطرائق لمكافحتها.

التوصيات:

١. ضرورة الاهتمام بالعمليات الزراعية للحمضيات من تنظيم ريّها وعدم تعرّضها للعطش الشديد الذي يسبب لها الذبول والإصابة بلفحة الشمس، وعدم إعطائها أكثر من حاجتها للحيلولة دون الإصابة بالأمراض الطفيلية، وينبغي الاهتمام بعملية التقليم وإزالة الأغصان والفروع الميتة التي تكون مخابئ جيدة للآفات وتُشكّل مصدر عدوى للأغصان والأشجار السليمة.

٢. ينبغي استخدام الأسمدة العضوية للحمضيات خلال فصل الخريف للحفاظ على جذور الحمضيات من خطر تجمد التربة وانخفاض درجات الحرارة شتاءاً، فضلاً عن تجنّب حدوث الخدوش والجروح على أشجار الحمضيات لأنها تكون مخابئ مناسبة للآفات كما تكون خير طريق لدخول الجراثيم المرضية إلى الأشجار السليمة وخاصة الأمراض الطفيلية والفيروسية الخطيرة.

٣. ينبغي إزالة الأعشاب وعدم إهمالها لأنها تُشكّل عوامل ثانوية للحشرات وتكون مصدر تغذية لها فضلاً عن لجوء كثير من الآفات والقوارض للاختفاء بداخلها.

٤. لابدّ من جمع الأوراق والثمار المتساقطة وعدم إهمالها وتركها في أرض البستان لأنها تكون مصدر لانتقال عدوى الإصابة إلى أماكن وأشجار أخرى.

٥. إنشاء مراكز خاصة للبحوث ولدراسة الآفات والحشرات والأمراض التي تُصيب محاصيل البستنة في منطقة الدراسة وإيجاد أفضل أنواع المبيدات فعالية وتجهيزها للمزارعين بأسعار مناسبة لاستعمالها عند ظهور الآفات الزراعية.

الهوامش

(١) عبد الأمير كاسب مزعل، ص٣٠٢.

(٢) عبد الوهاب مطر الداهري، الاقتصاد الزراعي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٠م، ص٣٥٢.

(٣) عباس عبد الحسين المسعودي، تحليل جغرافي لاستعمالات الأرض الزراعية في محافظة كربلاء، مصدر سابق، ص٢٣٠.

(٤) مكي علوان الخفاجي وآخرون، الفاكهة المستديمة الخضرة، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠م، ص ١٢٦.

(٥) فيصل رشيد الكناني، مبادئ البستنة، مديرية الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م، ص٤٣٧.

(٦) براء مالك البدران، دراسة مرض خياس طلع النخيل المتسبب عن الفطرين **Fusariumspp**.و **CavMouginiellaScaettae** وامكانية مكافحته كيميائياً وإحيائياً، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الزراعة، جامعةالبصرة، ٢٠١١م، ص١٠.

(٧) نوال مصطفى كريم، زراعة النخيل وإنتاج التمور في محافظة ديالى وسبل تنميتها، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠١٣م، ص١٣٩.

(٨) سلام هاتف الجبوري، دور عناصر المناخ في التأثير على آفات الحمضيات للمنطقة الوسطى من العراق، رسالة ماجستير، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م، ص١٣٤.

(٩) رياض أحمد العراقي، نديم أحمد رمضان، المرشد التطبيقي في مكافحة الآفات الزراعية، ط١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع – الاردن، ٢٠١٠م، ص٣١٢.

(١٠) طه الشيخ حسن، الحمضيات (فوائدها–زراعتها–خدمتها–اصنافها–آفاتها)، ط١، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة – دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٠٧.

(١١) بحث منشوره على الانترنيت **http://www.alexagri.net/forum/showthread.php?t=2524#.VbO_0y5T3IU**

(١٢) طه الشيخ حسن، مصدر سابق، ص١٨٠.

(١٣) رياض أحمد العراقي، نديم أحمد رمضان، مصدر سابق، ص٣٠٦.

(١٤) فيصل حامد، عماد العيسى، محمد بطحه، انتاج الفاكهة، جامعة دمشق، ٢٠٠٦–٢٠٠٧م، ص٢٥٧.

(١٥) عبد علي عبيد، علي حسين دمن، أمراض محاصيل البستنة، ١٩٩٠م، ص٣٣٠.

(١٦) سمير ميخائيل، عبد الحميد طرابيه، عبد الجواد الزرري، أمراض البساتين والخضر، ١٩٨١م، ص١٠٥.

(١٧) سلام هاتف الجبوري، دور عناصر المناخ في التأثير على آفات الحمضيات للمنطقة الوسطى من العراق، مصدر سابق، ص١١٦.

(١٨) سمير ميخائيل، عبد الحميد طرابيه، عبد الجواد الزر ري، مصدر سابق، ص١٠٦.

(١٩) مكي علوان الخفاجي، سهيل عليوي، علاء عبد الرزاق، الفاكهة المستديمة الخضرة، مصدر سابق، ص١٢١.

(٢٠) سمير ميخائيل، عبد الحميد، عبدالجواد، أمراض البساتين والخضر، مصدر سابق، ص١١٩.

(٢١) أميرة حبيب الجنابي، تحليل جغرافي للنشاط الزراعي في ناحية الكفل، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م، ص١٩٣.

(٢٢) سلام هاتف الجبوري، دور عناصر المناخ في التأثير على آفات الحمضيات للمنطقة الوسطى من العراق، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٢٣) مقابلة شخصية مع مهندس زراعي اقدم سهير قاسم حسن، قسم الوقاية بتاريخ ٢٨/ ٧/ ٢٠١٥م.

(٢٤) أعضاء هيئة التدريسيين، قسم كيمياء وسمية المبيدات، مبيدات الافات (المواصفات والتقييم الحيوي)مكتبة بساتين المعرفة طباعة ونشر وتوزيع، كلية الزراعة، جامعة الاسكندرية، ص١٣٥.

(٢٥)مقابلة شخصية مع رئيس مهندسين زراعيين كمال عبد الكريم، شعبة وقاية النبات بتاريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠١٥م.

(٢٦)علي الدجوى، موسوعة زراعة وإنتاج نباتات الفاكهة (الكتاب الأول) الفاكهة مستديمة الخضرة، ١٩٩٧م، ص٣٨١.

(٢٧)سلمى عبد الرزاق، الخصائص الجغرافية لزراعة أشجار النخيل في قضاء عين التمر، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد الثاني، ٢٠٠٧ م، ص١٦.

(٢٨)حيدر صالح الحيدري، عماد محمد الحفيظ، آفات النخيل والتمور الفصلية في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا، المشروع الاقليمي لبحوث النخيل والتمور في الشرق الادنى وشمال افريقيا، بغداد، ١٩٨٦م، ص٣٥.

(٢٩)نوال مصطفى كريم، زراعة النخيل وانتاج التمور في محافظة ديالى وسبل تنميتها، مصدر سابق، ص ١٤٢.

(٣٠)حيدر صالح الحيدري، عماد محمد الحفيظ، آفات النخيل والتمور الفصلية في الشرق الأدنى وشمال افريقيا، ، مصدر سابق، ص٣٦.

(٣١)مكي علوان الخفاجي وزملاؤه، الفاكهة المستديمة الخضرة، مصدر سابق، ص١١٨.

(٣٢)نوال مصطفى كريم، زراعة النخيل وانتاج التمور في محافظة ديالى وسبل تنميتها، مصدر سابق، ص١٣٨.

(٣٣)نجاح عبد جابر الجبوري، تحليل جغرافي للنشاط الزراعي في قضاء المناذرة، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٦م، ص٢٠٠.

(٣٤)ناصر عبد الصاحب الجمالي، إسماعيل الياسري، فاعلية بعض المبيدات الحشرية في مكافحة ذبابة الياسمين البيضاء على الحمضيات، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد (٥)، العدد (٤)، ٢٠٠٧م، ص٥٣٠.

(٣٥)محمد حسني جمال، مواهب السوسو، الفاكهة مستديمة الخضرة (الجزء النظري والعملي)، جامعة دمشق، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، ص٢٥٤.

(٣٦)ناصر عبد الصاحب الجمالي، إسماعيل الياسري، مصدر سابق، ص٥٣١.

(٧٣) علي الدوري، عادل الراوي، إنتاج الفاكهة للأقسام غير المتخصّصة في البستنة، مصدر سابق، ص٤٢٨.

(٣٨)طه الشيخ حسن، الحمضيات (فوائدها- زراعتها- خدمتها- أصنافها- آفاتها)، مصدر سابق، ص١٧٤

(٣٩)توفيق مصطفى، نعيم شرف، حشرات الفاكهة والأشجار الحرجية ونباتات الزينة العملية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤م، ص٢٨٦.

(٤٠)طه الشيخ حسن، مصدر سابق، ص ١٧٦.

(٤١)محمد حسني جمال، مواهب السوسو، مصدر سابق، ص٢٥٥.

(٤٢)طه الشيخ حسن، مصدر سابق، ص ١٧٦.

(٤٣)مكي علوان الخفاجي وزملاؤه، الفاكهة المستديمة الخضرة، مصدر سابق، ص٢٢٠.

(٤٤)طه الشيخ حسن، مصدر سابق، ص١٨٠.

(٤٥)سلام هاتف الجبوري، مصدر سابق، ص٦٤.

(٤٦)فيصل حامد، عماد العيسى، محمد بطحه، انتاج الفاكهة، مصدر سابق، ص٢٥٦.

(٤٧)مكي علوان الخفاجي وزملاؤه، الفاكهة المستديمة الخضرة، مصدر نفسه، ص٥٠.

(٤٨)غانم سعد الله، باقر الجبوري، الأدغال وطرق

مكافحتها، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص٩.

(٤٩)نجاح عبد جابر الجبوري، تحليل جغرافي للنشاط الزراعي في قضاء المناذرة، مصدر سابق، ص٢٠٠.

(٥٠)سلام هاتف الجبوري، مصدر سابق، ص١٤٦.

(٥١)غانم سعد الله، باقر الجبوري، الأدغال وطرق مكافحتها، مصدر سابق، ص١٧٨-١٨٠.

(٥٢)علي مخلف الصبيحي، التصحّر في محافظة الأنبار واثره في الاراضي الزراعية، أطروحة دكتوراه (غير منشوره)، كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ، ٢٠٠٢م، ص٣٢٢.

(٥٣)عبد الحسين حسن كاظم، القوارض (بيئتها - حياتها - طرق مكافتها)، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م، ص٢٠٠-٢٠١.

المصادر

١- الجنابي أميرة حبيب، تحليل جغرافي للنشاط الزراعي في ناحية الكفل، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م.

http://www.alexagri.net/forum/showthread.php?t=2524#.VbO_0y5T3IU

٢- البدران مالك، دراسة مرض خياس طلع النخيل المتسبّب عن الفطرين **Fusariumspp**. و **CavMouginiellaScaettae** وإمكانية مكافحته كيميائياً واحيائياً، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الزراعة، جامعة البصرة، ٢٠١١م.

٣- توفيق مصطفى، نعيم شرف، حشرات الفاكهة والأشجار الحرجية ونباتات الزينة العملية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤م

٤- الحيدري حيدر صالح، عماد محمد الحفيظ، افات النخيل والتمور الفصلية في الشرق الادنى وشمال افريقيا، المشروع الاقليمي لبحوث النخيل والتمور في الشرق الأدنى وشمال افريقيا، بغداد، ١٩٨٦م.

٥- العراقي رياض أحمد، نديم أحمد رمضان، المرشد التطبيقي في مكافحة الآفات الزراعية، ط١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع - الأردن، ٢٠١٠م.

٦- الجبوري سلام هاتف، دور عناصر المناخ في التأثير على آفات الحمضيات للمنطقة الوسطى من العراق، رسالة ماجستير، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م.

٧- الشبلي سلمى عبد الرزاق، الخصائص الجغرافية لزراعة أشجار النخيل في قضاء عين التمر، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد الثاني، ٢٠٠٧م.

٨- سمير ميخائيل، عبد الحميد طرابيه، عبد الجواد الزرري، أمراض البساتين والخضر، ١٩٨١م.

طه الشيخ حسن، الحمضيات (فوائدها-زراعتها-خدمتها-أصنافها-آفاتها)، ط١، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة - دمشق، ١٩٩٦م.

٩-المسعودي عباس عبد الحسين، تحليل جغرافي لاستعمالات الأرض الزراعية في محافظة كربلاء، أطروحة دكتوراه، كلية التربية -ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.

١٠-عبد الأمير كاسب مزعل، دراسة جغرافية لنظم الري والبزل على نهري الحسينية وبني حسن، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٨٨م.

١١-عبد الحسين حسن كاظم، القوارض (بيئتها -

حياتها – طرق مكافحتها)، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م.

١٢- الداهري عبد الوهاب مطر، الاقتصاد الزراعي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٠م.

١٣- عبد علي عبيد، علي حسين دمن، أمراض محاصيل البستنة، ١٩٩٠م.

١٤- علي الدجوى، موسوعة زراعة وانتاج نباتات الفاكهة (الكتاب الأول) الفاكهة مستديمة الخضرة، ١٩٩٧م.

علي مخلف الصبيحي، التصحر في محافظة الأنبار وأثره في الأراضي الزراعية، أطروحة دكتوراه (غير منشوره)، كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ، ٢٠٠٢م.

١٥- الجبوري غانم سعد الله، باقر، الأدغال وطرق مكافحتها، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

١٦- فيصل حامد، عماد العيسى، محمد بطحه، انتاج الفاكهة، جامعة دمشق، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

١٧-فيصل رشيد الكناني، مبادئ البستنة، مديرية الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

١٨- محمد حسني جمال، مواهب السوسو، الفاكهة مستديمة الخضرة (الجزء النظري والعملي)، جامعة دمشق، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

١٩- مكي علوان الخفاجي واخرون، الفاكهة المستديمة الخضرة، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠م.

٢٠- ناصر عبد الصاحب الجمالي، إسماعيل الياسري، فاعلية بعض المبيدات الحشرية في مكافحة ذبابة الياسمين البيضاء على الحمضيات، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد (٥)، العدد (٤)، ٢٠٠٧م.

٢١-نجاح عبد جابر الجبوري، تحليل جغرافي للنشاط الزراعي في قضاء المناذرة، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٦م.

٢٢-نوال مصطفى كريم، زراعة النخيل وإنتاج التمور في محافظة ديالى وسبل تنميتها، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠١٣م.

إستراتيجية الاستثمار السياحي للمسيرة المليونية في مدينة كربلاء المقدّسة

(دراسة في انثروبولوجيا السياحة)

الأستاذ المساعد الدكتور

عدنان مطر ناصر

كلية الآداب - جامعة المثنى

المدرس

جنان شهاب أحمد

كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة القادسية

The Strategy of the Tourist Investment of the Demonstrations in Karbala

(A Study of the Anthropology of Tourism)

Ass. Prof. Dr. Adnan Mutar Nasir
College of Arts
University of Al-Muthanna

Instructor: *Jinan Shihab Ahmed*
College of Administration and
Economy / University of Al-Qadissiya

Abstract

This study explains the interaction between the concepts of strategy and tourist investment in order to establish a theoretical and practical framework of the research. The problem can be expressed in terms of the lack the developmental strategy which may raise the opportunity of investing the demonstrations that take place in Karbala every year.

Karbala is known as a city of a civilized and cultural heritage which has its reflections on the tourist situation as this city has religious, archeological and natural characteristics that can be invested and developed.

The significance of this study lies on the assumption that it may suppose an intellectual foundation for the tourist investment in Karbala. This city has established its own presence along ages and has attracted millions of people as visitors to the religious places or as tourists who come from different countries especially from the Islamic states. Millions of visitors come every year specifically during the religious events for instance on the 20th of Safar in order to revive the martyrdom of Imam Al-Hussein (peace be upon him).

The researchers conclude that there are many supporting factors of profitable investment in Karbala such as building tourist cites which may be of great economical, cultural and social advantages. The conclusions have guided the researchers to introduce some recommendations. First, There must be a serious good planning for the investment of the large number of people. Secondly, the culture of the Husseiniyat heritage should be spread in order to raise the awareness of the community members as well as of those who work for the official administrative institutes that the more positive impression the tourists get the more they visit Karbala.

الملخص

تفاعل مفهومي الإستراتيجية والاستثمار السياحي لتشكيل الإطار الفكري والتطبيقي للبحث عبر تحدده بعنوان رئيس(إستراتيجية الاستثمار السياحي للمسيرة المليونية في مدينة كربلاء المقدسة: دراسة في انثروبولوجيا السياحة)، إذ انطلق من مشكلة معبَّر عنها بضعف الاستراتيجية التنموية التي ترفع مستوى الفرص المتاحة للاستثمار السياحي للمسيرة المليونية في مدينة كربلاء المقدّسة التي تحمل إرثاً حضارياً وثقافياً انعكس على الواقع السياحي من خلال ما تمتلك من مقوّمات دينية وأثرية وطبيعية يمكن استثمارها وتأهيلها سياحياً، وبناءً على ذلك تكمن أهمية البحث في أنه سيخرج بتأصيل فكري لواقع الاستثمار السياحي في كربلاء المقدسة، إذ استطاعت هذه المدينة تحقيق حضور خاص على مرّ العصور في جذب الملايين من الزوّار والسياح من شتّى بلدان العالم في كلّ عام، ولاسيما بلدان العالم الإسلامي بحيث تبدو أشبه بميناء روحي تقصده مئات الألسن والقوميات والأجناس لزيارة المراقد المقدّسة. إذ تتوافد على المدينة أعداد كبيرة من الزوّار على مدار أيام السنة وتحديداً أيام المناسبات الدينية المخصوصة كالزيارة المليونية في العشرين من صفر (أربعينية الإمام الحسين عليه السلام).

وخرج البحث بمجموعة من الاستنتاجات شخَّصت حقيقة واقع الاستثمار السياحي السائد في منطقة الدراسة كان أبرزها توافر مناخ للاستثمار الايجابي الذي يُعدّ حافزاً قوياً في انشاء المشروعات السياحية بمنطقة الدراسة والتي تعود بمنافع وفوائد اقتصادية وثقافية واجتماعية، وقادت الاستنتاجات إلى مجموعة من التوصيات كان أبرزها العمل على نشر التخطيط السليم لاستثمار وجود الزخّم البشري الهائل في المدينة المقدّسة بهذه المناسبة الدينية الكبرى من جهة، ونشر الثقافة الحسينية مما يرفع درجة الوعي السياحي لدى جميع أبناء طبقات المجتمع في أماكن الجذب السياحي والعاملين بالجهات والإدارات والمؤسّسات الرسمية وغير الرسمية التي تتعامل مع السائح، إذ أن انطباع السائح الايجابي عن سكان المدينة المقدّسة يُحقّق مزيداً من التدفّق السياحي.

المقدمة

تنفق الدول ذات مواقع الجذب السياحي المال والجهد الكبيرين لتفعيل مشاريع استثمارية لتنمية القطاع السياحي فيها من خلال وضع استراتيجية إدارية تعمل على تحقّق الدراسة والمقارنة الوافية من أجل التوصّل إلى أنجح الفُرص الممكنة ولأن دراستنا تحدّدت بالسياحة الدينية في محافظة كربلاء المقدّسة لأنها تُعدّ الأبرز بين المدن العراقية في مجال السياحة الدينية والسياحات الأخرى بما تمتلك من مقوّمات الجذب السياحي والتي قلَّما يوجد مثيلٌ لها في مناطق أخرى، كما وأن زوّار هذه المدينة يختلفون عن زوّار المدن الدينية الأخرى في أنهم لا يُعيرون الوضع الأمني أي اهتمام، إذ أن تأدية واجب الزيارة أهم لديهم من أي اعتبار آخر حتى لو كلّفهم ذلك حياتهم، وما الحشود المليونية التي تتدّفق على المدينة في مناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام كلّ عام إلّا خير دليل على ذلك، بما فيهم الزوّار الاجانب من البلدان الإسلامية والعربية على الرغم من التهديدات الأمنية التي تُحيط بهم من كلّ مكان، مما يتطلّب وضع استراتيجية استثمار تنموية للقطاع السياحي في كربلاء ضمن برنامج مشترك بين الجهات الحكومية المشرفة على قطاع السياحة ومقدّمي الخدمات السياحية (المؤسّسات ورجال الأعمال) والمستهلكين لهذه الخدمات (السّياح) والمجتمع المضيِّف للسياحة، وهي إستراتيجية طويلة المدى لتهيئة الخدمات السياحية المتمثّلة بالدرجة الأساس بخدمات المأوى والمأكل والراحة النفسية للسائح كالخدمات الفندقية والمطعمية والأماكن الدينية، والترفيهية والتثقيفية وغيرها مما يغطي وقت السائح ويتفاعل معه وكل ما يحتاجه من مرونة سير آلية المعاملات الرسمية التي تبدأ من تأشيرة الدخول للسائح والاقامة والجوازات بحسب الظروف السائدة في البلد مما يسهل التخلّص من أي تعقيد) روتيني(في الدوائر ذات العلاقة، ويمكن ترجمة كلّ ذلك بآلية تنتهي بأرقام ضمن جداول التخطيط للتنمية الإستراتيجية وفي ضوئها توضع الخطط الخمسية في القطاع السياحي.

المبحث الأول:

منهجية البحث

أولاً: مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في ضعف الاستراتيجية التنموية التي ترفع مستوى الفرص المتاحة للاستثمار السياحي للمسيرة المليونية في مدينة كربلاء المقدسة، إذ يأتي إليها ما يقرب من نصف سكّان العراق بمناسبة الذكرى السنويه لمرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام مع أهله وصحبه، ينطلقون من أكثر من ٥٠٠ مدينة وناحية وقرية عراقية في مسيرات راجلة متصلة مجموع طولها أكثر من ١٠٠٠ كم، تسير لمدة ٥- ٢٠ يوماً متواصلاً باتجاه المدينة، حيث مرقده المبارك، فضلاً عن الأعداد الكبيرة من الزائرين غير العراقيين الذين يتوافدون على المدينة المقدّسة.

ثانياً: أهمّية البحث

تُعدّ هذه الظاهرة العراقية مادة مهمة ونوعية فريدة للدراسات الأكاديمية؛ في كثير من الفروع الإنسانية، ومنها الدراسات الإدارية والإجتماعية في مجال وضع استراتيجية تنموية للقطاع السياحي في كربلاء المقدّسة لهذا التجمّع الذي لم يعرف التاريخ أو تشهد الجغرافيا تجمُّعاً بهذا الحجم والنوع.

ثالثاً: هدف البحث

معرفة الرؤى والاستراتيجيات المستقبلية، ومعوّقات عمل الاستثمار السياحي للمسيرة المليونية في كربلاء المقدسة:

١. التعرّف على أهم المشاريع والخدمات السياحية المختلفة في كربلاء المقدّسة سواء أكانت حكومية أم خاصة وتقويم تلك المشاريع.
٢. وضع عدد من التوصيات والمقترحات التي تُسهم في تطوير الاستثمار السياحي لمسيرة الأربعين المليونية في مجتمع البحث.

رابعاً: أسباب اختيار موضوع الدراسة

هناك أسباب عدّة دفعتنا لاختيار هذا الموضوع نوجزها على النحو الآتي:

١. موقع العراق المتميّز في وجود مراقد الأولياء الصالحين والمناطق الآثارية والطبيعيةالمختلفة الجاذبة لمناخ الاستثمار السياحي.
٢. الاهتمام المتزايد بالسياحة ولاسيما السياحة الدينية على المستوى المحلّي والوطني واعتبارها صناعية نظيفة عالية العائد ونفط دائم.
٣. يُعدّ الاستثمار السياحي أحد مصادر زيادة الدخل الوطني وزيادة فرص العمل والقضاء على البطالة نظراً لما تدرّه السياحة من عائد بالعملة الصعبة، ولكون العراق بلداً سياحياً يستطيع تحقيق نهضة سياحية شاملة لتوفر جميع مقوّمات الجذب السياحي فيه.
٤. تُعدّ السياحة الدينية وسيلة هامة وفعّالة من وسائل الاتصال الفكري والتبادل الثقافي وأداة لإيجاد روح التفاهم والتسامح بين الشعوب وتوحيد الإنسانية والتقائها واختلافها في عناصر الثقافة.

خامساً: منهج البحث

تـمَّ استـخـدام منهجين أساسـين في سبيل الوصول إلى الأهـداف التي يصبو إليها البحث وهما:

- المنهج الوصفي: يمكن الإشارة إلى أن البحث الحالي قد أخذ بالمنهج الوصفي(**Descriptive**) في رسم صورة تفصيلية دقيقة للظاهرة المدروسة.
- **منهج دراسة الحالة:** من طرائق البحث التي تحاول جمع المعلومات المتعلّقة بوحدة معينة تخضع للبحث سواء أكانت تلك الوحدة شخصاً معيناً، أم أسرة، أم جماعة اجتماعية، أم مجتمعاً محلياً، أم وطناً معيّناً، ويُحقّق هذا المنهج جمع أكبر عدد من المعلومات والبيانات عن الوحدة المدروسة (عبد الفتاح، ٢٠٠٥م: ١١).

سادساً: وسائل جمع البيانات:

- **المقابلة:** لقد تمّ استخدام طريقة المقابلة لغرض الحصول على بعض المعلومات الصحيحة والدقيقة التي تخدم غرض البحث.
- **الملاحظة الشخصية:** تمَّ استعمال أسلوب الملاحظة الشخصية من خلال الزيارات الميدانية المتكررّة إلى منطقة البحث، إذ تمَّ القيام بجمع المعلومات للمدة من ١/ ١١ولغاية ٣٠/ ١٢/ ٢٠١٥م.

سابعاً: فرضية البحث

تمَّ صياغة فرضية البحث ذات العلاقة لتكون الحجر الأساس الذي يبني عليه الباحث مشروع بحثه في مجال إزالة معوّقات ومشاكل الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدّسة والمتمثّلة بالآتي:

((تمثِّل المسيرة المليونية (الزّيارة الأربعينية) المتوجّهة إلى العتبات المقدّسة والمعالم الدينية الأخرى في مدينة كربلاء المقدّسة فرصاً استثمارية سياحية مهمة للعراق بوجه عام وللمدينة بوجه خاص)).

المبحث الثاني:

الجانب النظري للبحث

أولاً: مفهوم الاستراتيجية

بدأ مفهوم الإستراتيجية تاريخياً من الجذور العسكرية فقد عرّف القاموس (Webster's New World Dictionary) و(المورد، ١٩٧٠م) على أنّه «علم تخطيط وتوجيه العمليات الحربية» (خليل، ١٩٩٤م: ١٧). أما في مجال الإدارة فتعّرف الإستراتيجية على أنّها «نموذج للأهداف الكبيرة والسياسات الأساسية الجوهرية للوصول إلى تلك الأهداف»(Lynch، ٢٠٠٠، ٨) في حين قدّمها (الحسيني، ٢٠٠٠، ١٥) من خلال التركيز على البدائل الاستراتيجية فعَرّفها بأنها «عملية تتضمن تحديد وتقويم البدائل المتوفّرة للمنظمة في إطار تحقيق أهدافها ومهمتها الاستراتيجية وإختيار البديل الاستراتيجي المناسب».

أما كلّ من (Charles & Gareth، ٢٠٠١، ٣٣) فقد أشارا إلى أنها «عمل تتخذه المنظّمة لبلوغ هدف أو أهداف عدة»، أما بالنسبة لـ(جيمس وروبرت، ٢٠٠٣: ١٠) فإن الإستراتيجية هي تحديد الأهداف والغايات طويلة الأجل لأي منظمة وتحديد اتجاهات العمل وتخصيص الموارد اللازمة لتنفيذ هذه الأهداف والغايات. في حين حدّد (الغالبي وادريس، ٢٠٠٧، ٣٠) مفهوم الاستراتيجية بأنه يعني الأساليب والوسائل المستخدمة التي يُراد منها تحقيق الهدف النهائي لتحقيق الاهداف بصورتها الشمولية.

واشار (الدوري، ٢٠٠٣، ٤٠١) إلى أن ضمان نجاح عملية تنفيذ الاستراتيجي مرتبط بشكل وثيق بالأسلوب المناسب حيث أشار إلى أنّ التنفيذ غير الفعَّال للخطط والسياسات سيؤدي إلى الفشل بينما التنفيذ الفعال والصحيح يؤدي إلى التعويض عن التخطيط غير المناسب ويوضح الشكل (١) وجهة نظره هذه.

الشكل (١ـ ٢) مصفوفة العلاقة بين التخطيط والتنفيذ الاستراتيجي

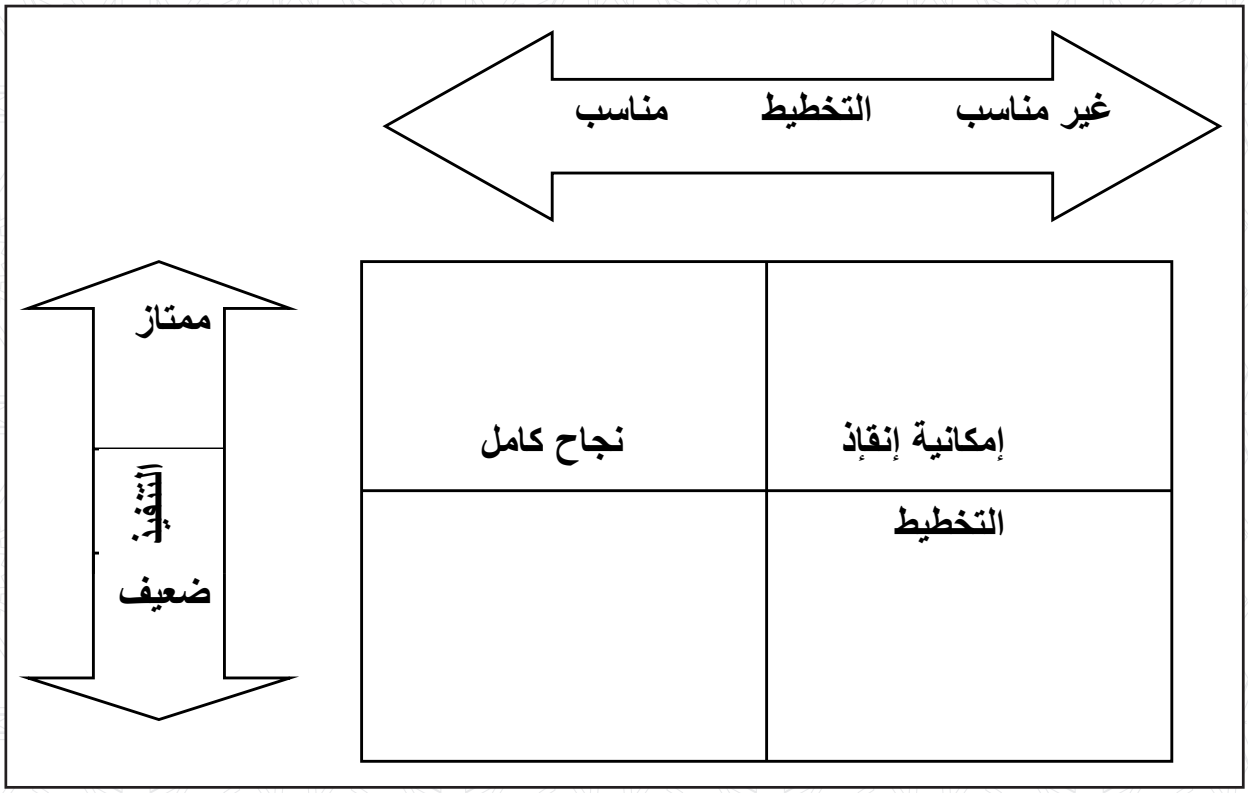

المصدر: الدوري، زكريا مطلك، ٢٠٠٣ م، «الإدارة الاستراتيجية، مفاهيم وعمليات وحالات دراسية»، دار الكتب والوثائق، بغداد، ص٢٠٢.

وعلى الرغم من تعدّد التعريفات المطروحة من قبل الباحثين إلّا أنها لم تختلف كثيراً من حيث أنّ الاستراتيجية تتعلق بـ:

١. عملية صياغة أهداف المنظمة التي تسعى لتحقيقها وخاصة الأهداف طويلة الأجل.

٢. تخصيص الموارد اللازمة مع تحديد الوسائل المناسبة لتحقيق تلك الأهداف.

ثانيا: الاستثمار السياحي

يُعرف الاستثمار لغويا بأنه: استعمال الأموال للانتاج، أما مباشرة بشراء الآلات والمواد الأولية، أو غير مباشر كشراء الأسهم والسّندات (معجم الوسيط، ٢٠٠٤: ١٠٠)، اما مفهوم الاستثمار عند الاقتصاديين فنعني به استعمال حصيلة الادخار من السلع التي لم تستهلك في عمل أو تفاعل منتج (عبد الكريم، ٢٠١٠: ١٨)، والاستثمار من وجهة نظر الذين يُقدّمون المال عبارة عن حبس أرصدة حاضرة لغرض الحصول على عائد مستقبلي في صورة دخل أو على هيئة زيادة في قيمة رأس المال الذي يقدمونه والاستثمار قد يكون فردياً أو جماعياً (Corporate) عن طريق الشركات أو حكومياً كما يكون الاستثمار داخلياً أو خارجياً (دعبس، ٢٠٠٨: ١٤).

أما الاستثمار السياحي فيعّرف بأنه القدرة الإنتاجية الهادفة إلى تكوين رأس المال وإعداد الملاكات البشرية العاملة في مجال صناعة السياحة من أجل تحسين الطاقه الإنتاجية والتشغيلية وتقديم أفضل الخدمات في المجالات المختلفة للنشاط السياحي(بولس، ١٩٨٩: ٤٠)، وهناك مَن يرى أن الاستثمار السياحي هو ذلك الجزء من القابلية الانتاجية الآتية الموجّهة إلى تكوين رأس المال السياحي المادي والبشري بغية زيادة طاقة البلد السياحية كالفنادق والمدن السياحية.... الخ (Ashe، ٢٠٠٨: ٣)، في حين يعرّفه بعضهم بأنه استعمال الموارد الاقتصادية المتاحة بأشكالها المختلفة لبناء طاقة إنتاجية جديدة والمحافظة على الطاقات الإنتاجية القائمة وتوسيعها، فضلا عن جميع الإضافات إلى المخزون السلعي وتعويض الانـدثـارات التي تصيب الطاقات الإنتاجية القائمة ومما يترتب عليه زيادة مساهمة هذا النشاط في تكوين القيمة المضافة الاجمالية ومن ثم زيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع (الخـوام، ٢٠٠١: ٢٣). ومع تعدد التعاريف المقدمة للاستثمار السياحي إلّا أنه يمكن القول بأنه توفير مناخ ملائم لإقامة مشروعات سياحية سـواء في جانب العرض أو الطلب السياحي وذلك من خلال تخصيص رؤوس اموال محلية أو أجنبية مع تقديم التسهيلات الخاصة باكتمال البنى الأساسية والتشريعات الميسرة، والحوافز المشجّعة، والمعلومات المتاحة بشفافية، ونظم الإدارة المتطورة.

السياحة: يمكن استخلاص تعريف مناسب للسياحة في منطقة الـدراسـة: بأنها نشاط ديني واجتماعي واقتصادي وثقافي يعمل على انتقال الافـراد في جماعات لمـدة مؤقته بعيداً عن محلّ الإقامة المعتاد من دون الإقامة الدائمة ولاسيما اذا توافرت بعض المقوّمات الأساسية للمشاركة في البرامج السياحية.

السائح (الزائر): التعريف المناسب للسائح أو الزائر في منطقة الدراسة، بأنه فرد لديه وقت فراغ مؤقت يقوم فيه طوعاً (باختياره) بزيارة المراقد والمقامات الدينية والأماكن الأثرية والطبيعية في مدّة زمنية لا تقل عن يوم واحد ولأتزيد عن ثلاثين يوماً بهدف إشباع رغباته الروحية المختلفة.

المبحث الثالث:

الجانب الميداني للبحث

اولاً: نبذة عن مدينة كربلاء المقدّسة

اختلفت الآراء حـول أصـل كلمة كربلاء ومعناها، فجاء في معجم البلدان (الكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مكربلاً) فيجوز على هذا أن تكون أرض كربلاء رخوة فسميِّت بتلك الصفة، ويقال: كربلت الحنطة إذا هذَّبتُها ونقيتُها (آل طعمه، ١٩٨٨، ١٠)، ولمدينة كربلاء تسميات عدة منها الغاضرية وهي من قرى كربلاء القديمة، ونينوى تميزاً عن عاصمة الدوله الآشورية نينوى الواقعة شمال العراق، وطفّ الفرات أي الشاطئ

وهي أرض من ناحية الكوفة في طريق البرية، والحائر، أما النواوويس فهي من قرى كربلاء ورد ذكرها في خطبة الإمام الحسين عليه السلام عندما أراد الخروج من مكة متوجّهاً إلى العراق(القرشي، ٢٠٠٦: ١٥-٢٢).

تقع المحافظة في وسط العراق في الجزء الغربي من السهل الرسوبي وشرق الهضبة الصحراوية في منطقة الفرات الأوسط في الاتجاه الجنوبي الغربي من مدينة بغداد العاصمة وتبعد عنها ١١٠ كم.

ويحدّها من الشمال والغرب محافظة الأنبار على مسافة ١١٢كم، ومن الشرق محافظة بابل على مسافة ٤٥ كم، ومن الجنوب محافظة النجف على بعد ٧٤كم كما موضح في الشكل(١).

ثانياً: الموقع الجغرافي المتميز

تتمثّل المعطيات الجغرافية بأنها من المقوّمات الأساس لنشاط السياحة الدينية في كربلاء المقدّسة، إذ تقع كربلاء ضمن المناطق التي تتمتع بمناخ البحر الأبيض المتوسط ولهذا يصبح النهار في الصيف طويلاً يصل إلى ١٤ ساعه ونهار الشتاء قصيراً وبارداً يصل إلى ١٠ ساعات، ويُعدّ البحر الأبيض المتوسط أكثر تأثيراً في هذه المنطقة، حيث تحصل في مدينة كربلاء والمدن المجاورة لها منخفضات جوية في الفصل الشتوي من فصول السنة يسبب تساقط الأمطار وتغّير ملحوظ في درجات الحرارة مما يجعل المنطقة المحيطة بكربلاء غنية بالأمطار قياساً» لمناطق الجنوب أو الغرب، ومما يزيد في ثراء المنطقة أنها محاطة ببساتين

الشكل (١) الخريطة الإدارية لمحافظة كربلاء

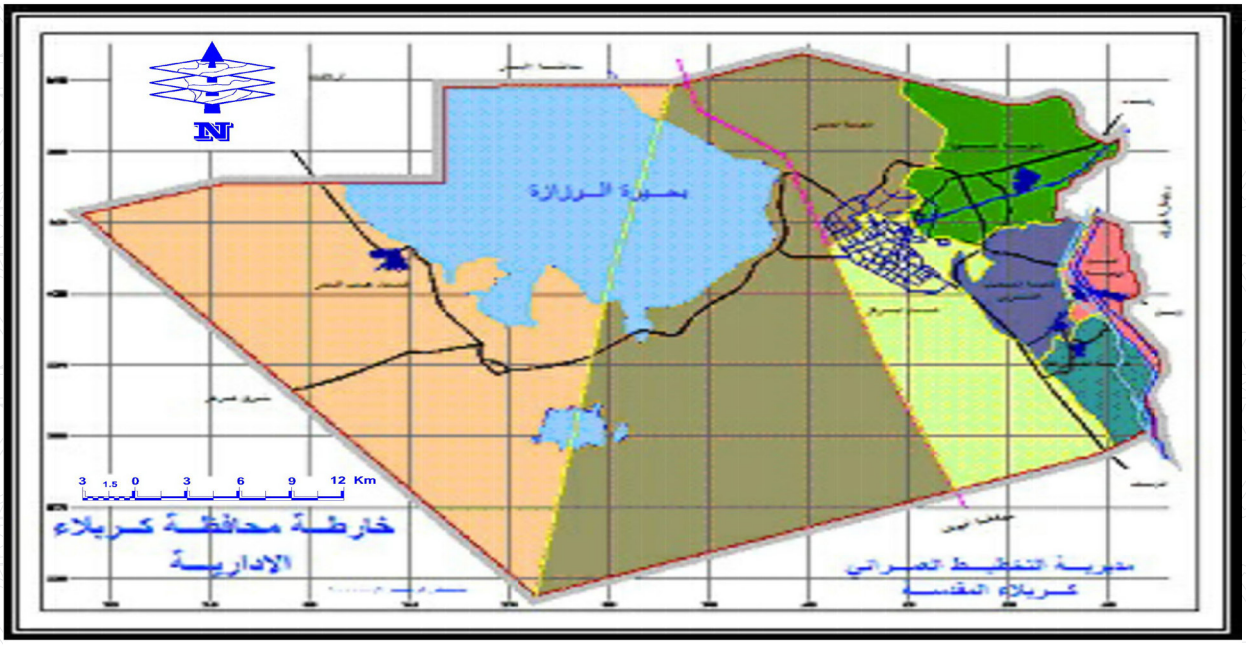

المصدر: دائرة التخطيط العمراني/ قسم تنظيم المدن/ كربلاء المقدسة، ٢٠٠٩م.

الفاكهة كما ان هناك تأثيراً آخر على المنطقة يأتي من منطقة الخليج العربي وهو ما يسمى بالرياح الشرقية المتأتية من جنوب العراق والتي تكون دائما حاملة لبخار الماء، فحينما تهب رياح الخليج ينحصر تأثيرها في مرور المنخفضات الجوية التي تدفعها الرياح الغربية في فصل الشتاء فتؤدي إلى هبوب الرياح الدافئة الرطبة التي تؤدي إلى سقوط الأمطار بحدود ١٢٥ ملم في السنة، وهذه الكمية من الأمطار قليلة بالقياس إلى الأمطار الساقطة في شمال العراق والأمر معروف حيث إن مدينة كربلاء أرض سهليه ولا توجد فيها أراضٍ جبلية تصدّ الرياح مما يسبب سقوط الأمطار، إذ تقع جنوب الخط المطري، أن الرياح الشمالية الغربية هي الرياح السائدة، وتُسبّب الرياح الجنوبية الشرقية سقوط المطر بعد التقائها بالرياح الشمالية الغربية، وتهب رياح شرقية وشمالية شرقية في بعض أيام الشتاء تسبب انخفاض درجة الحرارة في كربلاء (أطلس العراق التعليمي).

ثالثاً: الأعياد والزّيارات الدينية في مدينة كربلاء المقدّسة

إن الأعياد الرسمية التي يحتفل بها أهالي المدينة هي عيد الفطر وعيد الأضحى فيها يتبادل الناس التهاني والزيارات فيما بينهم، والوارد عند اهالي كربلاء زيارة سبط رسول الله ﷺ في هذه الاعياد لما فيها من الفضل والبركة، فضلاً عن قيام سكان المدينة بزيارة القبور، وتكتظ المدينة في هذا الوقت من كلّ سنة بقدوم الزائرين من محافظات العراق الأخرى ممن يقبل على زيارة الإمام الحسين واخيه العباس عليهما السلام وعلى زيارة ذويهم واهلهم المدفونين في المقبرة، إذ يقوم هؤلاء بتوزيع النذور والثوابات مهداة إلى أرواحهم وقراءة القرآن والأدعية وتقام أيضاً في هذا اليوم صلاة العيد في الصحن الحسيني الشريف وفيها يطلب الزائرون حوائجهم من الله عز وجل متوجهين اليه بمكانة الإمام عنده في تحقيق مطالبهم ونيل مبتغاهم، وفيه تقوم بعض العوائل بنحر الذبائح وتوزيعها على الفقراء من أهل المدينة.

يسبق ذلك أي في يوم عرفة ممارسات يقرأ فيها دعاء طويل للإمام الحسين عليه السلام خاص في هذه الليلة يعرف بدعاء عرفة فضلاً عن زيارته عليه السلام في كربلاء كما يقوم بعضهم بصيام يوم عرفة.

أما العيد الآخر فهو عيد النيروز الذي يصوم بعض الناس فيه وله صلاة خاصة مروية فيها فضل كبير للمصلي وفيه طقوس خاصة يمارسها الناس منها التصدق على الفقراء الذي يُعدّ بمثابة حصن للشخص من المشاكل والأذى لأجل أن تكون السنة عامرة بالخير والمنفعة وحسن الطالع.

ويحتفل أهل المدينة كذلك بمواليد الرسول ﷺ والأئمة بأجمعهم وهي لا تختلف في مجملها بين مولد وآخر إلّا أن التركيز في الاحتفال يكون في مولد الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الذي يصادف الخامس عشر من شهر شعبان وفيه تكون الزيارة للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. والجدول الآتي يوضح أهم الزيارات والمناسبات الدينية في المدينة.

الجدول(١) الزيارات والمناسبات الدينية في مدينة كربلاء المقدسة

ت	تاريخ المناسبة الدينية	سبب المناسبة الدينية
١	١٠ محرم	ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف
٢	٢٠ صفر	ذكرى اربعين الإمام الحسين عليه السلام
٣	١ رجب	زيارة الإمام الحسين عليه السلام الرجبية
٤	١٥ رجب	زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من رجب
٥	٣ شعبان	ميلاد الإمام الحسين عليه السلام
٦	٤ شعبان	ميلاد سيدنا العباس عليه السلام
٧	٥ شعبان	ميلاد الإمام علي بن الحسين عليه السلام
٨	١١ شعبان	ميلاد الإمام علي الأكبر عليه السلام
٩	١٥ شعبان	ميلاد الإمام الحجة عليه السلام
١٠	١٩، ٢١، ٢٣ رمضان	ليالي القدر
١١	١ شوال / ١٠ ذي الحجة	زيارة العيدين
١٢	٩ ذو الحجة	يوم عرفة
١٣	ليالي الجمع	عددها ٥٢ ليلة على مدار السنة

المصدر: من اعداد الباحث باعتماد: عباس القمي، مفاتيح الجنان، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٩م.

لذلك تعددّت الزّيارات ومواسمها لهذه الأرض المقدّسة، بل صارت بعضها حكراً عليها، وأولها الزيارات المليونية، كزيارة يوم عاشوراء وزيارة العشرين من صفر المعروفة بـ (الأربعينية) وزيارة النصف من شعبان المعروفة بـ(الشعبانية) وزيارة التاسع من ذي الحجة المعروفة بـ(عرفة) كلّ هذه الزيارات صارت لها مراسيمها وأدعيتها المخصوصة بها، بل إن أطول وأضخم ماراثون في العالم والمعروف بـ(ركضة طويريج) في العاشر من المحرم لا يقام إلّا في هذه المدينة وفي يوم واحد من السنة بمشاركة مليونية.

أما الزيارات التي تشهد أقل حضوراً فهي زيارة (الأول من رجب، زيارة الخامس عشر من رجب، زيارة الثالث من شعبان، وزيارة ليلة الثالث والعشرين من رمضان) وهناك زيارات تقتصر على المناطق المحيطة بكربلاء، وتحديدا

مناطق دفن الموتى في مقبرة المدينة، وهذه الزيارات هي زيارة الأول من شوال، وزيارة العاشر من ذي الحجة.

أما الزيارات الأسبوعية والتي صارت تقليداً لأهالي المدينة وأبناء المحافظات الوسطى والجنوبية، وهي زيارة ليلة الجمعة فإن عدد زوّار هذه المدينة يصل ما بين(٧٥٠) ألف إلى مليون زائر في هذه الليلة فقط.

كذلك فإن هذه الزيارات تتباين ما بين الزيارات النهارية وليوم واحد فقط أو لأكثر من يوم واحد، كزيارة الأربعين، والتي امتدّت في عام (٢٠١٥) مإلى اكثر من عشرين يوماً، حيث دخل المدينة خلالها أكثر من (٢٠) ملايين زائر شكّل الأجانب منهم أكثر من (٥) مليون زائر(*) من الدول الإقليمية والإسلامية والعالمية المختلفة.

رابعاً: شعيرة زيارة الأربعين

امتازت مدينة كربلاء بشعائر وطقوس دينية لكونها تحتضن الجسد الطاهر لحفيد رسول اللهﷺ الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته وأصحابه التي شهدت أرضها أبشع مجزرة عرفها التاريخ بحق أهل بيت آخر الأنبياء عليه وعليهم أفضل السلام، وولّدت صدمة حتى لأتباع الديانات الاخرى، وبذلك فقد استأثرت بتكوين شعور وجداني بالتعاطف مع الحسين وقضيته عالمياً، بحيث صار الحسينعليه السلام رمزاً للثورة والثائرين، ودخلت شخصيته الفريدة ضمن أدبيات الشعوب بل صارت جزءا مهما منها.

أما زيارة الأربعين فتذكر المصادر التأريخية أن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري هو أوّل مَن زار قبر الإمام الحسينعليه السلام في كربلاء سنة٦١هـ في الأربعين الأولى من بعد استشهاده وصادف في أثناء وجوده قدوم السّبايا من عيال الحسينعليه السلام من الشام وقبل ذهابهم إلى المدينة المنوّرة عرّجوا على كربلاء لزيارة قبور الشهداء من أهل البيت وأصحاب الحسين فالتقوا به هناك ومن هنا جاءت التسمية بزيارة الأربعين أي بعد أربعين يوم من استشهاد الحسينعليه السلام وهي تصادف يوم العشرين من صفر من كلّ عام.

وتختلف هذه الزيارة عن بقية الزيارات من ناحية طقوسها وتقاليدها ولعلّ أول ميزة تُميّز هذه الزيارة عن غيرها هي ظاهرة القدوم إلى المدينة المقدّسة سيراً على الأقدام من معظم محافظات العراق من السنة والشيعة والمسيحيين والصابئة وغيرهم لاسيما الوافدون من مدينة البصرة، إذ تستغرق رحلتهم لقطع مسافة (٥٠٠)كم عشرة أيام يمضونها سيراً في النهار أما في الليل فيكون مبيتهم في المناطق التي يمرّون عبرها، إذ يستعد أهالي هذه المناطق لاستقبال الآلاف من المشاةبتهيئة أماكن للراحة والمبيت وإعداد الطعام والشراب، وتفتح جميع البيوت أبوابها لاستقبال هؤلاء الزوّار وتهيئة الادوية والعلاجات وتقديمها من مفارز

(*) قسم السياحة في كربلاء المقدسة، وحدة الاعلام، ٢٠١٥م.

طبية منتشرة على طول الطريق، إذ يكون الزائر بأمس الحاجة إلى العلاجات الخاصةبالتورم الذي يصيب القدمين بسبب المشي.

إن هؤلاء الزوّار يكونون على معرفة بالمضيفين، إذ يستقبلونهم في كلّ عام وبعد قضاء ليلة في أماكن الاستراحة هذه ويستأنفون السير، صباحاً إذ يكون وصولهم يوم العشرين من صفر وهو يوم الزيارة المحدّد.

ولعلّ من المناظر المألوفة في هذه المسيرات الراجلة هو مشاهدة معوّقين يأتون على كراسي متحركة أو مستعينين بعُكّازين أو يحملهم بعض أصدقائهم أو ذويهم، أما بالنسبة للذين ليس لديهم القدرة على قطع هذه المسافة الطويلة فإنهم يأتون بواسطة السيارات والنزول بمسافة تبعد عشرة كيلو مترات عن المدينة ثم ينطلقون سيراً على الأقدام، أما خارج العراق فيأتي الزوّار عادة من إيران والكويت والسعودية والبحرين والامارات وقطر وعمان ودول إسلامية أخرى مشياً على الأقدام من حدود البصرة وحتى مدينة النجف الاشرف، إذ يؤدّون الزيارة لمرقد الإمام علي عليه السلام وبعدها يستأنفون المسير وبعضهم الآخر يستقلون سيارات توصلهم إلى المدينة المقدسة.

أما مواكب العزاء التي زاد عددها إلى أكثر من خمسة آلاف موكب فإن عملية استعراض هذه المواكب يتمّ حسب المحافظات التي قدموا منها، حيث يكون أول هذه المواكب الذي يبدأ بالمراسيم الخاصة بهذه الزيارة هي مواكب مدينة البصرة باعتبارها المحافظة الأبعد أما داخل المحافظة فهناك تقسيمات لمواكب أصغر تبدأ بمناطق المحافظة أو على اساس القبائل التي ينتسبون اليها أو على أساس المهن التي يمتهنوها مثل موكب النجّارين والخبّازين والحدّادين وغيرهم.

أما مواكب العزاء من خارج العراق فتأتي إلى المدينة من البحرين، عمان، إيران، الهند، أفغانستان، وغيرها من الدول العربية والأجنبية ولعلّ أكثر المواكب الذي ينتظره أهل المدينة والزوار بفارغ الصبر هو موكب العزاء المكون من الهنود المقيمين في بريطانيا، إذ أن لهم طريقة خاصة في التعبير عن التفجّع بهذه المناسبة، ومن الطقوس التي يؤديها الزوّار ولاسيما القادمون سيراً على الأقدام الاستحمام في الجدول الذي يعتقد بأنه من بقايا نهر الفرات والمسمّى بنهر العلقمي والذي جرت المعركة بالقرب منه، إذ يتأسّون بما قام به الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري عند قيامه بزيارة الحسين عليه السلام بالاغتسال بماء الفرات، ويقع هذا الجدول بأحد المداخل المؤدّية إلى ضريحي الحسين والعباس عليهما السلام في المنطقة المسماة باب بغداد، فإن معظم الزوّار ينزلون إلى النهر أما للاستحمام أو للوضوء وبعد ذلك يتوجّهون لزيارة المرقد الذي لا يبعد أكثر من(٥٠٠) م، كما أن كثيراً من الزوّار يقومون بملْءِ قناني صغيرة بهذا الماء لإيصالها إلى من يوصيهم بذلك للتبرّك أو لطلب الشفاء.

خامساً: السائحون (الـزّوار) الـوافـدون إلى محافظة كربلاء

استطاعت هذه المدينة تحقيق حضور خاص على مرّ العصور في جذب الملايين من الزوّار والسياح من شتّى بلدان العالم في كلّ عام، ولاسيما بلدان العالم الإسلامي بحيث تبدو أشبه بميناء روحي تقصـده مئات الألسن والقوميات والأجناس لزيارة المراقد المقدّسة.

إذ تتوافد على المدينة أعداد كبيرة من الزوّار على مدار أيام السنة وتحديداً أيام المناسبات الدينية المخصوصة كما يوضّحها الجدول (٢).

الجدول(٢) أعداد السياح من العرب والاجانب الوافدين إلى كربلاء

السنة	اعداد السياح الوافدين إلى محافظة كربلاء
٢٠٠٥م	٤٦٢٧٧٤
٢٠٠٦م	٥٣٨٢١٨
٢٠٠٧م	٦٣٣١٤٥
٢٠٠٨م	٧٥١١٦٧
٢٠٠٩م	٩٥٢١٠١
٢٠١٠م	١٠٦٣١٣٠
٢٠١١م	١٢٤٦٠٢٢
٢٠١٢م	١٤٤٧٠٢٥
٢٠١٣م	١٦٧٣٠٥٥

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد بيانات قسم السياحة في كربلاء المقدّسة، وحدة الإعلام، ٢٠١٤م.

ويمكن تصنيف الزوّار إلى ثلاثة أصناف تبعاً لمصدر قدومهم (الكناني، ٢٠٠٨: ٦٨):

- **الزوّار المحليون**: وهم العراقيون القادمون من محافظة كربلاء والمحافظات العراقية الأخرى، وتُشكّل نسبتهم (٩٠٪) من مجموع الزوّار في كلّ مناسبة دينية. وتتراوح مدة بقائهم بين اليوم الواحد واليومين.
- **الزوّار العرب**: ومصدرهم الوطن العربي وتصل نسبتهم (٢٪) من مجموع الزوّار في كلّ مناسبة دينية.
- **الزوار الأجانب**: ويقدمون من البلدان الإسلامية المختلفة وتُشكّل نسبتهم (٨٪) من مجموع الزوّار في كلّ مناسبة دينية.

وتتراوح مدة بقاء الـزوّار العرب والأجانب في كربلاء بين (٣-١٥) يوماً ويكون تحرّكهم أما بصورة فردية في حالة حصول الراغب منهم على سمة الدخول إلى العراق يمكنه أن يقيم في الفنادق القريبة من المرقدين أو في شقق خاصة أو في الدور المؤجّرة، أو بصـورة جماعية في سفرات سياحية غرضها الزيارة بشكل أساس، لذا تكون إقامتهم محدّدة في الفنادق المتوافرة في المدينة.

ومن ملاحظتنا للشكل(٢)، نجد أن مدينة كربلاء تحتوي على مجموعة من المداخل الرئيسة (الكـنـاني، ٢٠٠٨: ٩٢-٩٣) والـتـي تربطها بمحافظات القطر المختلفة وسائر دول العالم:-

أ. **المدخل الجنوبي – الغربي**: يربط المدينة بمحافظة النجف الأشرف وهو أهم مدخل لـ:

- كونه المدخل الرئيس لمدينة كربلاء يربطها بالمحافظات الجنوبية.
- يربط المدينة بمدينة النجف الأشرف المقدّسة.
- يُسجل هذا المدخل سنوياً أكبر رقم للزوار الداخلين للمدينة وبنسبة ٤٥٪ زائراً سنوياً من اجماليّ عدد الزوّار الوافدين للمدينة.
- من المتوقع زيادة أهمية هذا المنفذ في حالة إنشاء مشروع المطار بين مدينتي كربلاء والنجف ولاسيما السياح الوافدين لهاتين المدينتين الذي لا يبعد سوى ٣٨ كم عن هذا المنفذ.

ب. **المدخل الشمالي**: يربط مدينة كربلاء بالعاصمة بغداد لـ:

- كونه يربط المدينة بالعاصمة بغداد.
- المدخل الرئيس الذي يربط مدينة كربلاء بالمحافظات الشمالية.

يسجّل هذا المدخل ثالث أكبر رقم لأعداد الزوّار الوافدين إلى المدينة ونسبته حوالي (٢٠)٪ زائراً – سنوياً – من إجمالي عدد الزوّار الوافدين للمحافظة.

- وجود مرقد الإمام عون بن عبد الله عليه السلام على بعد ١١كم من مدخل المدينة الشمالي.

ج. **المدخل الشرقي**: هو الذي يربط مدينة كربلاء بمحافظة بابل ثاني أهم المداخل الرئيسة ويمتاز بأنه:

- يربط المدينة بمحافظة بابل، الديوانية، والاقضية والنواحي التابعة لها.
- يربط المدينة بالأقضية والنواحي التابعة لمدينة كربلاء مثل قضاء الهندية أو ناحية الخيرات.
- يربط مدينة كربلاء بالمحافظات الجنوبية.
- يبلغ معدل نسبة الزوّار الوافدين من هذا المنفذ (٣٥٪) زائراً سنوياً من إجمالي عدد الزوّار الوافدين للمحافظة.

وهنالك منفذ رابع غير مستغل من الزوّار والسائحين على الرغم من كونه أحد أهم منافذ المدينة الذي يربط العراق بالمملكة العربية السعودية، عن طريق عرعر (طريق الحج البري) وهو من أهم الطرق التي يمّر بها الحجاج العراقيين الذين يسلكون الطريق البري للوصول إلى الديار المقدّسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وبموجب أحدث إحصاء لتقدير عدد زوّار أربعينية الإمام الحسين عليه السلام التي تُعدّ من أهم وأكبر الزّيارات المليونية لسنة ٢٠١٥ م الوافدين من الطرق المؤدية إلى كربلاء المقدّسة وهي محور بغداد – كربلاء ونجف – كربلاء وطويريج – كربلاء قُدّرت بأكثر من (٢٠)(*) مليون زائر محلي وأجنبي وعلى مدار الساعة.

وهنا يظهر مدى أهمّية التخطيط لهذه المدينة المقدّسة من اجل استيعاب الحشود المليونية المكثفة وتقديم الخدمات الاساس للزائرين وانشاء تصميم حديث للمدينة يليق بمكانتها العالمية كما موضح في الملحق (١).

(*) قسم السياحة في كربلاء المقدسة، مصدر سابق، ٢٠١٥م.

الشكل (٢) أهم المداخل الرئيسة في مدينة كربلاء

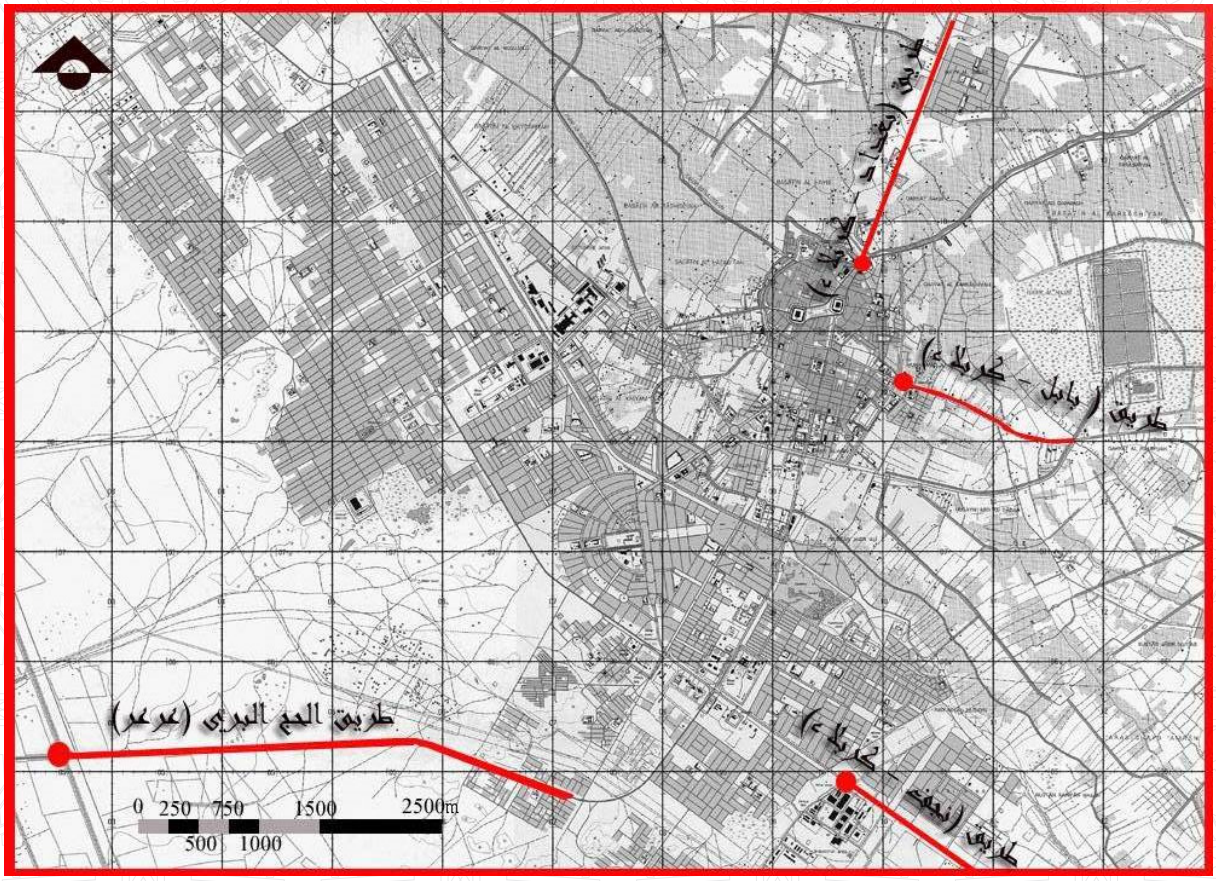

المصدر: دائرة التخطيط العمراني (مدينة كربلاء)، ٢٠٠٩.

سادساً: المنافع الاقتصادية لإنفاق السائح (الزائر) في مدينة كربلاء المقدّسة

إن رفع مساهمة قيمة القطاع السياحي يساعد على زيادة الفرص الوظيفية، وزيادة معدلات الاستثمارات، وتحسين ميزان المدفوعات، والحصول على النقد الأجنبي، وإحداث تنمية جغرافية (اقليمية) لاسيما في المناطق التي تحتوي على مواقع جذب للسياح.

كما أن للقطاع السياحي منافع مباشرة وغير مباشرة تتمّ عن طريق إنفاق السياح المحليين والدوليّن على الفنادق، المطاعم، النقل، المتاحف وبائعي المفرد في حين تمثّل المنافع غير المباشرة لإنفاق السياح من التأثير في الدخل والتوظيف، ويوضح الشكل(٣) الفوائد المباشرة وغير المباشرة لإنفاق السياح، وأنواع المستفيدين النهائيين من المنافع الأولية والثانوية والنهائية المترّتبة على مستوى الأنشطة الاقتصادية المختلفة بوجه عام.

فعندما يقوم السائح (الزائر المحلّي والأجنبي) في كربلاء بالإنفاق الأولي المباشر على السكن والأكل والترفيه والجولات السياحية وغيرها فإن ذلك يؤدى إلى منافع أخرى من الإنفاق عبر

مضاعفات السياحة، ويتمَّثل في الأجور والرواتب والمكافآت والعمولات وغيرها، وهذا بدوره يؤدي إلى منفعة ثالثة نهائية يستفيد منها المهنيون ورجال الأعمال وأصحاب المحال الصغيرة في القطاعات الاقتصادية المختلفة في كربلاء، ويشمل ذلك أصحاب المهن المختلفة، والموظفين في القطاعين العام والخاص، والحرفيّن، ونطاقًا واسعًا من الأنشطة الاقتصادية.

سابعاً: تنمية السياحة الدينية:

السياحه الدينيه تتجسَّد في خدمة الناس لكسب الثواب وإرضاء الله سبحانه وتعالى، كذلك تساهم السياحة الدينية في زيادة الأيدي العامله وبالنتيجة التقليل من البطالة، وهي امتداد للقطاع السياحي بشكل عام، والذي يعتبر أحد قطّاعات الاقتصاد الوطني(الروبي، ١٩٧٨:٣١).

الشكل (٣) المنافع الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة لانفاق السائح

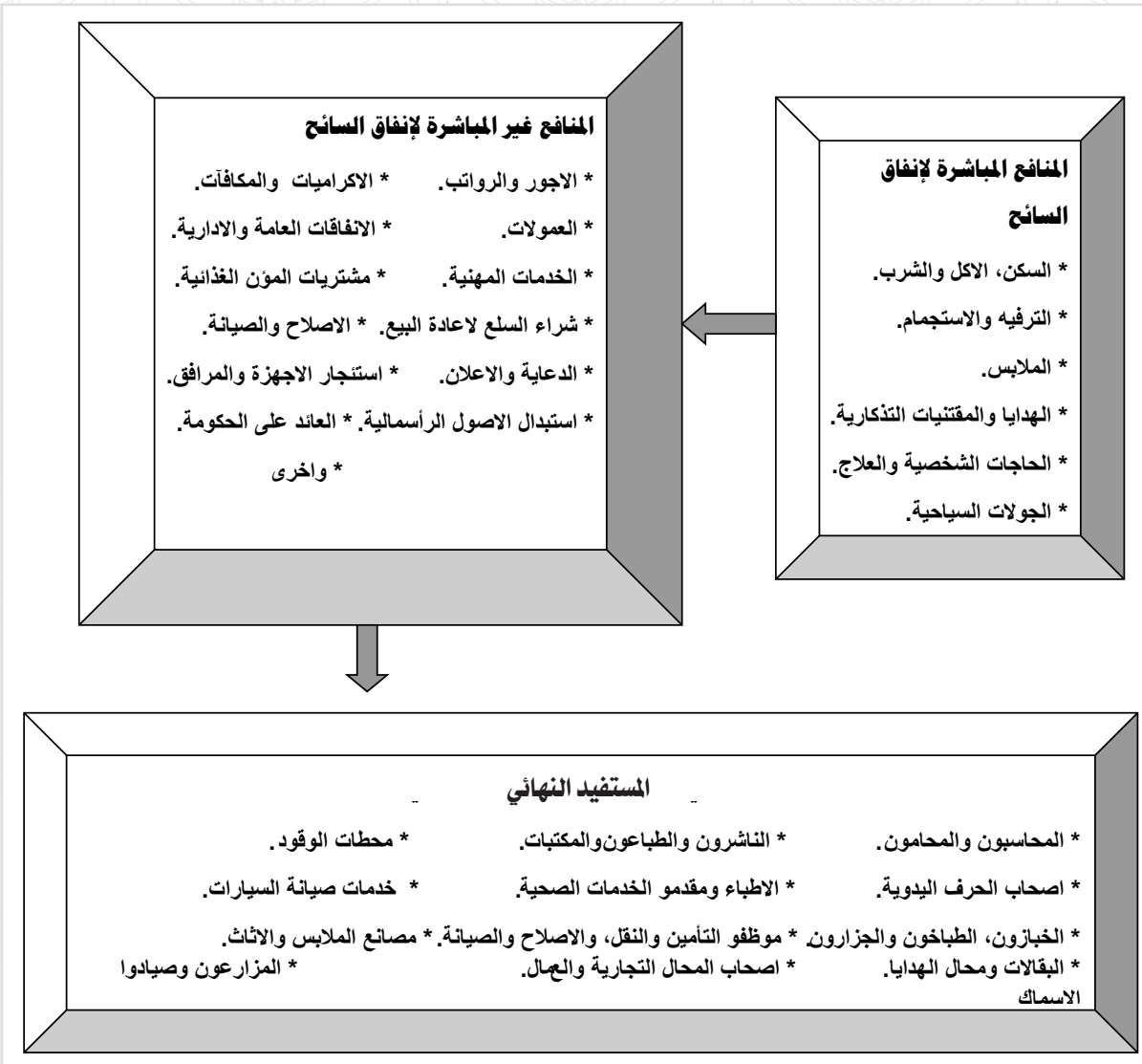

المصدر: حسن الهجهوج، الاستثمار في قطاع السياحة، ، السعودية، ٢٠٠٥، ص٣٥٨.

وبالنتيجة فإن لهذا القطاع دوراً مهماً في تنمية الدخل الوطني، وأن الاستثمار في مجال السياحه الدينية لشعيرة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، تشمل المجالات كافة مجال تقديم الخدمات وبناء واستغلال وسائل الإيواء والإطعام والتجهيز وإنتاج وشراء وسائل النقل وعربات المقعدين وانشاء المستشفيات التي تهتم بكبار السن من الجنسين، وفيها مجال لزيادة النشاط الزراعي لإنتاج المواد الغذائيه وكذلك استثمار القوى البشرية والسّياحة الدينية تعد تجارة في شكل استثمارات تدفع بعجلة التنمية وتُعدّ من نشاطات التجارة الخارجية إذا أخذنا بنظر الاعتبار الزوّار من خارج البلد.

ثامناً: التعاون السياحي الإسلامي

للارتقاء بمستوى الأداء السياحي الديني يجب رسم الخطط للنهوض بمستوى السياحة الدينية للاستفادة من تجارب الشعوب ذات الخبرة في هذا المجال والتي لديها نشاط سياحي ديني كجمهورية إيران الإسلامية من خلال عقد اتفاقيات ثنائية واتخاذ جميع الاجراءات اللازمة للتنمية السياحية وبذلك نستطيع أن ننتقل بالسياحة الدينية إلى ما هو أفضل من أجل راحة الزوّار ورفد الاقتصاد الوطني بالعملات الصعبة من خلال عقد اتفاقيات في مجال السياحة مع الجارة ايران لتبادل الأفواج السياحية بين البلدين يتخلّلها التعاون في مجال المواصلات والنقل واجراءات السفر في النقاط الحدودية وطريقة التعامل وتذليل العقبات الكمركية والتي تعطي دفعة نحو تقدم السياحه الدينية في مدينة كربلاء المقدّسة لاسيما في الزيارات المليونية كالزيارة الاربعينية وبالنتيجة تحقّق تكامل سياحياً دينياً يتفق عليه بين الدول التي تمتلك عاملاً مشتركاً في مجالات السياحه مثل إيران والعراق فلا باس أن تكون اتفاقيه بينها تهدف لتنمية المصالح المشتركة في مجال السياحه الدينية ويكون مضمون التكامل مطبق ومأخوذ به في حالة السماح بتشجيع الاستثمارات الإسلاميه في المدن السياحيه لاسيما أن مدينة كربلاء قادمه على الاعمار والبناء الذي يحتاج إلى استثمارات وخبرات لتطوير وتوسيع المراقد الدينية فيها لاستيعاب الحشود المليونية من الزائرين القادمين من الداخل والخارج.

تاسعاً: إستراتيجية المشاريع الاستثمارية في كربلاء المقدّسة:

يمكن تحديد استراتيجية وعمل الاستثمار في محافظة كربلاء من خلال الآتي(*):

١. مشروع توسعة مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام وتشييد سور واحد لهما وضمّ ما بينهما ليكونا حرماً واحداً في العشر سنوات القادمة.
٢. المباشرة بتنفيذ مشروع توسيع منطقة مابين الحرمين، والتي تُعدّ أكبر حملة توسيع تشهدها المنطقة، وستكون أعمال التوسعة على شكل مراحل، المرحلة الأولى التوسعة باتجاه المخيم الحسيني لضّمه إلى المنطقة بعد إزالة

(*) الاستراتيجية التي تم الحصول عليها من قسم الإعلام في العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية، ٢٠١٥م.

شارع حبيب بن مظاهر الذي يفصل العتبة الحسينية عن المخيم الحسيني، بعد أن تمّ استملاك(١٢٥) عقاراً (محل، بيت، فندق) مساحتها (٢٠٠٠٠م٢) الواقعة ضمن المنطقة وشراؤها من أصحابها بمبالغ خصصتها رئاسة الوزراء بعد تشكيل لجنتين لهذا الغرض الاولى لجنة التخمين والثانية لجنة شراء العقارات من أصحابها الذين باعوا أملاكهم بالتراضي وستكون هناك مراحل أخرى تشمل توسيع جميع المناطق المحيطة بالعتبتين الحسينية والعباسية على وفق جدول زمني قد يمتد إلى عشر سنوات، والذي يُراد منه استيعاب الاعداد الكبيرة من الزوّار الذين تصل اعدادهم إلى ملايين عدة في الزيارات المليونية وبالتحديد زيارة الأربعين.

٣. استملاك قطعة أرض في باب الخان بالقرب من مرقد العباس عليه السلام وهي أرض خان المخضر القديم لانشاء مشروع كبير يتضمن منشآت صحية بعدد اكثر من (٣٠٠) للزائرين، ومضيفين لإطعام الزائرين ومنشآت أخرى متعدّدة لتقديم الخدمة المطلوبة لزوّار المرقدين الشريفين.

٤. إنشاء مدن متكاملة الخدمات للزائرين الوافدين إلى كربلاء من جهة بغداد، والحلة- طويريج، النجف - كربلاء بالتعاون بين العتبة الحسينية المقدّسة بتمويل من ديوان الوقف الشيعي لغرض تقديم الخدمات التي يحتاجونها من سكن وطعام وعناية صحية.

٥. إقامة مدينة اعلامية ومجمع ثقافي متكامل يحتوي على بانوراما تجسّد واقعة الطف، ومكتبة عامة حديثة، قاعة كبرى للمناسبات والمؤتمرات، معرض فنون تشكيلية (كاليري) نحت، رسم، سيراميك، وكرافك مع فكرة إنشاء متحف وطني للتراث والآثار خاص بمحافظة كربلاء المقدّسة.

٦. بدأت شركة **ADPI** الفرنسية المتخصّصة بإنشاء المطارات في بناء مكوّنات مطار كربلاء الدولي بمساحة مئتي دونم وعلى بعد اثنين وعشرين كيلو مترا عن مركز المدينة بإتجاه مدينة النجف الأشرف، يتمّ إنشاؤه بمدّة لا تتجاوز أربع سنوات وبكلفة تتراوح بين مليار إلى ثلاثة مليارات دولار على مراحل عدّة.

٧. تأسيس معهد الكفيل لتطوير المهارات التابع للأمانة العامة للعتبة العباسية المقدّسة ممثلة بقسم الشؤون الفكرية والثقافية وشعبة الانترنت، من خلال تهيئة دورات مبتدئة ومتوسطة واحترافية في مجالات التصميم الطباعي والتصوير وتصميم وبرمجة مواقع الانترنت والتصاميم التلفزيونية (الجرافيك) الرسوم المتحرّكة ثنائية وثلاثية الأبعاد.

٨. إبرام الأمانة العامة للعتبة العباسية المقدّسة عقداً مع شركة (كونكرتيك الاسترالية) لإنشاء فندق سياحي خمس نجوم على وفق المعايير والمقاييس الدولية.

٩. أقدمت العتبة الحسينية على إنشاء مرأب عصري يتضمن الخدمات المتعلّقة بالآليات من إدامة وتعبئة وقود وساحات مظلّلة لوقوف السيارات وبناية الإدارة التي تدير المرأب،

والكراج مغلق يستوعب ٢٢٥ سيارة لوقوف ومبيت (الباصات، الشاحنات، سيارات الحمل الصغيرة، وسيارات الصالون) بارتفاع ٩,٥م وبمساحة ١٠,٠٠٠م٢.

١٠. بناء مجمع كبير يضمّ خدمات تسوق الأجهزة الإلكترونية والكهربائية والغذائية وكلّ ما تحتاجه العائلة نتيجة الإقبال المتزايد عليه من العوائل من المناطق المختلفة في كربلاء المقدّسة وخارجها.

عاشراً: معوّقات الاستثمار السياحي في كربلاء المقدّسة:

يُقصد بالمعوقات العوامل التي تحُول من دون تحقيق الأُهداف التي يسعى المخطّط إلى تحقيقها، ومن ثم تعني اتجاهاً سلوكياً سلبياً، فقد يقوم المخطّط برسم طريقة للتغيير ولكنه يصطدم بأفراد المجتمع وتفاعلهم معه، وهناك عوامل تعوق تنمية الاستثمار السياحي في أي مجتمع منها العوامل الثقافية، الاجتماعية، النفسية، المادية، والفنية، فالتطوّر السّياحي لايؤخذ من الجانب الاقتصادي فقط وإنما هناك الجانب الاجتماعي، الثقافي، البيئي، وغير ذلك من مكّونات البناء الاجتماعي التي تؤثّر في المجتمع ونموه.

والتطور السياحي يدخل ضمن التنمية الشاملة للمجتمع العراقي إلّا أن هناك بعض المعّوقات التي تعوق حركة النشاط السياحي أهمها:

١. حداثة التشريعات المتعلّقة بقوانين السياحة والاستثمار، إذ يُعدّ أغلبها لغاية تاريخ إعداد هذه الدراسة تشريعات وقوانين مؤقتة تحتاج إلى مزيد من التعديل

٢. إستيلاء بعض أصحاب المواكب على مساحات كبيرة من المحافظة خلال الزيارات مما أدى إلى إتلافها، وقلة التزام بالثقافة الحسينية كان سببا متمما لذلك.

٣. نقص الاستثمارات التي توجه إلى قطاع السياحة مع ارتفاع تكاليف الاستثمار السياحي.

٤. عدم وجود سياسة محدّدة ثابتة للتصّرف في أراضي الدولة التي تصلح لإقامة المشروعات السياحية مع ارتفاع أسعارها، وعدم تفعيل نظام تملك الأجانب للأراضي والعقارات اللازمة لإقامة مشروعاتهم الاستثمارية ولسكن العاملين بها.

٥. تعقّد اجراءات الموافقة على إنشاء المشروعات الاستثمارية السياحية، مما يُسبّب بطئاً وتعطيلاً في تنفيذ المشروعات السياحية الناجحة.

٦. عدم وجود مطار دولي في كربلاء يُسهِّل حركة نقل السّياح.

٧. عدم كفاية الفنادق بالنسبة للتوسّع السياحي، والاهتمام بإنشاء الفنادق ذات الخمس نجوم مع إهمال الفنادق الأقل درجة مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار إقامة السائح.

٨. عدم وجود سياسة تسويقية للسياحة الدولية إلى العراق تقوم على أُسس علمية تتمّيز بالاستمرارية والتنوّع طبقا لكلّ سوق سياحي فضلا عن نقص عدد المكاتب السياحية العراقية بالخارج.

٩. قصور كثير من المرافق الأساسية مثل شبكات الطرق، والمياه، والصرف الصحي، الكهرباء، الاتصالات، والنقل وغيرها، وتحتاج معظم المناطق السياحية المهمة إلى استكمال مثل هذه المرافق الأساسية.

١٠. إنَّ بعض الطرق المؤدّية إلى الأماكن الدينية والأثرية المهمة غير ممهدة مما يؤدّي إلى صعوبة الوصول إلى هذه الأماكن لزيارتها والاستمتاع بها وتكتفي شركات السياحة بزيارة الأماكن التي يتيسر الوصول اليها بسهوله فقط.

ومما سبق نجد أن العراق بصورة عامة ومحافظة كربلاء بصورة خاصة حاجة ماسة للقضاء على هذه المعوقات وتذليل الصعوبات من أجل تنشيط السياحة بمعدلات كبيرة، إذ يتمتع العراق بإمكانات ومميّزات سياحية لامثيل لها في المحيط الاقليمي والدولي. فيجب أن يكون هناك تنويع للبرامج السياحية وتوفير نوعيات مختلفة بحيث يكون لكلّ منطقة سياحية طابعها المميز لها ويتطلّب ذلك زيادة الاعتمادات المخصصة للتنشيط السياحي لضمان فاعليته.

المبحث الرابع:

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات:

١. أصبحت السياحة في الوقت الحاضر أحد الأنشطة الطبيعية المهمة للإنسان تعتمد على الانتقال من مكان لآخر لغرض زيارة الأماكن المقدّسة أو الترفيه وقضاء وقت الفراغ، أو حضور المؤتمرات والمهرجانات أو للعلاج والاستشفاء وغير ذلك.

٢. تحوّل عالم اليوم بصورة سريعة نحو الاستثمار السياحي مما يجعل الاهتمام به بشكل استثنائي لمواكبة التطوّرات الحاصلة في القطاع السياحي العالمي.

٣. ان منطقة الدراسة ذات طابع ديني تاريخي، تجاري تمتلك إمكانات سياحية وطبيعية وعمرانية كونها تحمل إرثاً حضارياً وأفقاً سياحياً واسعاً، إذ أن وجود المرقدين الشّريفين جعل مدينة كربلاء من المدن المهمة من الناحية الدينية والتاريخية، إذ يتوافد عليها عدد كبير من الزوّار على مدار أيام السّنة مما يميّزها عن باقي المدن الأخرى.

٤. تمتلك منطقة الدراسة إمكانات اقتصادية مهمة تساعد على تطوير القطاع السياحي مثل النشاط الزراعي والصناعي لتوافر المواد الأولية لهذه النشاطات في المحافظة.

٥. امتازت الحركة السياحية للمزارات الدينية سواء أكانت مراقد للأولياء الصالحين أم مقامات لهم باستمرار أعداد الزائرين لها لكونها عاملاً مهماً من عوامل الجذب السياحي، ولها مواسم الذروة تمثَّلت في المناسبات الدينية العاشر من المحرّم ومسيرة الأربعين الخالدة وغيرهما.

٦. يشكّل توافر مناخ الاستثمار الايجابي الذي يكون مقوّماً رئيساً وحافزاً قوياً في المشروعات

السياحية بمنطقة الدراسة والتي تعود بالمنافع والفوائد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

٧. زيادة حوافز الاستثمار السياحي لتشجيع رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية للدخول بجدية ومن دون خوف أو تردّد في مجالاته المختلفة بشكل يخدم احتياجات واتجاهات الطلب السياحي في المدينة المقدّسة.

٨. ان التخطيط السياحي يساعد على تعبئة الموارد والطاقات السياحية واستعمالها استعمالاً رشيداً لتحقيق أعلى معدّل نمو سياحي ينطوي على الاختيار الواعي بين الأهداف وتحديد وتقويم الموارد وتحديد حجم الاستثمارات ووسائل التمويل المناسبة واختيار المشروعات المناسبة مع أهداف الخطة.

٩. إن التخطيط للاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدّسة له أبعاد إستراتيجية مستقبلية تتمثَّل بتطوير المزارات الدينية، وإعداد برامج سياحية متطوّرة يمكن استثمارها في المستقبل.

ثانياً: التوصيات

ولأجل وضع استراتيجية تنموية للقطاع السياحي في كربلاء لابدّ من مراعاة الآتي:-

١. تطوير الضريحين المقدّسين وصحنيهما بعد ان باتا عاجزين عن استقبال الأعداد المليونية للزوار القادمين من كلّ مكان لزيارة مراقد الأئمة الأطهار في كربلاء التي تدخلها باستمرار، وما يتطلّبه من إحداث تغيير حقيقي في المدينة خصوصاً المناطق المحيطة بهما من محال تجارية وفنادق وبيوت قريبة من المرقدين بعد تعويض أصحابها بمبالغ مجزية، ونقترح مشروع تطوير مركز المدينة وتوسعة الروضتين المقدستين على غرار تصميم المرقد الواسع لمشهد الإمام الرِّضا عليه السلام في جمهورية ايران الإسلامية كأحد اهم المشاريع العمرانية والحضارية المميزة في العراق، وجزءاً مكملاً لمشروع تحديث التصميم الأساس للمدينة، المقدسه وأحد النماذج الحية للعلاقة المتلازمة بين جمالية فنون العمارة الإسلامية والسياحة الدينية.

٢. أخذ رسوم رمزية أوتبرّعات طوعية من الزائرين الوافدين إلى كربلاء على شكل مساهمات عينية كصدقة جارية للمساهمة في دعم موافٍ للخدمة المقدَّمة داخل المدينة المقدّسة وهو أمر يمكن تحقيقه في حالة التخطيط السليم لاستثمار وجود الزخم البشري الهائل في المدينة المقدّسة بهذه المناسبة الدينية الكبرى أوغيرها.

٣. التنسيق مع هيئة المواكب الحسينية والمسؤولين من أجل توحيد جهود الدولة وأصحاب المواكب في بناء مجّمعات ودور ضيافة كبيرة تستوعب أعداد الزائرين من جهة والتخلّص من عشوائية بناء المواكب من جهة ثانية.

٤. يجب أن يتمّ نشر ثقافة الالتزام وعدم الإضرار بالشوارع والساحات والحدائق العامة، وعدم رمي القمامة بطرق عشوائية، غير ذلك من أخطاء غير متعمَّدة ولكنها تُثقل كاهل المدينة التي تغصّ بملايين الزائرين، لذلك

فإن الالتزام بنظافة المدينة وبعدم رمي القمامة بصورة عشوائية، غير ذلك من أفعال خدمية ينبغي إن تتم بصورة خاضعة لنظام دقيق، يراعي بنية المدينة، ويسهل من خدمة الزائرين بطريقة لائقة. أي أننا يمكن أن ننشر ثقافة النظافة، وثقافة الحرص على ممتلكات الدولة، والاماكن ذات الاستخدام العام، كذلك يمكن من خلال هذه الزيارة، أن ننشر روح التعاون والتكاتف والمؤازرة المتبادَلة بين الزوّار بعضهم مع بعض من جهة، وبين الزوّار وأهل المدينة المقدّسة من جهة أخرى، وبهذا نكون قد استثمرنا هذه المناسبة الدينية بصورة سليمة، علماً أن هناك فرصاً كثيرة لنشر الوعي بين الزائرين من خلال تقديم الفعاليات الثقافية والفنية المختلفة التي يمكن ان ترافق مراسيم الزيارة، على أن يتمّ الإعداد لها مسبقاً. فمثلاً يمكن عقد الندوات الثقافية من خلال استثمار الزخم البشري في المدينة ونشر المبادئ التي نادى بها الإمام الحسين عليه السلام، وجلّها يتعلّق بالارتقاء بالإنسان.

٥. إدخال مسيرة الأربعين في موسوعة ويكبيديا العالمية كأكبر مسيرة سلمية في العالم والتي يعني دخولها إلى موسوعة غينيس للأرقام القياسية والتي سوف تُذهل كلّ من يطلع عليها.في تلك الأماكن.

٦. إعداد دراسات تخطيطية ومسح ميداني شامل لمواقع الجذب السياحي لتأهيل هذه المعالم على شكل خارطة استثمارية في القطاع السياحي. وبعدها توضع الخطه الخمسية استنادا إلى مؤشّر أعداد الوافدين والتوقّعات المستقبلية للنمو والتزايد في هذه الأعداد.

٧. بناء فنادق جديدة بسعات كبيرة وليس فنادق بمساحات صغيرة وسعات قليلة، فضلاً عن الحاجة الماسة لمشاريع استثمارية فندقية تنفذها شركات رصينة لأن كربلاء تستحّق أن تُنفَّذ فيها مشاريع فندقية عالمية كونها أصبحت عاصمة السياحة الدينية في العراق بل والعالم الإسلامي أيضاً.

٨. مرونة سير آلية المعاملات الرسمية للزائرين غير العراقيين التي تبدأ من تأشيرة الدخول للسائح والإقامة والجوازات بحسب الظروف السائدة في البلد مما يسهل التخلّص من أي تعقيد روتيني في الدوائر ذات العلاقة وذلك لكسب رضاء السّياح الأجانب.

٩. تمتلك مدينة كربلاء إرثاً حضارياً وسياحياً كبيراً ساهم في تعزيز مكانتها السياحية، إذ تمتلك معالم تأريخية وأثرية مثل قصر الأخيضر، والأقيصر، وخان الربع، والعطيشي وغيرها، أما المعالم السياحية مثل بحيرة الرزازة، عين التمر، وما إلى ذلك. فيمكن أن تُسهم في تنشيط الحركة السياحية الوافدة إلى المدينة.

١٠. إنشاء قرى سياحية خارج المدينة قرب الأماكن السياحية على وفق طراز البيوت الريفية الموجودة بالقرب منها، ويراعى في ذلك نوعية الأثاث المزوّدة بها هذه القرى السياحية بحيث يتشابه إلى حد كبير مع الأثاث الموجودة في منازل القرويين تستعمل فيه منتجات البيئة المحلية، إذ يُشكل ذلك

نمطاً غير مألوف لإقامة وراحة السّائح الذي يبحث عن جو من الإثارة واللانمطية غير الجو الذي اعتاد عليه في وطنه الأصلي.

المصادر

١. آل طعمة، سلمان هادي، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م.

٢. أطلس العراق التعليمي: ساعدت وزارة التربية على نشره، خارطة العراق الطبيعية، خطوط العرض والطول، كذلك خارطة سقوط الأمطار ودرجاة الحرارة.

٣. بولس، عامر عوديش، ١٩٨٩م، قرارات الاستثمار وأثرها بالتنمية المالية لنشاط قطاع السياحة المختلط، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية.

٤. جيمس، سي كراج، روبرت، وام جريت، ٢٠٠٣م، الإدارة الاستراتيجة، ترجمة تيب توب لخدمات التعريب والترجمة شعبة العلوم الاقتصادية والادارية، دار فاروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٥. الحسيني، فلاح، ٢٠٠٠م، الإدارة الاستراتيجية، مفاهيمها، مداخلها، عملياتها المعاصرة، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان – الأردن.

٦. خليل، نبيل مرسي، ١٩٩٤م، التخطيط الاستراتيجي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع.

٧. دعبس، يسري، ٢٠٠٨م، التنمية السياحية المتواصلة، البيطاش للنشر والتوزيع، الاسكندرية.

٨. الدوري، زكريا مطلك، ٢٠٠٣م، الإدارة الاستراتيجية، مفاهيم وعمليات وحالات دراسية، بغداد.

٩. الروبي، نبيل، التخطيط السياحي، مؤسّسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٧م.

١٠. عبد الفتاح، عز حسن، ٢٠٠٥م، التحليل الإحصائي باستخدام **spss**.

١١. عبد الكريم، عبد الله، ٢٠١٠م، ضمانات الاستثمار في الدول العربية، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

١٢. عبد المطلب محمد الخوام، ٢٠٠١م، العلاقة بين الاستثمارات السياحية والتأثيرات البيئية، رسالة دكتوراه، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية.

١٣. الغالبي، طاهر محسن منصور، إدريس، وائل محمد صبحي، ٢٠٠٧م، دراسات في الاستراتيجية وبطاقة التقييم المتوازن: علاقة الاتجاه الاستراتيجي بالأداء التنظيمي، دراسة تطبيقية في صناعة المصارف الأردنية، دار زهران للنشر، عمان – الأردن.

١٤. القرشي، باقر شريف، تاريخ المراقد، ج٢، كربلاء المقدّسة.

١٥. القمّي، عباس، مفاتيح الجنان، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٦. الكناني، نادية جبار، أثر الأبعاد الإقليمية في معايير البيئة الحضرية، رسالة ماجستير، معهد التخطيط الحضري، بغداد، ٢٠٠٨م.

١٧. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م،

ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

١٨. محجوب، وجيه، ٢٠٠٢م، البحث العلمي ومناهجه، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد.

١٩. الهجهوج، حسن، الاستثمار في قطاع السياحة، مجلة جامعة الملك فيصل عدد خاص، السعودية، ٢٠٠٥م.

٢٠- **Ashe, J. Tourism Investment as a tool for development and poverty reduction. New York. USA, 2008. P3.**

٢١- **Charles, W. L. Hill & Gareth, R. Jones, (2001), "Strategic Management Theory: An Integrated Approach", 5th ed, Houghton Miff ling Company, Boston, U.S.A.**

٢٢- **Lynch, Richard, (2000), "Corporate Strategy", 2nd ed, Prentice-Hill.**

Alssebt

A bulletin quarterly scientific Magazine concerned with civilizational and cultural heritage of the holy city of Karbala issued by

The General Secretariate of AL- Hussein Holy shrine

Karbala center for studies and Research

Issue NO. fourth

Second year - January 2017 - Rabi' Al-Thani 1438 A.H